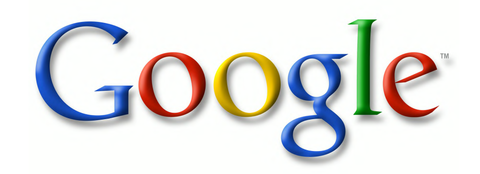
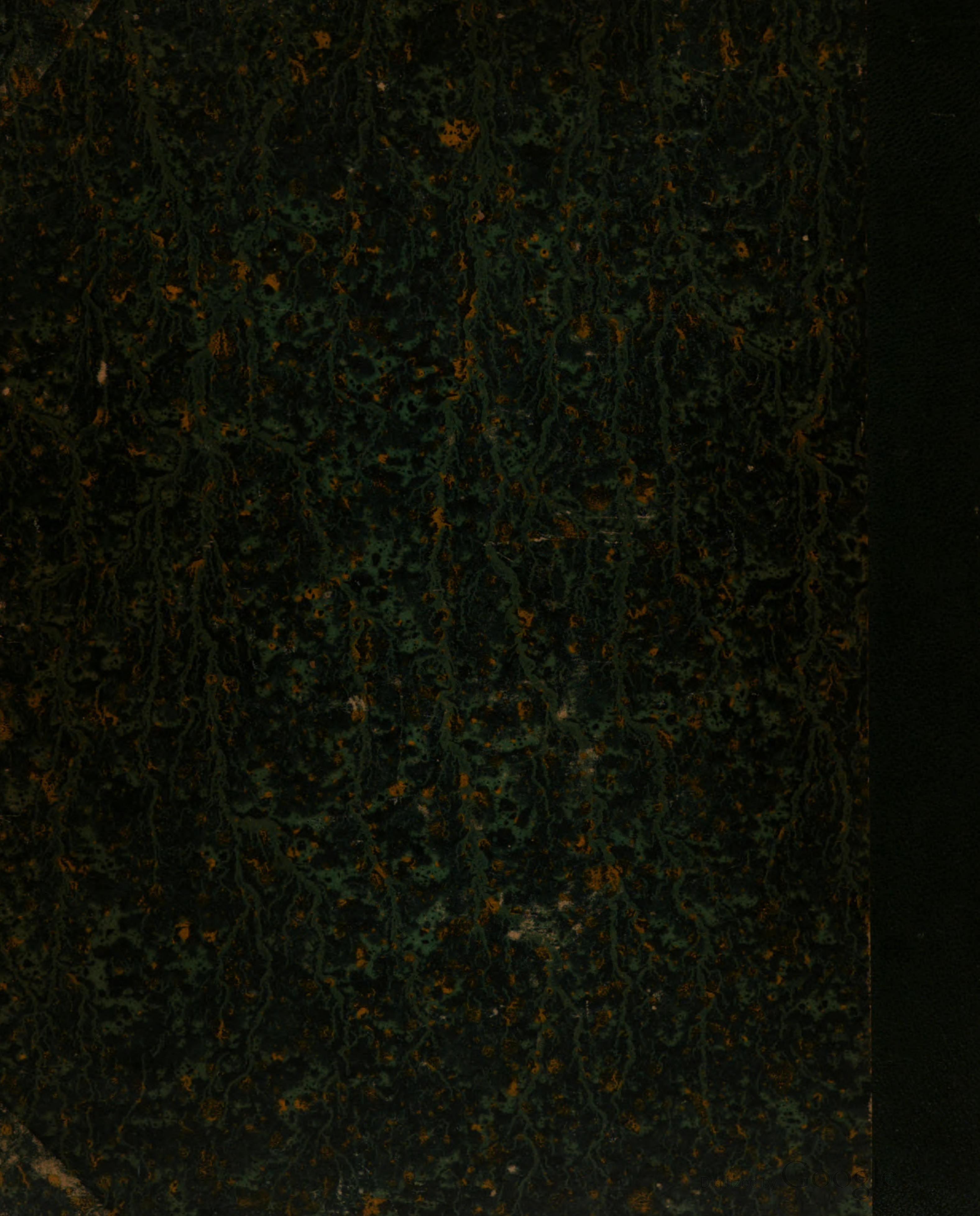
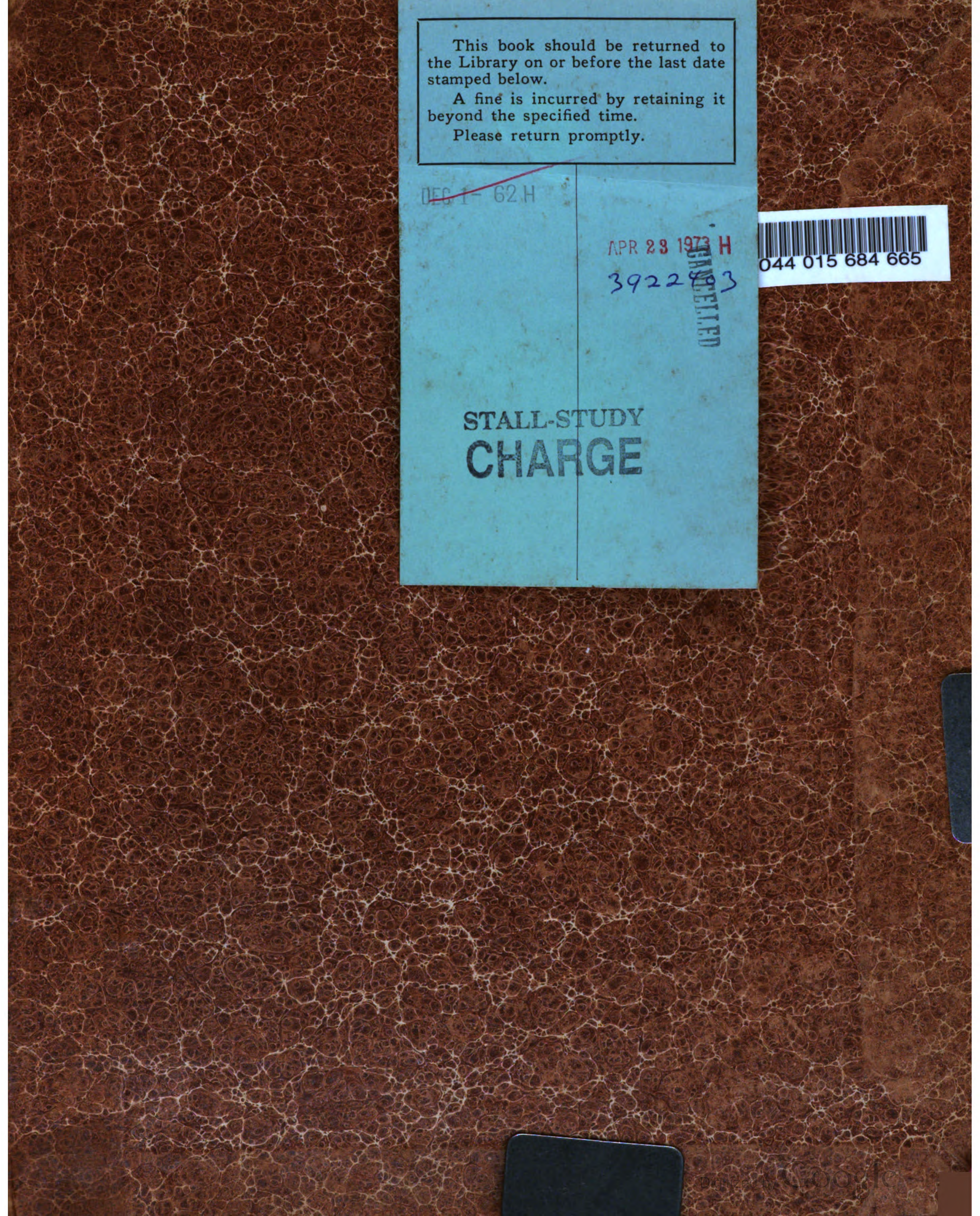








كتاب بحث المطالب
مطبوع في مالطه

هذا كتاب تشحيذ الأذهان
بسيرة بلاد العرب والسودان
لمؤلفه الاخ الصديق
محمد بن السيد
عمر التونسي
ابن سليمان
عفا
عنه
آمين

التونسي حبر فيي في المجلس
فتنبغا بمدافع من إسته
قاله ناظر النظار رحمه الله

وتمثلت بقول القائل

تبيت الأسد في الغابات جوعا ولحم الضان يلقى للكلاب
وخنزير ينام على حرير وذي علم ينام على التراب

ثم ناجتني القرونة ان اسئل من بعض الناس المعونة فتذكرت ان ليس كل احمر لحمة ولا كل ابيض شحمة وربما يريق الانسان ماء وجهه ولا يحظى بقصده وان اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا سيما اذا وقع التعس والنكس وكان الطلب من نجس قال الشاعر

لقلع ضرس وضنك حبس ونزع نفس ورد رمس
ولفح نار وحمل عار وبيع دار بربع فلس
وقود قرد وفرط برد ودبغ جلد بغير شمس
وفقد الف وضيق خشف وضرب الف بالف قلس
اهون من وقفة لحر يرجو انوالا بباب نحس

لا سيما وقد وجد على بعض الاحجار بقلم قدرة العزيز الجبار كل من كد يمينك وعرق جبينك وان ضعف يقينك اسئل الله يعينك فدخلت في خدمة من تزينت بلطائفه صفحات الايام ونارت بعوارفه حوالك الظلام ظل الله الظليل على

البلاد

البلاد والامصار حامي ذمار الاسلام وقامع الفجار من انام الانام
في وارف حلمه واحاته واذاقهم حلاوة الامن بنجدته وامانه
ملك ماجد حليم كريم جوده ناسخ لكل الجود
ناشر العدل وهو للجور طاو واقف في الاحكام عند الحدود
صالح الفعل صادق القول واف بوفا العهد منجز للوعود
همه القطع للفساد واصلاح جميع البلاد والتمهيد
نحن من روض امن دولته في خفض عيش به وظل مديد
ايها المالك الذي يحتمي عن حد اوصافه العلا بحدود
انت من حصن ربنا في امان من جيوش العدا وكيد الحسود
الا وهو فاتح الحرمين الشريفين بجيشه المنصور ومالك الاقطار
الشامية بابراهيم البطل الغضنفر المشهور امير المومنين
الحاج محمد علي باشا ولي النعم اعلا الله سرادق عز دولته وابد
ملكه بمجده وصولته وكان اول خدمتي بوظيفة واعظ في الالاي
الثامن من المشاة وسافرت معه الى المورة وكابدت المشقات
وكنت قبل ذلك سافرت الى بلاد السودان ورايت فيها من
العجايب ما اذا سطر يكون كزهر بستان ثم استخدمت في
مدرسة ابي زعبل لتصحيح الكتب الطبية وخصصت منها

بتصحيح كتب الاجزاجية ومكثت على ذلك حتى اجتمعت
بابرع اهل زمانه حذاقة وفهما واذكى اهل عصره صناعة
وعلما معلم الكيميا الحكيم پيرون الفرنساوى وقرأ على كتاب
كليله ودمنه باللغة العربية فذكرت له بعض ما عاينته فى
اسفارى من العجايب البهية فحملنى على ان ازين وجه الدفتر
بايضاح ما شاهدته من العجايب واخبره بما حصل لى فى
تلك الاسفار من الغرايب فامتثلت امره لما له علىّ من اليد
البيضا ورايت ان ذلك اجمل بى ايضا لقول صاحب المقصورة

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

فشرعت فى ابراز فرايدها من صدف الاذهان وكشف
حجاب خرايدها الحسان الى العيان وضممت لذلك من
النوادر ما سمعته من الثقات او نقلته من الكتب على سبيل
الاستطراد للمناسبات لتكون هذه الرحلة روضة يانعة
الازهار لمن تامل فيها وحديقة دانية الثمار لمن تصفح معانيها
ولم آل جهدا فى ايضاح معانيها للمتاملين ولم اتعمق فى غريب
اللغة ليسهل فهمها على السامعين ورتبتها على مقدمة ومقصد
وخاتمة وفى كل منها ابواب كما فى الفهرسة وسميتها تشحيذ

الاذهان

الاذهان بسيرة بلاد العرب و السودان والله اسئل ان ينشر
عليها حلة القبول ويقيها شر حاسد يطعن فيما فيها من
المقول وكم من عائب قولا صحيحا وافته من الذهن السقيم على
انى وان اتقنتها وهذبتها وفى احسن قالب سبكتها لا
اقول انها عارية عن الخلل بريئة من الزلل لانى انما انا بشر من
الانسان محل للخطاء والزلل والنسيان لكن انما اتعوذ من
غمر يرمقها بعين الحسد ويندد بانها من الخرافات عند كل
احد وهبنى قلت هذا الصبح ليل ايعمى المعالمون عن الضياء
فرحم الله امرأ رأى الزلل فستره وشاهد الخلل فجبره ان تجد
عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا وبالله استمد
التوفيق الى اقوم طريق وهو حسبى ونعم الوكيل نعم المولى
ونعم النصير المقدمة وفيها ثلاثة ابواب الباب
الاول فى السبب الباعث لرحلتى لبلاد السودان حكى
لى والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان ان جده كان
من عظماء اهل تونس وكيلا من طرف سلطان المغرب
المولى الاكمل الملك المظفر العادل المرحوم الشريف محمد
الحسنى فاجتمع له بذلك مال جزيل حتى صار من اغنى اهل

زمانه ولما مات كان قد خلف من الولد ثلاثة بنين فتنازعوا
تراث ابيهم وباعوا دارهم التي كانت تأويهم وسكن كل منهم
على حدته باولاده وزوجته فاتفق ان اباه كان من اهل العلم
يجيد الخط ينسخ الكتاب فيبيعه بضعف ما يبيع به غيره وكان
يعرف صباغة الثياب بالالوان فكان ارفه اخوته معاشا واحسنهم
ارتياشا فاتفق له انه اشتاق لروية البيت الحرام وزيارة قبر
نبيه عليه السلام فباع بعض عقار كان له وتأهب للسفر واشترى
معه اخرمة وطرابيش واعطاه الناس اموالا كثيرة يتجر لهم فيها
لما يعلمون من صدقه وامانته حتى انه وسق من السفينة
جانبا عظيما وحين توجه ودعه اخوانه حتى وصل الى السفينة
فركبها واقلعت بهم بريح طيبة ثم اختلفت الرياح على السفينة
حتى انهم اخذوا طريقا غير طريقهم وذلك انهم جاوا على طريق
رودس وبينما هم امنين مطمئنين اذ هب عليهم قاصف ريح
وكانوا اذ ذاك بجانب رودس فتلاطمت عليهم امواج البحر
وبدل الصفو بالكدر على حد قول الشاعر شعر

من البسيط

احسنت ظنك بالايام مذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وكان

وكان بسفينتهم خلل فلما تلاطمت عليها الامواج وسطت
عليها سطوة الحجاج تخلل تركيبها وفسد ترتيبها وتفرقت
اجزاؤها وانفصلت افلاذها وغرق من فيها ولم ينج الا القليل
من راكبيها وكان ممن نجى معهم جدي المذكور فخلص بعد غص
الريق الى البلد المذكور

من الطويل

اذا سلمت هام الرجال من الردى ... فما المال الا مثل قص الاظافر

فمكث في رودس مدة ونفعه فيها هميان كان في وسطه فيه
بعض ذهب فكان ينفق منه مدة اقامته ثم اشترى زادا
وركب في سفينة الى ثغر الاسكندرية وكان ذلك ابان الحج
والذهاب الى العج والثج فتوجه في الحال من غير اهمال الى ان
وصل الى تلك البقاع وبلغ مأموله جهد ما استطاع وكان
لسان حاله يقول قبل بلوغ المأمول

من الرجز

وابرك الايام يوم قيل لي ... هذه طيبة هذي الكثب
هذه روضة طه المصطفى ... هذي الزرقا لديكم فاشربوا

والياء في هذي بدل عن الهاء ولما قضى ما وجب عليه وتملى
بزيارة الحبيب وصاحبيه افاق من دهشته وفاء الى
سكينته وافتكر في ضياع ماله وتشتت حاله وافتضح من

طه

دخوله الى تونس ذا عسر وفاقه بعد ان كان ذا يسر ورفاهه
وكيف يصبر بعد الرفاهية على النكد ويراه على هذه الحالة
اهل البلد ولما نذكر ما قد حدث انشد على وجه الجد لا العبث

من الطويل

ساضرب في الافاق شرقا بغربها واكسب مالا او اموت غريبا
فان تلفت نفسي فلله ردها وان سلمت كان الرجوع قريبا

ومن المعلوم انه يسهل على المرء ان يعيش في تعب ونصب
وكد في بلد لا يعرفه فيه احد خصوصا في هذا الزمن الذي
يكرم به اليهودي لماله ويهان الشريف لفقره وسوء حاله ورحم
الله القايل

من الرجز

يغدو الفقير وكل شيء ضده والارض تغلق دونه ابوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رات ذا ثروة مالت اليه وحركت اذنابها
واذا رات يوما فقيرا عاريا نبحت عليه وكشرت انيابها

ولذا قال الامام على كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له ان اعتم
فضحني وان كتمته قتلني وقد قيل اذا افتقر الانسان خونه
من كان يامنه واسا فيه الظن من كان يحسنه وابعده من

كان

كان يقرّبه ومنه من كان يحبه شعر

من البسيط

ان قل مالي فلا خلّ يساعدني وان غنيت فكل الناس خُلّاني

وليت الانسان اذا افتقر يترك هو وشانه ولا يحتقر لا والله

بل يكذب في المقال وان كان صوابا ويهان وان لم يكن عابا

شعر

من الكامل

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه انواع الكلام فقالا

وتقدم الاخوان فاستمعوا له ورايته بين الورى مختالا

لولا دراهمه التي في كيسه لرايته اسوء البرية حالا

ان الغنى اذا تكلم بالخطا قالوا صدقت وما نطقت محالا

واذا الفقير اصاب قالوا كلهم اخطات يا هذا وقلت ضلالا

ان الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا

وهي اللسان لمن اراد فصاحة وهي السلاح لمن اراد قتالا

واذا كان كذلك فالموت خير لذوي الاحساب من ان

تلتصق ايديهم بالتراب شعر

من مجزو الرجز

الموت خير للفتى من ان يعيش بغير مال

والموت خير للكريم من التضرع والسوال

ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم ان الفقير يهان بعد

الاكرام ويذل بعد العز والاحترام قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى
قوم افتقر لكن كل ذلك بحسب ما سطر في ام الكتاب وقدره
في علمه العزيز الوهاب والا فكم من فقير اسعفته الاقدار
وكم من غني اصبح لا يملك ربع دينار ومن ذلك ما حكي ان
الوزير المهلبي كان في اول امره فقيرا لا يملك نقيرا واتفق انه
سافر راجلا من بغداد الى مكة في قافلة وقد اضر به الجوع واحرّ له
الجوع فانشد يقول

من الهزج

الا موت يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
الا رحم المهيمن روح عبد تصدق بالوفاة على اخيه

فسمعه احد التجار فاعطاه رغيفا ودرهما ثم تغيرت الاحوال
فترقى المهلبي الوزارة وافتقر التاجر حتى صار لا يملك قوت يومه
وبلغه ان المهلبي ترقى للوزارة فذهب اليه وكتب له في رقعة
ما صورته

من الهزج

الا قل للوزير فدته نفسي مقالا مذكرا ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش الا موت يباع فاشتريه

وارسلها له مع بعض خدمه فلما قراها بكى واستعبر وتذكر ما قد
سلف وامر له بعز وسبعمائة درهم وكتب له على رقعة مثل الذين

ينفقون

ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
وكل سنبلة مائة حبة الآية فعلم من ذلك انه ينبغي اكرام
من افتقر بعد غناه وذل بعد ان بلغ في العز منتهاه واذا
عنت للانسان حاجة واراد يسئل فيها الناس فان كان
عاقلا لا يسئل الا من كان ذا فضل ومروة ولا يسئل من
تموّل بعد فقره وعز بعد ذله قال الشاعر

من الطويل

سل الفضل اهل الفضل قدما ولا تسل غنيا ربى في الفقر ثم تمولا

ثم ان المال تميل الى صاحبه القلوب وتنضم عليه ازرار الجيوب
به تتم الارادات وتقضى جميع الحاجات ولقد اجاد الحريري في
مدح الدينار حيث قال

من مشطور الرجز

اكرم به اصفر راقت صفرته — جوّاب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته — قد اودعت سر الغنى اسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته — وحببت الى الانام غرته
وان تفانت وتوانت عترته — يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته — كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته — وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم انزلته بدرته — ومستشيط تتلظى جمرته

واسير نجواه فلانت شرّته   وكم اسيرٍ اسلمته أسرته
انقذه حتى صفت مسرّته   وحق مولى ابدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلّت قدرته

ولقد شوهد ان الالكن اذا استغنى يصير فصيحا والاعمش
اذا تمول يعود بصره صحيحا ومُصْداق ذلك انى رايت فى سفرتى هذه
رجلا يسمى محمد المكّنى وكان خادمًا على باب يوسف باشا صاحب
طرابلس الغرب وكان اعمش العينين مُسلّق الجفنين ترشح
دموعه ويقل هجوعه ودام كذلك الى ان تولى حاكما على اقليم فزان
فبرى عمشه ونبت رَمَشه وذهب وجعه وبطل دمعه وصار
اجل اهل عصره واوجه اهل قطره قلت ولعل الامراض انما تعترى
الفقراء لما يرونه من الذل والمسكنة والعرى والمسغبة
فيهتمون لضيق معاشهم وعدم ارتياشهم فتتشوش اذهانهم
وتسقم ابدانهم والغنى ليس كذلك نعم وان كانت له هموم
لكنها من جهة اخرى شعر

ومن يحمد الدنيا لشيءٍ يسرّه   فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرةً   وان اقبلت كانت كثيرًا همومها
لكن الغنى اذا بذل الدينار يبلغ الاوطار ومن ذلك ما حكى

ان على

ان علي باشا الاول صاحب تونس كان قبل ولايته فارا بالجزاير
مستجيرا لحاكمها ان يمده بعساكر لياخذها من ابن عمه حسين
باشا وكان صاحب الجزاير يعده بذلك والاخبار ترد على
حسين باشا بذلك فكان يهتم اذا سمع شيا من ذلك لما
يعلم مما يطرا عليه من انحطاط شانه وذهاب ملكه وسلطانه
فاتفق ان ورد عليه خبر اقلقه واهمه واحزنه واغمه فركب
وهو ضيق الصدر كثير الفكر وشق في وسط تونس بموكبه
وكان احد وزرائه محاذيا له يتحدث معه فراه على تلك الحالة
فسأله عن سبب تغيره فاخبره بما سمع من الخبر فقال الوزير
ايد الله مولانا ونصره انه ثبت لي امرا اصل له على انى اقول انك ما
دمت موجودا لا تقوم له قائمة والتفت عن يمينه وكانا بمحل
يسمى سوق البلاط فراى ساق شجرة يابسا ملقى على الارض
فقال له ان كان هذا الساق يعود شجرة خضرا يملك علي
باشا تونس ويصير حاكما عليها واراد بذلك اطمينان صاحبه
فما مرت الايام قلايل حتى جاء علي باشا بجيش كثيف من الجزائر
وقتل حسين باشا واستوزر الوزير المذكور مدة حتى تمهدت
له الامور فاتفق انه ركب يوما في موكبه ودخل تونس والوزير

محاذي

المذكور محاذيا له كما كان محاذيا للحسين باشا فتماديا في سيرهما حتى
وصلا الى سوق البلاط فالتفت علي باشا فراى ساق الشجرة ملقى في
مكانه فقال للوزير ان عاد هذا الساق شجرة خضرا يعود علي
باشا حاكما على تونس وكان بعض اعداء الوزير القى اليه ذلك
فاسره في نفسه الى ذلك الوقت ثم اعرض عنه ولم يحادثه بعد
ذلك فعلم الوزير انه مقتول لا محالة لما يعلم من اخلاق علي
باشا لانه كان سفاكا للدما حتى انه كان يقتل على الهفوة الصغيرة
فضلا عن مثل هذه وتماديا على ذلك حتى وصل الباشا الى محل
سلطنته وايوان ابهته فتقدم اليه الوزير قبل ان يامر فيه بامر
وقال ايد الله مولانا ان ابن عمك حسين باشا حين سمع بقدومك
اودع عندي اموالا جمة خباتها في محل لا يعرفه غيري وانا محقق
انك قاتلي واخاف ان انا مت وهي بمكانها لا ينتفع بها مولاي فان
راى سيدنا ان يسرحني لاتيه بها فليفعل ففرح علي باشا وظن
صدقه وامره بالتوجه وان تصحبه عشرة حوانب والحوانب
في لغة تونس هم القواسة بلغة اهل مصر وقبل توجههم قال
للحوانب ان فر منكم قتلتكم اجمعين فتوجهوا معه حتى
وصل لداره فاوقفهم اسفل الدار وصعد ليبعد الحريم عن الطريق

فوقفوا

فوقفوا وحال صعوده لم يكن له هم الا انه قصد خزانة امواله فملا
منها جيوبه ذهبا واخذ معه صندوقا صغيرا يسمى في عرف
اهل تونس بالفنيق مملوا ذهبا ايضا وصعد على السطح وتسوّر
من دار اخرى وخرج الى الشارع وتوجه الى دار قونصل الانجليز
فدخل عليه واخبره انه مستجير به واعلمه بالقصة واعطاه
الصندوق بما فيه وقال له اريد ان تامر باحدى سفاينك
يتوجه بي في هذه الساعة الى انجلاتيرة فكتب له القونصل
في الحال كتابا الى احد قبودانات ان سافر الى الانجلاتيرة حال
حلول جوابنا هذا اليك ولا تتاخر دقيقة واحدة واعطاه
الكتاب ورافقه بترجمانه ونزلا البحر حتى وصلا الى السفينة
فحين قرا مدبر السفينة كتاب القونصل اقلع عن المرسى
واطلق مدفعا علامة للقونصل بتوجهه واستبطاه الحوانب
فنادوا يا فلان انزل فقال الحريم انه نزل من وقت صعوده
فكذبوهن وهجموا الدار فلم يروا فيها احدا وعلم علي باشا
بافلاته فاغتاظ وعرفوا انها حيلة وتمت عليه فانظر رحمك الله
الى هذه القضية اترى ان هذا الوزير لو لم يبذل هذه الدنانير
اكان يبلغ ما امّنه لا والله بل كان يقتل ويوخذ ماله ولا ينفعه

بشيء لان الدرهم والدينار اذا لم يُبذلا لم ينفعا ولا تُقضى
لصاحبهما حاجة بل ان كان واليا عُزل وان كان تاجرا احتُقر
وفي هذا المعنى انشد شيخ مشايخنا العلامة الشيخ محمد الامير
الكبير حين عُزل خورشيد باشا والي مصر سابقا وتولاها صاحب
السعادة لعدم اعطاء مرتبات العساكر شعرا

من مجزو الكامل

عزلوك لما قلتَ ما   أُعطي وولّوا من بذل
او ما علمتَ بانّما   خرقٌ يكفّ عن العمل

ولقد اجاد ابو القاسم الحريري في ذم الدينار من حيث انه لا ينفع
صاحبه الا اذا فرّ من يده حيث قال

من مجزو الرجز

وشرُّ ما فيه من الخلائق   ان ليس يغني عنك في المضائق
الا اذا فرّ فرار الآبق   واهاً لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق   قال له قول المحقّ الصادق
لا راي في وصلك لي ففارق

وفي الامثال التونسية اذا وضعتَ الدينار على فم البلا اسكته
وفي الامثال المصرية حبيب ماله حبيب ماله اي من احب
ماله وخزنه لا حبيب له ومن هذا القبيل حكاية وقعت
بتونس وهو ان المرحوم الامجد ابو محمد حموده باشا برد الله

ثراه

ثراه كان له وزير يسمى يوسف صاحب الطابع ومعناه المهردار
اي الذي في يده الخاتم الذي تختم به الاوامر وكان يوسف
المذكور قبل ذلك مملوكا للقايد صفاقس المسمى محمد الجلولي وكان فيه
من الجمال والادب والحيا فنمى خبره الى الباشا فارسل الى الجلولي
يقول له انه قد بلغني ان عندك مملوكا صفته كذا واسمه يوسف
فاذا وصلك كتابي هذا ارسله صحبة حامله والسلام فلما قرا
الجلولي الكتاب لم يجد بدا من ارساله فلما صار في حيازة الباشا
اعجبه حسنه وذكاؤه وفطنته وصدقه وامانته واتفق ان
بعض المماليك اتفقوا على قتل الباشا ودخلوا عليه وهو نايم
ووضعوا الشفرة على مذبحه فاستغاث منهم ولحقت يوسف
المذكور كان خلاص الباشا منهم على يده فنزل عنده منزلة
عظيمة واحله محل ولده وقلده الولايات العظيمة وصارت
الالوية تخفق على راسه حتى صار يشار اليه بالطرف والبنان
وكان يوسف المذكور سعيد الطالع جيد التدبير مظفرا في
الحروب ميمون الحركة سخي الكف يجذب القلوب بلطفه حتى ان
الباشا جعله رئيسا على العساكر البرية في محاربة صراط وهي
محاربة وقعت بين حاكم تونس وصاحب الجزاير فيمن صاحب

الطابع كانت الدائرة على اهل الجزاير واغتنم عسكر تونس اخبية
المعسكر الجزايرى وخيله وابله وسلاحه وأسر من عسكر الجزا
وهذه الواقعة جم غفير ثم صار مدبر الجيوش البرية والبحرية بحلق
الواد وذلك قدم اسطول الجزاير لمحاربة تونس ايضا فكان مقيما
ببرج حلق الواد يدبر امر الجيش والسفن والبشواني والعسس
على الشاطى وكانت اكابر تونس تاتى اليه لقضاء اشغالهم بحلق
الواد لان زمام الامور كلها بيده وكان من جملة من يحضر ديوانه
محمد الجلولى ابن شنيدة سابقا لكن كان ياتى بتيه وخفر عن
سلوك طريقة الادب اللائقة بامثاله وكان صاحب الطابع يرى
منه ذلك ويتغافل عنه حتى ان اكابر ديوانه تكلموا معه فى
شان ذلك وذكروا له امورا كثيرة حتى قالوا انه يراك الى الان
مملوك ابيه وقد صرح بهذا مرارا فنقم ذلك عليه وتحيل فى
طريق الانتقام منه فاخبر انه يدخل داره راكبا ولا ينزل خارج
الدار كبقية الامراء وان سائسه ياخذ بغلته ويربطها فى
مربط دوابه فدعى برئيس السياس وقال له قد بلغنى ان
سائس الجلولى يربط بغلته فى مربط دوابى ان بلغنى انه ربطها
فى مربط خيلى بعد اليوم لا تلومن الا نفسك فقال سمعا وطاعة

ثم

هَيْصَة

ثم ان الجلولي جاء ونزل على عادته واخذ سايسه البغلة وربطها
كالعادة والسايس كان غائبا وصعد هو الى مجلس صاحب
الطابع وجلس وبينما هو جالس اذ سمع هيطة وصياحا فنظر
من احد الشبابيك فراى بغلته تركض عائرة وسايسه مضروبا
والدم ينبع من راسه فانزعج ونزل فاخبره سايسه ان كبير
السايس جاء ووجد البغلة مربوطة فاطلقها وضربها فخرجت
عائرة فسمعتُ بذلك فقلت له لِمَ تطلق بغلة سيدي
فشتمني وشتمك فرددت عليه فضربني وترك حالي كما
ترى فرجع الجلولي الى صاحب الطابع وهو مُغضب وقال له أتطلق
بغلتي ويضرب خادمي وانت موجود فلم يلتفت اليه ولم يرد عليه
جوابا فزاد حنقه وعلم ان الخادم لا يفعل مثل هذا الفعل الا باذن
سيده فنزل وركب من ساعته وتوجه الى الحضرة ودخل على
المرحوم حموده باشا وشكى له جميع ما قد جرى عليه من صاحب
الطابع فما اشكاه ولا التفت اليه فكاد يتميز من الغيظ ونزل
من الحضرة وتوجه لداره كئيبا حزينا لا يدري ماذا يصنع فاجتمع
عليه بعض اصحابه وراه على تلك الحالة فساله عن سبب حزنه
فاخبره الخبر فلام عليه فيما صنع لاسيما في شكواه للباشا وقال

له اما تعلم ان صاحب الطابع هو المقبول وكلمته هي المسموعة
اتريد ان تعاديه وتشكوه للباشا ويسمع لك عليه دعوى
بيسما فعلت وساء ما توهمت ادرك نفسك وتلاف امرك والا
حل بك ما يحل بك من التلف وانت المذموم اما سمعت قول الشاعر

من الكامل
واذا العناية صادفت عبد الثرا تمشي على ساداته احكامه

فقال الجلولي وكيف الخروج من هذا الامر والحيلة في الخلاص منه قال له صاحبه
اعلم ان المال اذا لم يبذله صاحبه في مثل هذا المهم كان هو حجارة
الدار سواء والحيلة تحتفل في هدية سنية وتقدمها بين يدي
صاحب الطابع وتتوسل اليه باعز احبابه عليه كحضرة ابن ابي
الضياف وقاسم البواب وصالح ابي غدير واضرابهم وتبذل لهم
من المال ما يرضيهم وينشطهم للشفاعة لان المال لا يطلب
الا لمثل هذا المهم فاخذ الجلولي نصيحته بقبول واحتفل في هدية
عظيمة منها سيف لا يقوم بالحسن جوهره وخاتم من الماس
عظيم لا يقوم ايضا وخنجر مرصع بماس وياقوت وعلبة نشوق
وساعة مرصعتين وعشرة الاف محبوبا واخذ مال الاجزيلا غير
هذا وتلطف حتى اجتمع باصحاب صاحب الطابع واخبرهم انه
متوسل بهم اليه ان يتوسلوا له في العفو وبذل لهم ما ارضاهم
وسلمهم

وسلمهم الهدية فاخذوها وذهبوا الى صاحبهم واخبروه ان
الجلولي جآء معتذرا يطلب عفو سعادته واطلعوه على الهدية
وزينوا له امر الصلح والعفو عنه وترك الانتقام منه الا ان عاد
لمثلها فشرهت نفسه الهدية وقبلها وعفا عنه وامرهم باحضا
وان يبالغوا في وصيته على سلوك طريق الادب وان يترك ما
كان عليه من التكبر ولا يرى لنفسه على غيره فضلا بل يقف على
قدم العبودية لانه هو واحد القواد عندنا على حد سوآء وان
عاد الى مثلها لا يلومن الا نفسه فامتثلوا امره واحضروه
وبالغوا في وصيته ثم ادخلوه على صاحب الطابع فلما راه بش
في وجهه وامره بالجلوس واجل مجلسه واعتنى به ولم يفاوضه
في شيء مما كان ثم ان صاحب الطابع كتب الى مخدومه الباشا
واعلمه بما وقع من الجلولي ومنه وان الجلولي استرضاه بهدية
وانه رضي عنه وارسل الهدية صحبة الكتاب فلما وصله الكتاب
قراه واحضر الهدية ونظرها ثم ردها اليه وكتب له ما صورته
قد بلغنا كتابك وفهمنا ما انطوى عليه ووقعت منا الهدية
احسن موقع لكننا راينا كل ما فيها يصلح لك لا لنا فقد رددناها
عليك وسامحناك فيها لانك شاب وتحب الزينة ونحن بمعزل

عن ذلك واما العشرة الاف فاصرفها في مصالح العسكر وقد
رضينا عن الجلولي لرضاك عنه والسلام ولما كان من الغد دخل
الجلولي على الباشا فاعظم ملقاه ورحب به واضاف له عملا على ما
بيده من الاعمال وصار في احسن حال فتامل رحمك الله في
هذه القضية بعين الاعتبار اترى ان الجلولي لو لم يبذل هذا
المال اكان يرجع لحاله الاول لا والله بل توخذ من يده الاعمال وربما
قتل في الحال واذ قد انجر الكلام الى سيرة المرحوم حموده باشا
ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع فلنذكر نبذة من سيرتهما
لان المقصد ان لا تخلو رحلتنا عن الفوايد الجميلة ولا اجمل من
ذكر الملوك العادلين الذين حسنت سيرتهم فتنعمت بهم
رعيتهم ونبدا بذكر الباشا فنقول هو المولى الاجل الفاضل العادل
الفطن الحازم ابو محمد حموده باشا بن علي باشا بن حسين باشا
ابن علي ولد ليلة السبت الثامنة عشر من ربيع الثاني ١١٧٣ سنة
وبويع له يوم وفاة ابيه ١١٩١ سنة وتوفي ليلة عيد الفطر ١٢٢٩ سنة
كان من الحزم وحسن الراى والعدل بمكان شجاعا مهابا عفيف
النفس عالي الهمة انشا بستان منوبة المشهور الان الذى
اخفى ذكر بستان ابي فهر الذى قال فيه ابو عبد الله محمد الورغى

وقف

les fermiers ; rapportés ; nous sommes satisfait ; fonction ajoutée ; l'accueil magnifique ; considère ; pas ; de l'attention ; fait événement ; l'histoire ; de titre ; mentionnons ; il n'y a rien de plus belles ; d'utilité ; voyage ; ne soit pas ; notre but ; ont été heureux ; dont la conduite a été belle ; que la contrée ; les sujets ; le juste ; méritant illustre ; le ferme l'intelligent ; il fut inauguré ; de fermeté ; le mourut ; désire ; de sagesse ; chaste ; réunion le jardin ; il éclipse ; le réputation

من البسيط

وُقِفْ هنا بابي فهر الجميل فقد مضت به دولة الشمّ العرانين

ترى الحنايا كسطر النخل مدبه بعض لبعض بمحنى العراجين

او خرّد نهضت للرقص عتنقت كي لا تجي برقص غير موزون

وسور على تونس السور العظيم وحصنها بالابراج والمدافع وشحن

الابراج بالعسكر ورفع التلال التي كانت بين تونس والبحيرة وقد

كانت مثل الجبال العظيمة مانعة لجودة الهوا يخشى على البلد منها وهي

من مدة دولة بني حَفْص فاجتهد في نقلها في مدة سبع سنين

حتى ترك محلها مزرعة عظيمة وكشف بذلك غمّة اهل تونس

وانشأ محلا لانشاء المدافع العظيمة وحصن حلق الواد بالابراج

والابنية العجيبة بحيث صار لا تدخله فلوكة الا ويفتح لها باب

وبني قلعة الكاف واخرج تونس واعمالها من ربقة الرق من

اهل الجزاير الى الحرّيّة المطلقة وكان مظفرا ميمونا لا يعاديه احد

الا خُذِل فلم تقدر له اهل الجزاير على شيء ومن سعادته انه

استوزر يوسف صاحب الطابع المذكور واطلق يده في جميع

الامور كما قدّمناه فكان يوسف المذكور جيد الراي حسن التدبير

عالي الهمة محبا للعلماء واهل الفضل مجبولا على فعل الخير جوادا مهابا

بنى الجامع المشهور به الآن بسوق الحلفاوين بتونس وبنى

بازايه مدرسة عظيمة لطلب العلم ورتّب فيها وفى الجامع
رواتب جليلة منها انه جعل نظر المدرسة لاوحد اهل زمانه
علما وديانة المولى الاجل الاديب البارع سيدى الشيخ ابراهيم
الرياحى شيخنا وشيخ المشايخ الآن بتونس وشرط عليه قراءة
درسين فى كل يوم درس فى الفقه ودرس فى التفسير وزاد الشيخ
من نفسه درسا فى الحديث ودرسا فى النحو وصرف صاحب الطابع
على بناية الجامع والمدرسة المذكورين مالا جزيلا حتى ان جامعه
الآن فى الحسن والاتقان اعظم جامع يوجد بتونس بل يمكن
ان لا يوجد اتقن منه ولا اعجب منه وان كان صغيرا الا فيما لم
نشاهده ولقد رايت عدة جوامع بالقاهرة وبطرابلس الغرب
وبالمورة والحجاز فلم ار اتقن منه اللهم الا ان يقال ان الجامع الأموى
بدمشق او جامع القرويين بفاس او جامع اياصوفيا بقسطنطينية
اعظم منه وبنى أمام الجامع سوقا عظيما للتجار وبنى فوقه سراية
عظيمة لجلوسه وانشا عدة مكاتب وموارد فى جملة مواضع ولقد
رايت احد الموارد التى انشاها مكتوب عليها تاريخا لشيخنا العلامة
الشيخ ابراهيم الرياحى وصورته

ذا موردٌ جاد به — راجى ثواب ربه

من منهوك الرجز

يعنى

يوسف

يوسف خوجة الرضى　　صاحب طابع البهى

فخر العلا حمودة　　باننشا وذا من سيبه

يا واردا ادع وقل　　تاريخه بشربه

١٢٠٩

وهو على طريقة أيقتش اى طريقة حساب المغاربة قلت وهذا التاريخ اعنى قوله بشربه غير بليغ اى ليس فيه من المعنى شى حسن واين هذا من تاريخ الاديب البارع المولى الشيخ محمد شهاب الدين المصرى فى السبيل الذى انشاه محمود افندى بالمحروسة الكائن بين الازهر والمقام الحسينى وصورته

من البسيط

يا واردا سلسبيلا راق منهله　　اشرب هنيئا فهذا العذب مورود

وانظر الى حسنه والسعد ارخه　　سبيله عاطف للخير محمود

٢٠٧ ١٩٠ ٨١٠ ٩٨

١٢٣٥

ومن بعض تواريخ اديب زمانه الشيخ على الدرويش فى كسوة البيت الحرام ونصه

من مجزو الرجز

يا نور ناظر كسوة　　يزهو بها خز وبز

بشرى خليل ناظرا　　فله بها سعد نجز

والسعد قال مؤرخا　　ستر لبيت الله عز

٦٦٠ ٤٤٢ ٦٦ ٧٧

١٢٤٥

Digitized by Google

واين هذا التاريخ من تاريخي الذين نظمتهما للمرحوم السيد محمد المحروقي حين انشئنا الزاوية التي تجاه زاوية الشيخ العفيفي بالقرافة الصغرى والمورد الذى انشاه ببركة الرطلي بالمحروسة ونص الاول

من الكامل

انظر لزاوية تكامل حسنها ... وصبا اليها لبّ كل مشوقِ

وبدت باتقان فاعجز وصفُها ... ذا النطق بالمفهوم والمنطوقِ

وقد استضائت بالسيادة ارّخوا ... مليئت بنور السيد المحروقي

٣٩٥	١٠٥	٢٥٨	٢٨٠

١٢٣٨

ونص الثاني

تامّل لما شادت يدُ العزّ والبها ... ترى موردًا باللطف والحسن قد زهى

وقد شاده من نسل اكرم مُرسَلِ ... همام له مجد على ذروة السُها

محمد المحروقي انشاه راجيا ... ثواب اله جده ماله انتها

ومُذ تم قال السعد للشرب ارخوا ... زلال شفا جيّد وهو مشتها

٧٥٥	١٧	١٧	٣٨١	٦٨

١٢٣٨

توفي المرحوم يوسف خوجه صاحب الطابع في شهر صفر سنة ١٢٣٠ ومات قتيلا وطيف بشلوه يجرّ في الاسواق بعد ان كان البصر يخشى ان يمتد اليه فسبحان المعز المذل ورثاه شيخنا العلامة الشيخ ابراهيم الرياحي بابيات كتبت على قبره وهي هذه

من مجزو الكامل

لله قد وجب الدوامْ ... وسواه نهبٌ للحِمامْ

سيان

سيّان في تنغيصه عالٍ ومنخفضُ المقام

اين الملوك واين من كانت لهم ترعى الذمام

لم يظفروا بسوى الذي عملوه من خيرٍ فدام

هذا الذي بصنيعه قد رامه هذا الهمام

من فعل خيرٍ عزّ ان يغنى الانام من الغمام

وجوامع ومكاتب وموارد تستقي الاوام

الله يرحم يوسفا ختم الكرام بلا كلام

لا غرو ان ارّختُه بمماته يتمُ الكرام

٢٨٨ ٤٥٠ ٢٩٢

١٢٣٠

ولنرجع الى ما نحن بصدده ثم ان جدي خرج من مكة المشرّفة الى بندر اي مرسى جدّة ومكث ينسخ الكتب بالاجرة وكان جميل الخط كما قدّمنا فاتفق انه اجتمع في تلك المدة باناس من اهل جزيرة سنّار وتودد اليه بعضهم وارتبطت بينهم صحبة فساله من اي البلاد انت فقال من تونس فساله عن سبب اقامته بجدة فاخبره بقصته وما جرى عليه فقال له السنّاري لا تتوجه معنا الى مدينة سنّار ويحصل لك العز والافتخار لان مكّننا اي ملكنا رجل مبسوط اليد لا يبالي بالجيْن

ولا عسجد يحب الفضل واهله ويحل كلا منهم محله وينيل الاشراف
بما يقدر رعايته من الاسعاف وانا ضامن لك ان ذهبت معنا ان
يجبر كسرك ويسد خللك وتصبح ذا مال ونوال ورقيق وجمال
فطمع جدي في نوال الملك المذكور وتوجه معهم بامل الفرح والسرور
وحين وصل معهم الى جزيرة سنار قابلوا به الملك واعلموه انه رجل
من اهل العلم غريب الديار قد انكسرت سفينته وضاع ما كان
حيلته فرحب به واعظم ملقاه وبشره باليسر وهنّاه وانزله
دار اكرامه وامر له بجزيل انعامه فكان فيما انعم عليه به جارية مكاوية
بهية سنية غالية القيمة تسمى حليمة فتسرّاها جدي لجمالها
فجاءت بغلام وجارية مثالها واجرى عليه رزقا فاستقر جدي
بسنار ونسي اهله بتونس واولاده الصغار وكان حين خروجه
من تونس ترك ثلاثة اولاد مع امهم اكبرهم عمي المرحوم السيد محمد
كان عمره تسع سنين واوسطهم المغفور له والدي وكان
عمره ست سنين واصغرهم عمي المرحوم السيد محمد طاهر وعمره
ثلاثة سنين هكذا سمعت من والدي وجدتي عليهما سحائب
الرحمة والعهدة عليهما فاعتنى عليهم خالهم المولى الاجل الاكمل الامثل
الفقيه المحدث العالم الفاضل السيد احمد بن العلامة الرحل

الرسند

السند السيد سليمان الازهري صاحب التصانيف العديدة والتاليف
المفيدة كان السيد احمد عالما فاضلا ثقة حجة في المنقول عرض عليه
منصب القضا بتونس فامتنع منه وكان مشتغلا بالتدريس وولي
وظيفة التدريس بمدرسة علي باشا الاول فلازمها واصيب في اخر
امره بداء ازمنة فكان يقرا الدروس في داره وتحضره اكابر طلبة
العلم والفضلاء ولم يزل كذلك حتى شبت والدي وبلغ مبلغ الرجال
وكان حفظ القران وحضر بعض دروس في العلم على خاله وغيره وبينما
هو كذلك اذ تحرك شوقه الى الحج فاستشار خاله في السفر فتحرك شوقه
هو ايضا فتجهزا للسفر معا وركبا البحر من تونس الى اسكندرية ومنها
الى مصر ومن مصر توجها الى القصير وكان ذلك قبل اشهر الحج وبينما
هما سايران في القافلة اذ عرضت لهما قافلة قادمة من سنار فنادى فيها
مناد يا ايها المغاربة هل فيكم احد من تونس فقال ابي نعم نحن منها
فقال هل تعرفون السيد احمد بن سليمان فقال ابي نعم نعرفه
ومن انت قال انا نسيب احمد قد خرجت من تونس منذ كذا وكذا
وتركت اولادي واهلي ولا ادري اهم احياء ام اموات وكان خال ابي
في شبرية مرخي عليها ستر فسمع ذلك كله فقال لابي يا عمر هل سلم
على ابيك فاكتب والدي يسلم على ابيه ويقبل يده واعلمه ان خاله

في البشرية فجاء جدي وسلم على نسيبه وبعد انقضاء السلام
قال ابي لوالده ايسوغ لك ان تتركنا هذه المدة بدون نفقة ونحن
صغار ولولا ان الله سخر لنا خالنا كنا ضايعين فقال والدي
والقضاء والقدر يجريان على وفق الارادة العلية مفرد

إنّ المقدّر كاين لا ينمحي ولك الامان من الذي ما قدّرا

فقال ابي لوالده الم يأن لك ان ترجع الى بلدك وتقر اعيننا برويتك
فقال يكون ذلك ان شا الله قال له والدي متى قال انا الآن متوجه
الى القاهرة ابيع ما معي من الرقيق وارجع الى سنار واخذ متاعي
واولادي واتي الى القاهرة وانتما تتوجهان للحج وترجعان الى
القاهرة فنجتمع هناك وكل من سبق صاحبه انتظره هناك ثم
ودعهما وتوجه كل منهم الى سبيله على حد قول الشاعر

لم استتم سلامهُ لقدومه حتى ابتدأتُ سلامهُ لوداعه

فتوجه والدي وخاله الى الحج وتوجه جدي الى المحروسة اما جدي
فباع رقيقه وتسوق ورجع الى سنار واما والدي وخاله فتوجها
الى الحجاز ومكثا بالطائف حتى جاء وقت الحج فقدما مكة وتجاور بعد
انقضاء الحج تُوفِّي خاله في مكة المشرفة ودُفِن بباب المعلا ثم
رجع والدي الى القاهرة فما وجد اباه فاقام ينتظره مدة فلم يات

وكان

ساغ — bien passer — en parlant d'un aliment

من الكامل

آنَ — il est temps

من الكامل

(13)

وكان ابى فى هذه المدة يحضر العلوم بالجامع الازهر ولما اعياه الانتظار
توجه الى سنار مع قافلة اتت فلما وصل اليه وجده قارا فى داره مغتبطا
باولاده وعياله لا يسئل عن غيرهم ولا يخطر له السفر على بال فساله
عن سبب خلف الوعد ولم جعل الهزل مكان الجد فاعتذر بعذر ساقط
لا يجد له لاقط فقال له يا بنى ان لى ديونا على بعض الناس ماطلونى فى
دفعها ولا يمكننى الارتحال الا بعد خلاصها على كل حال ليستقيم بها
اودى ويقوى فى السفر عضدى فمكث معه نحو ستة اشهر وبعد
ذلك تجهزت قافلة الى الاقطار المصرية فسال ابى والده فى احد
امرين بان قال له هذه القافلة متوجهة فاما ان تتوجه بنا صحبتها او
تاذن لى بالتوجه معها فابى عليه فيهما وقال اما الذهاب فلا سبيل
اليه لما على فى تونس من الاموال لا سيما وقد اخبرت بان امك
تزوجت واما الاذن لك فيكون لكن فى قافلة اخرى ان شاء الله
تعالى حتى اجمع لك ما تسافر به من الرقيق والجمال والذهب والاحمال
بحيث انك لا تعود الا مجبور الخاطر فابى والدى المكث واستطال
اللبث وقال انى مشتاق الى طلب العلم وفى اقامتى هنا ضياع زمن
بغير فايدة فاختلف رايهما وحصلت بينهما وحشة فخرج والدى
مغضبا وتوجه مع القافلة لا يملك شيا فالحقه والده بعد ثلاثة

ايام بثلاثة جمال واربع جواري وعبدين وعلى الجمال أهبة السفر من
مؤونة وماء وعلى احد الجمال حمل صمغ فاخذها والدي وسار صحبة
القافلة وبينما هم سائرون اذ ضلّوا من الطريق وادركهم العطش
وطال عليهم الامد فمات الرقيق والجمال ورجع الى مصر فقيرا كما كان

مفرد

من الطويل

اذا اقبلتْ كانت تُقاد بشعرةٍ ... وان ادبرتْ كانت تقدّ السلاسلا

فمن لطف الله عز وجل مرض خبير القافلة بصداع احرمه الهجوع وعجز
عن شفائه الجميع وبلغ والدي هذا الخبر فكتب رقعة واخذها
الخبير باعتقاد ووضعها محل الالم فبرئ لوقته فاعتقد في والدي
الصلاح وامر ان يحمل ويحمل له عدل صمغ على ابله فوصل والدي
الى القاهرة بعد غص الريق وباع عدل الصمغ بخمسة وسبعين
فندقلي ودخل الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج والدتي اذ
ذاك ومكث معها نحو سنتين جاءت منه بولد سماه احمد عاش
سنة وثلاثة اشهر ثم مات فحزن عليه وتمثل بقول الشاعر مفرد

من الطويل

لقد خانت الايام فيك فقرّبتْ ... يوم الردى من ليلة الميلادِ

وبقول الاخر

من الكامل

عجبًا لمولودٍ قضى من قبل أن ... يُقضي لايام الصبا ميقاتا

فكانه

فكانه من نسكه وصلاحه وهب الحياة لوالديه وماتا

وبقول التهامي في ولده

يا كوكبا ما كان اقصر عمره وكذا تكون كواكب الاسحار

من الكامل

ثم ان والدي توجه الى تونس واخذ امي وامها معه وكنت اذ ذاك

حملا فلما وصل الى تونس نزل بدار اخيه المرحوم السيد محمد وكان

من مشاهير المعلمين بسوق الشواشية اي طرابيشية فولدت

بعد ذلك بخمسة اشهر في الساعة الثالثة من يوم الجمعة منتصف

ذي القعدة ١٢٠٤ سنة ومكث بعد ذلك نحو ثلاث سنين ثم حصلت

1204

بينه وبين اخويه وحشة فقفل بنا الى القاهرة ١٢٠٧ سنة فصار يطلب

العلم في الازهر ويحضر درس العلامة المرحوم الشيخ عرفة الدسوقي

المالكي وشيخ مشايخنا العالم الاوحد المرحوم الشيخ محمد

الامير الكبير وتولى نقيبا برواق لسادة المغاربة وكان في عيش

متوسط ومازال كذلك الى ان دخلت ١٢١١ سنة ورد عليه كتاب

من اخيه لابيه من سنار مع القافلة مضمونه بعد السلام ان

والدنا توفي الى عفو الله تعالى وترك جملة من الكتب فسرقها

منا رجل يسمى باحمد البنزرتي امناه على بيتنا لانه ادعى القرابة

لوالدنا وبقينا في حالة تسر العدو وتسيء الصديق فاذا وصلك

كتابي هذا عجل بالقدوم علينا لتاخذنا معك نعيش بما تعيش
به والسلام فلما قرا الكتاب بكى واستعبر واخذته الشفقة
على اخويه فتعجل وسافر اليهما وكنت اذ ذاك ابن سبع سنين
قد ختمت القران بداية ووصلت في العادة لاخر آل عمران
وكان لي اخ عمره اربع سنين وترك لنا نفقة تكفينا ستة اشهر
فمكثنا سنة باعت فيها والدتي اشيا كثيرة من نحاس وحلي
ثم جاء عمي الصغير المسمى بالطاهر فانحنا علينا يربينا وكان قد جاء
للحج والتجارة ومعه ولد كالشمس الضاحية في السماء الصاحية
اسمه محمد وكان اسن مني بنحو سنة ونصف فكان يذهب
معي الى المكتب لقراءة القران حتى سافر به والده الى الحج اخر
سنة ١٢١٢ ثم دخلت الفرانسيس القاهرة وملكوها في اول سنة ١٢١٣
وكان عمي اذ ذاك مع الحجاج فهربت الغز وتمزقوا كل ممزق ودخل
الحجاج فوجدوا الفرنسيس في مصر واعمالها ومكثوا كذلك
الى اول سنة ١٢١٦ جاء الوزير بالعساكر وخرجت الفرانسا وبين
وكان ابن عمي المذكور قد حفظ القران وابتدا يحضر دروس العلم
وكان من الحياء والادب بمكان فوقعت في تلك السنة امراض
وبائية والمت بابن عمي المذكور فاخرجته من القصور الى القبور

بل

بل للملاعبة مع الحور ولما قضى عليه حزنت عليه والدته اشد الحزن
حتى كاد يهلك اسفا ويدخل رمسه توجعا ولهفا ورحم الله القائل

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

وكره المقام بمصر لخلوها من ولده وفلذة كبده وفي ذلك قلت

اذا رحل الحبيب من الديار كرهت لبعده تلك الديار

فاراد ان يبرد ناره ويوارى أُوارَهُ بحج بيت الله الحرام ورؤية قبر
نبيه عليه الصلاة والسلام ولله در من قال

نقل فوادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام اذا أُصيب احدكم بمصيبة
فليذكر مصيبته بي فانها اعظم المصائب

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بان المرء غير مخلد
واذا اصبت بفقد من احببته فاذكر مصابك بالنبي محمد

فتوجه الى الحجاز وتركني بمصر لطلب العلم بالازهر وابقى لي نفقة
تكفينا اربعة اشهر ومكث هو اكثر من ذلك فنفذت وضاق
ذرعي لذلك وانا اذ ذاك في شرخ الشباب فبقيت متحيرا لا
ادري ما اصنع واستنكفت ان اترك طلب العلم واتعلم احد

الصنايع وبينما انا متحير في طلب المعاش وضيق الصدر لعدم الانتعاش
اذ بلغني ان قافلة وردت من بلاد السودان من دارفور وكان
قبل ذلك بلغنا ان والدي توجه من سنار اليها صحبة اخيه فلما
استقرت بوكالة الجلابة توجهت اليها لاسئل عن ابي اهو حي
يتوقع ام اودع اللحد البلقع فلقيت على سبيل المصادفة رجلا من
اهل القافلة متسنا ذا هيبة ووقار يسمى السيد احمد بدوي
فقبلت يده ووقفت امامه برهة فسالني بلطف وقال لي ماذا
تريد قلت اسئل عن رجل غائب لي في بلدكم لعل يعرفه منكم احد
يدلني عليه فقال من هو وما اسمه فقلت اسمه السيد عمر التونسي
وهو رجل من اهل العلم فقال على الخبير به سقطت هو صاحبي وانا
اعرف الناس به واري بك شبها له فكن ابنه فقلت انا هو على
تغير حالي وتبلبل بالي فقال يا بني ما يقعدك عن اللحاق بابيك لترى
عنده ما يهنيك قلت قلة ذات يدي واعتدادي وعددي
فقال ان اباك من اعظم الناس عند السلطان واكرمهم عليه دون
اهل الديوان وان اردت التوجه اليه فانا على مؤونتك ومركوبك
وراحتك حتى تصل اليه وتقف بين يديه فقلت احق ما تقول
فقال اي وحياة الرسول لان اباك فعل معي معروفا لا اقدر على

مكافاته

مكافاته فيه ولو بذلت جميع ماتملكه يدي وتحويه فقلت انا اطوع
لك من نعلك واتبع لك من ظلك فعاهدته على ذلك واستوثقت
منه هنالك وجعلت اتردد عليه حتى تأهب وقال لي السفر غدا
فان شئت بت عندنا لنصبح على السفر مبكرين فقلت على
الراس والعين فبت عنده في الذ عيش واهناه واحسن حال
واصفاه الى ان لاح ابن ذكا والتحف الجو بالضيا نهضنا للمكتوبة
فاديناها وابرزنا الحمول واخرجناها وجيء بالجمال وحملت عليها
الاحمال فما ذر قرن الغزالة الا وقد تم الترحيل واخذت العيس في
الذميل ولا زالت كذلك حتى انيخت بالفسطاط على شاطئ النيل
وابتدأ في شحن الفلك بها حتى تمت كلها ثم صبرنا حتى صلينا الجمعة
خلف الامام ونزلنا الفلك وودعنا مصر بسلام

الباب الثاني

من المقدمة لما امتطينا الدهما لهذا السفر العظيم قلنا بسم
الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ولما اقلعنا عن ساحل
الفسطاط ناويين البعد والانتطاط تذكرت متاعب الاسفار وما
يحصل فيها من الاخطار خصوصا لمن كان حاله كحالي في الفقر المدقع
والعسر المضقع وتوسوس صدري وانزعج وبقيت في مشقة
وحرج لا سيما وقد وجدت نفسي مع غير ابناء جنسي بل بين

اقوام لا اعرف من حديثهم الا القليل ولا ارى فيهم وجها صبيحا
جميل فقلت ودمعي باكي

من الهزج وافر

بجسمك مع ثيابك والمحيا *** سواد في سواد في سواد

وندمت على تغريري بنفسي مع ابناء حام وتذكرت ما بينهم من
العداوة لابناء سام فداخلني من الهلع ما لا اقدر على وصفه حتى
كدت ان اطلب الرجوع الى الربوع ثم ادركتني الطاف الله الخفية
وتذكرت ما مدحت به الاسفار على السنة البلغاء الادبية خصوصا
ما ورد في الاثر عن خالق البشر سافر احدث لك رزقا جديدا وان
افضل الانام سافر من مكة الى الشام وقد قالت العلماء ان
السفر يسفر عن اخلاق الرجال وهو المميز للذكور عن ربات الحجال
وقد قيل ان الدر لو لم ينقل من معدنه لما رصعت به التيجان ولو
لم يسر البدر لكان في غاية النقصان قال الشاعر

من الكامل

سافر تنل رتب المكارم والعلا *** فالدر سار فصار في التيجان
والبدر لولا سيره في افقه *** ما كان الا زايد النقصان

وقال الآخر

من الطويل

تغرب عن الاوطان في طلب العلا *** وسافر ففي الاسفار خمس فوايد
تفرج هم واكتساب معيشة *** وعلم وآداب وصحبة ماجد

وان

وان قيل في الاسفار ذل وغربة — وتشتيت شمل وارتكاب شدايد

فموت الفتى خير له من حياته — بارض هوان بين واش وحاسد

ولله در الطغرای حيث يقول

من البسيط

ان العلى حدثتني وهي صادقة — فيما تحدث ان العز في النقل

لو كان في شرف المأوى بلوغ منى — لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

على انى لو كنت اقمت بالقاهرة وهذا الحال ما كنت ارى فيها الا الوبال وحتى تمثلت بقول الطغرای المفضال حيث قال

من البسيط

فيم الاقامة بالزوراء لا سكنى — فيها ولا ناقتى فيها ولا جملى

ويقول الآخر

من البسيط

ارحل بنفسك من ارض تهان بها — ولا تكن من فراق الاهل في حرق

التبر تربا في معادنه — وفي التغرب محمولا على العنق

فوطنت نفسي على الاسفار ولو كنت اكوى بالنار وكنا قد قلعنا بريح طيب ظل معنا يومه وسفينتنا تميس به عجبا وتمايل بحسنه طربا وقد ملا شراعها والال في السير باعها وعلى ذكر السفينة ووصف سيرها تذكرت لغزى الذى كنت سالت فيه العلامة الشيخ مصطفى كساب شيخ مدرسة الطب البيطرى التي انشاها صاحب السعادة بازاء مدرسة الطب

البشرى بابي زعبل وهو هذا

من الطويل

امولاي يا كسّاب للعلم والتقى ويا بحر عرفان لدى الناس يعذب
سألتك عن شيء ثلاث احرف به كلف قلب الشقي المعذب
لقد جاء في التنزيل والامر واضح ومثلكم يتلوه دوما ويكتب
وايضا له اسم خماسي قد اتى مؤنث لفظ للبرية يعجب
يهيم به المضني وتجري دموعه ومادته يشتق منها المهذب
كذاك له اسم شهير لدى الورى رباعي حروف وهو منها مركب
مسمى الذي قد قلت يا حبر واحد وانت لبيب ليس ذا عنك يحجب
مطية عزمي الآن دهماء قد اتت اليك مريد العصر والحل اطلب
واوصاف ما قد قلت اضحت شهيرة كجارية حسناء للب تسلب
تميس متى تكسى ويكثر سعيها وان جردت للسعي تخشى وترهب
وتحمل ما يعسر على الناس حمله ومحمولة يا قوم منها تعجب
وفي سعيها تمشي على حر ظهرها وارجلها للبطش قد تتجنب
تطيع الهوى تخشى اشتداد عصوفه ولكن به تزهو وتلهو وتلعب
وحسبك توضيحي فهات جوابه فلا زلت يا مفضال للحل تطلب

فاجاب حفظه الله بما نصه

من الطويل

ايا عالما بالعلم منه وبالنهى وبالفضل عند العالمين محبب

ومن

وَمَن حذقه قد شاع شرقا ومغربا ومن هو بالشعر المُهَذَّب يُغْرِب
ولِمَ لا وقد جاز القريض باسره وطاوعه ما قد يضل ويعزب
وانّى لقُسّ وامرءِ القيس مثلَه كلام يثير العاشقين ويطرب
اتيتَ بشعر كالنسيم لطافةً فمن يدّعيه فهو لاشك كاذب
والغزتَ في اسم عم في البحر نفعه ويحمل اثقالا تكل وتتعب
ونوحُ تولاه وابدع صنعه ونجّى من الطوفان والموج لاعب
وقال اركبوا فيها فبالله مجراها كذلك مرساها فلا تترسب
وقد حلّ لغز التونسي محمد امام له العليا تنمى وتنسب
فلا زال يُبدي من نتايج فكره نفايس درٍ تَنْبُ عنها المطالب
وقد الغزتُ في لفظ بحر فقلبت

من الطويل

الا قُل لتحرير العلوم ومن غدا له اللغز طوعا قد يزول نقابُهُ
فديتك ما اسم من ثلاثة احرف مسماه يسطو بالانام عُبابه
وفي قلبه معنى اتساع لمن اتى وان شئتَ فعلا ماضيا لا تهابه
واول حرف منه ان كنت حاذقا فسمّ بضد البرد وهو انقلابه
بتشويشه تبدو معانٍ ثلاثة تامل لها فهو العجيب عجابه
امام علوم والمداد وثالث الـ ـمعاني امر لا يسرّ مصابابه
وان تحذف الثاني فضد لاسمه يصير فلا يعسر عليك جوابه

وقلت ملغزا في مصباح

من الطويل

الا قل لمن حاز البلاغة والفهما — واعطاه رب العرش بين الورى علما
فداك ابن ما اسم خماسي احرف — به النفع يا حبر البرية قد عمّا
صغير كانملة اذا قست جسمه — ويملأ بيتا وهو في حجمه جزما
اذا ما نسيم هب مال صبابة — ومهما تقوى مات من وجده حتما
فريد با وصاف حسان سما بها — واحسنها ارشاد شخص له امّا
ويمرض مهما طال يا صاح انفه — وان قطعت يصحو ولا يذكر الغمّا
ويزهو متى حل البهيم وان راى الـ — ـغزالة ذرّت نال من ضعفه وضما
ومن اسمه حرفان شي محبب — اذا كان من حلو المراشف ألمى
وباقيه فعل ماض كن متفطّنا — وفاعله في الناس يستوجب الذمّا
واوّل حرف منه فاحذو تري الذي — تبقّى رديفا للغداة فكن شهما
وحسبي لقد اوضحت ها جوابه — وقد جاء في التنزيل فانظره قد تمّا

وقلت ملغزا في السماء

من البسيط

يا من رقى لسماء العلم والحكم — وفضله قد غدا ينهل كالديم
بين لنا ما اسم شيء راق منظره — وحسنه قد بدا للعُرب والعجم
لكنه ذو ارتفاع لا يحلّ به الا — الذين حبوا من بارى النسم
منه المصابيح تبدو وهي زاهية — بها الهداية في داج لنا بهم

وحسنه

وحسنه الباهر الزاهي نترثه لانه جاء في التنزيل ذي الحكم

مركب من حروف اربع رسمت في النظم كن فاهما للنظم والكلم

قد تم ارجو جوابا شافيا حسنا لا زلت يا حبر في عال من الهمم

وقد تذكرت بهذه الالغاز ما للغز به خاتمة المحققين الامام ابن حجر الشافعي رحمه الله في لفظة مُدام ونصه

من الهزج

وما شيء حشاه فيه داء واوله واخره سواء

اذا ما زال اخره بجمع يكون الحد فيه كذا المضاء

وان اهملت اوله فنعلٌ له بالرفع والنصب اعتناء

قلت

ولنمسك عنان القلم عن جريه في هذا الميدان اذ لو تتبعت ما قلته من الاشعار والالغاز لطال الحال وجلب الملال ونرجع الى ما نحن بصدده فنقول وعند المساء سكن الهوى وبطل هبوبه وفقد شماله وجنوبه وقد جئنا مقابل المنية وكان فيها جماعة من الغز الذين ابتز الله منهم حلة العز فاخذونا بالقوة والقهر واملوا سفينتنا الى جانب البروكان معسكرهم مخيما في عرض البلد على النيل وكانوا مقيمين هناك لنهب السفار المارين فغرموا ما جنبنا جملة من المال وبعد الخلاص اقلعنا عنهم في الحال وفي اليوم الثالث حللنا منفلوط فاخذنا منها ما احتجنا اليه ثم اقلعنا حتى دخلنا

بني عدي فاقمنا فيها ريثما تاهبت القافلة وخرزوا اسقيتهم
وصنعوا زادهم ثم جيء بالمطي فحملت احمالها وخرجنا منها قفرا
حتى وصلنا الى الخارجة في عشية اليوم الخامس فوجدناها قد
دار بها النخيل دورة الخلخال بالساق او التفافيدي العاشق
على معاطف المعشوق للعناق وفيها من التمر ما تشتهيه الانفس
وتلذ به الاعين مع رخص الاسعار وحسن تلك الثمار فاقمنا
بها مدة خمسة ايام وفي صبيحة اليوم السادس ارتحلنا وسرنا نحو
يومين وفي اليوم الثالث حللنا بلدة يقال لها ابيريس وهي بلد قد
استولى عليها الخراب من ظلم الحكام وتمزق شمل اهلها بعد الانتظام
ففسد ما به من النخيل وذهب رونقه بعد ان كان جميل فاقمنا
بها يومين حتى افاقت دوابنا وزال عنها العنا ثم سافرنا يومين
ونزلنا في ثالثهما بلدا يقال لها بولاق وهو من الساكن في املاق
قد درست معالم اكثرها وتصدع بناء اقومها واشهرها ومن
العجايب ان نخلها في غاية القصر وهو حامل للتمر لا يتكلف جانيه
للقيام بل يتناول منه ولو في هيئة النيام فتذكرت باسمها بولاق
مصر المحمية حرسها الله من كل آفة وبلية فانهملت دموعي
وهاج وجدي وولوعي فانشدت اقول شعرا

تذكرت

من الطويل

تذكرت بولاقا ومصر واهلها   واذكرني هذي التي تدعى بولاقا

فبالله يا عيني اسعفيني بادمع   عسى يبرد القلب الذي زاد احراقا

ثم سافرنا مجدين من غير لبس حتى نزلنا عشية النهار على بلد يسمى المقس مفرد

من الرجز

وبلدة ليس بها انيس   الا اليعافير والا العيس

قيل ان هذا البلد كان اعمر من كل بلد فاخنى عليه الذي اخنى على لبد وتمزق شمل اهله ولم يبق به احد وليس به من الاشجار الا ما قل وهو بعض اثل وعبل فاقمنا فيها يومين وملانا القرب وارتحلنا وللمفازة الحقيقية دخلنا فمكثنا خمسة ايام في مهمه قفرا وبيدا اغبر ليس فيها من الحشايش الا ما قول قليل كما لا يوجد بها شجر يصلح للمقيل وكان يطبخ لنا في تلك المدة بما تلتقط الخدم من بعر الابل الجاف لقلة الوقد الذي يحصل به الاسعاف وفي عشية اليوم الخامس وردنا محلا يقال له الشب وهو محل بين غرود من الرمل عليه ريح الوحشة قد هب فارحنا فيه يومين وارتحلنا وللمفازة الثانية دخلنا فقطعناها عنقا وذميلا في مدة اربعة ايام نزلنا في ضحى خامسها ببئر يقال له سليمة وبهذا البئر رسوم ابنية قديمة وهو في عرض جبل مسمى بهذا الاسم ايضا

خواص

فمكثنا فيه يومين حتى قضينا منه غرضا ومن خواص هذا المحل ان
الحال به يستانس به ولا يستوحش منه ومن العجايب ان الشبان
من اهل القافلة يصعدون على الجبل الذى هناك ويضربون
الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول فيسمع لها صوت كالطبل
ولا يعرف سبب ذلك اهو تجاويف فى الحجر او هى موضوعة على خلو
فسبحان من يعلم حقيقة ذلك واخبرنى اهل القافلة ان فى بعض
الليالى واظنهم قالوا فى ليلة كل جمعة يسمع من الجبل اصوات طبول
وكانه عرس ولا يعرفون حقيقته ثم ارتحلنا صبيحة اليوم الثالث
بعد ملء ادوات الماء ودخلنا مفازة سافرنا فيها خمسة ايام وصلنا
فى ضحى سادسها الى محل يقال له لقية فوجدنا هناك ابار محاطة بالرمل
وماؤها عذب زلال وقبل وصولنا لهذا المحل عرضت لنا قافلة
صادرة من بئر النطرون المسمى بالزغاوى واهلها من عرب
يقال لهم العمايم فقابلونا بالسلام ثم انصرفوا عنا بسلام فمكثنا
فى لقية يومين وفى صبيحة اليوم الثالث ارتحلنا للزغاوى قاصدين
واذ بهجان اقبل من ناحية دار فور يخبر بوفاة المرحوم الملك العادل
المجيد السلطان عبد الرحمن الرشيد ملك دارفور وما والاها
وسلطان اقصاها وادناها وانه ذاهب الى مصر لتجديد الخاتم

الذى

الذي تختم به الاوامر السلطانية لعدم من يتقنه هناك لابنه
السلطان محمد فضل وذلك لليال مضت من رجب الفرد ١٢١٨
فحزن اهل القافلة على موت سلطانهم وخافوا من وقوع الفتن
في اوطانهم لانه كان سلطانا عادلا كريما محبا للعلم وذويه مبغضا
للجهل ومن يليه وسنتكلم على عدله واحكامه فيما ياتي بابسط
عبارة ان شاء الله تعالى ثم سافرنا من هناك ثم سافرنا خمسة ايام
انخنا في سادسها ببئر الزغاوي وهو بئر النطرون وبينه وبين
دارفور مسيرة عشرة ايام كاملة فاقمنا به احد عشر يوما
نصلح شؤوناتنا ونرتاح وترعى دوابنا لنتقوى على قطع هذه المفازة
الدهماء وجرت في اقامتنا تلك عدة جزر وفرق لحمها على اهل
القافلة واجتمعنا هناك باعراب البادية من دارفور واتونا
بلبن الابل وسمنها فاشترينا منهم ما احتجنا اليه وكانوا اتوا
لهذا البئر لياخذوا منه ملحا ونطرونا لدارفور لان النطرون
واكثر الملح لا يجلب لها الا من هناك وكنا قبل حلولنا بالزغاوي
ارسلت اهل قافلتنا هجانا لدارفور باوراق الى الدولة والى اهاليهم
تعلمهم بالمجيء وانهم قد قفلوا سالمين وكنت قد كتبت معهم
كتابا لوالدي ونصه الى حضرة والدي واعز الناس عندي

السيد عمر التونسي ابقاه الله امين بعد تقبيل اياديه الشريفة
اني قد اتيت مع قافلة الخبير فرج الله صحبة السيد احمد بدوي
صاحبكم وحبيبكم وفعل معنا من المعروف من اجل خاطركم
ما لا نقدر على وصفه لسيادتكم والسلام كاتبه ولدكم محمد عمر
ابن سليمان فاخذها الهجان وارتحل من وقته ولو ارى في
اسفاري التي سافرتها اهون منها لاني كنت فيها في غاية الراحة
وذلك ان حال خروجنا من بني عدي امر السيد احمد بدوي
عبيده ان يضعوا الخيمة على احدى جمل وان يوطئوها للركوب
توطئة حسنة ففعلوا واخذ بيدي الى ان سلمني خطام الجمل
وامران ياتوا بزمزمية ملانة ماء فجيئت وعلقت على الجمل
وقال هذا جملك تركبه مهما اردت وتنزل عنه مهما اردت
وهذه الزمزمية تشرب منها كلما احتجت الى الشرب وكلما
فرغت مر احد العبيد بملئها هالك وامر جميع العبيد والخدمة
بطاعتي في ذلك وكان معه من العبيد الكبار سبعة وعبد
صغير وثمانية من الخدمة ومعه من الجمال ثمانية وستون
جملا قد اعد منها ثمانية للماء واربعة للزاد وفي وقت الدخول
الى المفازة كان يعلق على كل جمل قربتين وكان معه من السراري

خمسة

خمسة وسادستها ابنة عمه السيدة جمال وكانت من اجمل نساء
وكان معه حصان دنقلاوي اسود لا يقوّم بمال لحسنه ومليه
سرج غشاوه قطيفة خضرا يقوده عبد خاص به وكان السيد
احمد يلاطفني ملاطفة الوالد لولده فكنت اذا نزلت القافلة ربما
بهتّ من تعب الركوب وهز الجمل وحر الشمس فكان يدثرني واذا
جيء بالعشاء يوقظني بلطف ويطلب ماء ويغسل وجهي ويدي
ويامرني بالمضمضة لافيق من النوم وياخذ يدي ويضعها في الاناء
وربما اخذ الطعام ووضعه في فيّ ولم يزل هذا دابه معي حتى
وصلنا بالسلامة ثم ارتحلنا من بئر الزغاوي وسافرنا عشرة ايام
سفر الجد ناخذ من اول الليل قطعة ومن اخره دلجة حتى وصلنا
ضحى حادي عشرها الى المزروب وهو بئر في اول اعمال دار فور
وقبله بنحو ثلاث ساعات او اربع جاءتنا اعراب بقرب من الماء واللبن
فاستبشرنا بالسلامة ثم نزلنا البئر المذكور فاقمنا فيه يوما وفي
صبيحته ارتحلنا نحو اربع ساعات ووردنا بئرا يقال له السوينة
وهناك قابلنا قايد الولاية وحاكمها وكان يسمى الملك محمد تنجق
وهو قائد الزغاوة وهي قبيلة عظيمة من السودان واهل السودان
يسمون القائد ملكا ومعه جيش كثير اظنه نحو خمسماية فرس

فسلم على اهل القافلة وهناهم بالسلامة فاقمنا في هذا المحل يومين
ثم ارتحلنا وتفرقت الناس فكل اناس اخذوا طريق بلادهم لان
اهل القافلة كلهم ليسوا من بلدة واحدة فاكثرهم من بلدهم المشهور
المسمى كُوبَيه وبعضهم من كُبكابية وبعضهم كالسيد احمد بدوي
صاحبي من سَرْو الدجاج وبعضهم من الشَعيرية وبعضهم من
جَديد كَريو وبعضهم من جديد السَيل فذهب كل منهم في
مذهبه واخذنا طريق سرو الدجاج فسافرنا سفرا هينا نحو
ثلاثة ايام ونزلنا في رابعها قرب الظهر في ظل جبل بقرب بئر
فَقِلنا هناك وجاءت اناس كثيرون يهنوننا بالقدوم وجاء هناك
بدوي ابن السيد احمد ومعه عبيد وخدم باطعمة كثيرة فسلم
على والده وهناه بالسلامة وتغدينا واقمنا حتى ابهار النهار واخذت
الشمس الطفل والاصفرار رحلت الاحمال ورفعت الاثقال فلم يات
المغرب الا ونحن على ظهر مقبلون على الجادة سائرون فدخلنا
سرو الدجاج بعد العشاء لمفرد

من الطويل

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

وبتنا تلك الليلة في مشقة من كثرة المسلمين وازدحام الداخلين
والخارجين ومع ذلك لم يتهاون السيد احمد بامري ولا شغله

ما هو

ما هو فيه مني بل افرد لي حجرة وجعل فيها من الفرش والانية ما
احتاج اليه وانا لا اعلم ذلك بل حين طال عليّ السهر دخلت عليه
وقلت له اين انام فنادى باحد العبيد وقال له ارِ سيدك
حجرته فاخذني وادخلني حجرة رايت فيها سريرا وفرشا وانية بل
وجميع ما احتاج اليه وبت بانعم ليلة حتى اذا اصبحت لبست
ثيابي ودخلت عليه فوجدته جالسا في أبّهة عظيمة بين خدمه
وجواريه واولاده قارًّا سارًّا كانه لم يكن مسافرا فرحب بي
واكرمني فقبلت يده وجلست معه ثم قال لي ان ابن اخي
السيد احمد الصغير قد صنع في هذا النهار وليمة القدوم والتمس
مني ان تتوجه اليه وتشرف مجلسه بحضورك فان رايت بك
نشاطا واردت جبر خاطره فذاك اليك وما اريد ان اشق عليك
فقلت سمعا وطاعة لكني لا اعرف منزله فامر احد غلمانه ان يعرفني
منزله فذهبت وحضرت ضيافته فاعظم ملقاي ورحب بي
وكان يوما عظيما ثم ان جميع اهل القافلة صاروا يصنعون
الولايم فتوالت وكل وليمة يدعونني فاحضرها حتى جاءني وتوجهت
صحبته الى والدي وذلك اني كنت في ضيافة بعض الاصحاب
واتيت قرب المساء فدخلت الحجرة المعدة لي فرايت فيها رجلين

وعبدين اما الرجلان فاحدهما اسمر قصير ذو هيئة حسنة
جميل البزة يقرب لونه من لون الحبشة والاخر اسود رث
الهيئة فسلمت عليهما فردا علي السلام وجلست متعجبا
كيف دخلا في حجرتي بغير اذني فرايتهما يتغامزان ويقول احدهما
للاخر أهو هو فيقول الاخر نعم هو ولا اعرف علي م يقولان ذلك
ثم سالني الرجل الاول وقال لي اانت من هنا فقلت لا انا من
مصر جئت ملتمسا لابي فقال ومن ابوك فقلت ابي السيد عمر
التونسي فقال لي السوداني سلم علي عمك السيد احمد زرّوق
فسلمت عليه ح وبعد السلام اخرج لي مكتوبا فيه بعد
السلام انه قد جاءنا كتاب من ولدنا السيد محمد اخبرنا فيه
انه قدم صحبتك وفعلت معه من المعروف ما انت اهله
فجزاك الله عنا خيرا وهذه منة لا اكاد اقوم بشكرها وصنيعة
لا اقدر علي مكافاتها ومن المعلوم ان المهادات سنة من اول
الزمان وقد قبل الهدية سيد ولد عدنان ولذا قال عليه صلاة
ربنا المنان تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء من قلوبكم وقد ارسلت
لحضرتك صحبة اخي السيد احمد زروق عبدين سداسيين
ومهرا احمر ارجو من سعادتكم قبولهم وهم علي قدر مقامي لا

علي

على قدر مقامك ولله القائل شعرا

من البسيط

جائت سليمان يوم العرض هدهدة اتت له بجراد كان فى فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته لكان قيمتك الدنيا وما فيها

ومنا السلام عليكم وعلى اولادكم واهل منزلكم ومن يحويه مجلسكم
السعيد وقال لى خذ هذا الكتاب واقراه على عمك السيد احمد
فذهبت به وقراته عليه واحضرت الهدية فراءها وبارك فيها
ثم قال انى قبلتها ووهبتها لابنى هذا يعنينى فالححت عليه انا وعمى
فى قبولها فابى الا ذلك وقال انى لو افنيت اموالى كلها فى مرضاته
لما كان ذلك جزاء له بما صنع معى من المعروف فتجاسرت عليه
حينئذ وسالته بالله العظيم الا ما اخبرنى عن هذا المعروف
الذى صنعه معه فقال لى اعلم يا ولدى ان اعدائى وشوا بى
الى حضرة السلطان بانى ابيع الاحرار وزخرفوا له القول
حتى لم يستقر فى ذهنه ان الامر صحيح فغضب لذلك وقال تاجر مثل
هذا فى عنائه يفعل هذا الفعل الفقر اولى به فاحضرنى من دارى
على غير صورة وحين دخلت عليه وبخنى وقرعنى بالكلام المولم
وطلبت تحقيق ما قيل فى فلم اتمكن من ذلك ولا سمع لى قول

بل امر بالقبض عليّ وان توضع الاغلال في عنقي ويضيّق عليّ
في الحبس وكان من لطف الله تعالى ان اباك حاضر بالمجلس
فلم يتجاسر احد يشفع لي عنده لما قام به من الغضب وحين
راى والدك ذلك تقدم وتنحنح وذكر احاديث في العفو عن
الجاني وتلى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبآء فتبينوا
ثم شفع فيّ فشفّعه السلطان وامر باطلاقي وبعد ذلك
ظهرت له برا'تي ولكن لولم يسخّره الله لي في تلك الساعة
لذهبتْ نفسي واموالي كلها فاى جميل اكبر من هذا واى صنع
اعظم من هذا ومع ذلك كله فاجر ابيك فيما فعله معي على
الله واني طالما كنت اترقب له حاجة تاتي على يدي فاقضيها
له لم يتيسر لي الا هذه الخدمة وعسى ان يكون فيها قضاء
بعض ما وجب علي ولا اظن ذلك ثم اراد عمي ان يسافر صبح
ذلك النهار فابى السيد احمد فكثنا بعد ذلك ثلاثاً وفي صبح
اليوم الرابع دخلت عليه لاودعه فاعطاني خرزاً كثيراً يضعنه
نساء السودان في اوساطهن من قبيل الزينة يسمى عندهن
رُقاد الفاقة ومعناه نوم الراحة واعطاني خرزاً اخر غالي الثمن
يجعلنه في اجيادهن وهو على انواع منه ما يسمى بالريش وهو

خرز

خرز ابيض مستطيل فيه بعض خطوط سمر معروف بهذا الاسم
في مصر ايضا ومنه ما يسمى بالمنصوص وهو خرز اصفر من
كهربات مستدير مفرطح ومنه خرز كروى الشكل احمر غير ناصع
يسمى بالعقيق فاعطاني منها ما يزيد على عقدين وثمنه ينوف
عن ثلاثة روس من الرقيق واعطاني عمامة خضرا من الشاش
جديدة وسُنبلا ومحلبا وصندلا كثيرا وهذه الثلاثة من
العطريات يتطيبن بها نساء السودان وقال فرق هذه الاشيا
بين نساء ابيك وذبح لنا شاة وحنّذها وبلغتهم يقال لها نصيص
زوّدناها وودعنا وركبنا وكان مع عمي عبد اخر كبير فركبت الفرس
وركب عمي هجينا وركب الرجل حمارا فارها وسعت العبيد امامنا
وسرنا قاصدين محل ابي وكان بمحل يقال له ابو الجدول وبينه
وبين سرف الدجاج ستة ايام سفر فخرجنا من سرف الدجاج ومررنا
بالبلد المسمى بكبكابية وهي بلد اشبه ببلاد ريف مصر الا انها اعمر
منها واخصب لانها آهلة بالساكن مغتصة بالقاطن واهلها
تجار اغنيا وعندهم من الرقيق ما لا يحصى كثرةً ولهم نخيل وارض
واسع فيها ابار قريبة الماء يزرعون بها انواع الخضراوات والبقول
من بامية وملوخية وقرع وباذنجان وفقّوس وقُثّاء وبصل وحلبة

وكمون وفلفل وحب رشاد وكله كما نعهد الا الفلفل فانه حب
رفيع اغلظ من الشعير بقليل وعندهم بعض شجر الليمون الحامض
ويقربهم جبل يقال له مَرَّة وهو جبل يشق اقليم الفور من اوله
الى اخره مع الاستقامة وله عدة طرق تصعد الناس منها اليه
ولكل قطعة منه اسم خاص به غير اسم العام والفور يسكنون
في اعلاه ولا يألفون الوهاد بل يرون ان ذلك اصون لهم ولاموالهم
وسيأتي لهذا مزيد توضيح وحين مرورنا بكبكابية وجدنا سوقها
عامرا فاخذنا منه ما احتجنا اليه ثم توجهنا فسافرنا ثلاثة ايام
في عرض جبل مَرَّة وصرنا نبيت ببلاد اقوام مستوحشين يكرهون
الضيوف خصوصا ان كانوا من اولاد العرب فاصابتنا منهم مشقة
عظيمة حتى صرنا لا نبيت عندهم الا كرها عليهم مع ان معنا ازوادنا
ولا نحتاج لهم في شي فكانوا ينفرون منا بالطبع وبعد ذلك خرجنا
الى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل يقال له تَارْنِيَة فاكرمونا هناك
وصنعوا لنا ضيافة عظيمة وفي ضحى اليوم السادس دخلنا البلدة
التي فيها والدي المسماة بحلة جُولتُو وهي من جملة حلل ابي الجُدُول
فرأينا على باب دار والدي خيلا وحميرا وخدما لاضياف كانوا عنده
فدخلنا الدار وعرضنا جواري وعبيد يسلمون علينا ويهنونا

بالسلامة

بالسلامة ثم جاء والدي بعد ان ركب اضيافه وسلم عليّ فقمت
وقبلت يده ووقفت امامه خدمة له فامرني بالجلوس فجلست
فسالني ما الحرفة التي تعلمتها فقلت له القران وشيا من العلم
فسر لذلك وصنع ثاني يوم مجيئي وليمة ذبح فيها عدة شياه
وبقر ودعي الناس فجاء خلق كثير فاكلوا وكان يوم سرور ثم انه بعد
ثلاثة ايام جهزني وعمي السيد احمد الى الاعتاب السلطانية بهديا
من عنده الى حضرة السلطان ووزيره الاعظم اذ ذاك الشيخ محمد
كُرّا والفقيه مالك الفُوتاوي وهو وكيل ابي وحوايجه التي تعرض
للدولة كلها على يده وهو من قبيلة تسمى الفُلّان واهل دارفور
يسمونها الفَلّاتة وفَلّاتا بالالف في الاخراج والفقيه مالك المذكور
اعظم الوزراء من اولاد العرب وكان يومئذ السلطان محمد فضل
ابن المرحوم السلطان عبد الرحمن صغيرا وكان زمام الامور كلها
بيد الشيخ محمد كُرّا ومعناه بالفوراوية الطويل لانه هو الذي
عضد السلطان محمد فضل بعد موت ابيه واجلسه على سرير
ملكه وناب عنه في الاحكام وتدبير المملكة لصغر سنه وقد شاع
على السنة الناس اهل دارفور انه من عبيد السلطان وليس
كذلك بل هو حر خدم السلطان واغنى في خدمته وقام بعبآء

باعباء

الامور حتى ترقى للوزارة العظمى بحسن تدبيره وتصرف في مملكة
دار فور حتى كان لا تعلو على كلمته كلمة غير السلطان وكان رحمه
الله فيه دهآء ومكر وشجاعة واقدام وحيل على الامور حتى ينفذ
اغراضه وسيأتي سيرته وسيرة السلطان عبد الرحمن وابنه
السلطان محمد فضل واخيه السلطان محمد تيراب مفصلة
ان شاء الله تعالى فركبنا من ابي الجدول الى تندلتي وهو مقر السلطان
في اول شعبان ١٢١٨ ويسمى بلغتهم الفاشر وكل محل سكنه
السلطان يسمى عندهم فاشرا فسافرنا يومين سفرا غير شطيط
ودخلناه ضحوة الثالث فوجدنا بلدا يموج بالساكن ويرتج
بالقاطن ما بين راكب وماشي وجالس وغاشي وطبول ترعد
وخيول تركض فدخلنا دار الفقيه مالك فوجدناه جالسا بين
خدم وحشم وارباب الحوايج محتفون به فدخلنا عليه فسلم عليه
عمي فاعظم ملقاه ورحب به فعرفه عمي بي فسلم علي وبش
في وجهي ورحب بي ثم ان عمي اعطاه الكتاب الذي له والكتب
التي للدولة فقرا كتابه ورحب وافرد لنا محلا وضعنا فيه متاعنا
ثم اخذنا في الحال الى دار الشيخ محمد كرا فرأينا دارا على بابها من
الخيل والدواب ما لا يحصى كثرة ودخلنا فرأيناه جالسا في

مجلس

1218

مجلس حفل وارباب الدولة محتفون به فسلم علينا ولم يعلم من
انا ثم سال وقال من هذا فقال له الفقيه مالك هذا ابن الشريف
عمر التونسي العالم المقيم بابي الجدول وقد ارسله صحبة عمه ليسلم
على سعادتك وهذا كتاب ابيه فاخذ الكتاب وفتحه ولما علم ما فيه
صار يلاطفني ويحييني اكراما لوالدي وقدمت له الهدية فقبلها
وامر بادخالها الى خزائنه واقبل يلاطفني بالتحية اكراما لوالدي ثم امر
الفقيه مالك ان يبقينا عنده حتى ياذن لنا في التوجه فبقينا عند
الفقيه مالك ثلاثة ايام ونحن في اكرم ضيافة والذ ايتناس وفي
اليوم الرابع دعانا الشيخ محمد كرا على يد الفقيه مالك وكسا كثيرا
اخضر وجبة خضرا وقفطانا من القطن الهندي وامر لي بجاريتين
وعبد وكتب لابي كتابا قرانه بعد ذلك عند ابي وصورته من
حضرة من اكرمه الكريم ولا يفارقه الخير والنعيم الوزير الاعظم
المتوكل على من يسمع ويرى الاب الشيخ محمد كرا الى حضرة الاستاذ
الاعظم والملاذ الافخم علامة الزمان ونخبة سلالة سيد ولد
عدنان السيد الشريف عمر التونسي دام مجده امين اما بعد
انه قد حضر لدينا نجلكم المكرم صحبة اخيكم المحترم المعظم بما
اهديتموه لنا حسبما هو مشروح في جوابكم ففرحنا غاية الفرح

بامرين الاول اجتماع شملك بقرة عينك والثانى باننا نومل
اقامتك فى بلدنا وهذا هو المقصود الاعظم لتحصل لنا البركة
بكم اهل البيت وقد اتحفناه بما صحبه ونرجوان يكون مقبولا
لديكم ولولا ما نحن فيه من الاشغال لكان الامر ابلغ من
ذلك فالمعذرة اليك والمأمول ان لا تنسانى من صالح دعواتك
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم ان الفقيه مالك قدم
لى جارية ناهدا وجوابا قرأته بعد ذلك ايضا مضمونه بعد
السلام انه قد ورد علينا كتابكم صحبة نجلكم واخيكم وقدما
الى حضرة الشيخ محمد كرا وقد دخل عليه من السرور ما لا
يعلمه الا الله بقدوم نجلك كما يفصح لك كتابه عن ذلك ونحن
اشد فرحا منه لما بيننا من المودة وما اهداه الشيخ محمد كرا
لنجلك يتلى عليك ويصل بين يديك وها نحن قد اتحفنا
نجلك الكريم بجارية كوعبة متربة [اراد هنا كاعبة واما قوله مترية
لا معنا له هنا وذلك من جهل الفقيه وهذا اى كاعبة ومترية
مذكور فى القران فى وصف الحور واراد الفقيه انه يدعى عالما
فانه غلط وقال هنا قولا بدون معنى] واسمها حميدة عسى
ان تلحظ بالقبول كما هو المامول والسلام فاخذنا جميع

ذلك

ذلك وتوجهنا لوالدي فرحين مسرورين ففرح بقدومنا ثم اقمنا
جميعا مدة شهر رمضان وحين انقضآئه توجه ابي الى الفاشر
للسلام وقابل الاب الشيخ محمد كرا وطلب منه الاذن في
التوجه الى تونس ليرى امه واخويه ويجتمع بهم قبل وفاة امه
واعلمه انه سيتركني في بيته وبلاده لان البلد التي كان فيها
اقطاع له اقطعها له المرحوم السلطان عبد الرحمن قبل وفاته
وكان قبل ذلك اقطعه بلادا في المحل المسمى بقرلي فابى والدي
الاقامة فيه لعجمة لسان اهله وعدم معرفتهم العربي فنقله الى
هذه البلد وهذا الاقطاع يشتمل على ثلاثة بلاد حلة جولتو الذي
فيه بيتنا والدبة وام بعوضة فاتفق مع الشيخ محمد كرا انه يتركني
في هذه البلاد اجمع خراجها وانتفع بزرعها فاخذ عليه المواثيق
بالعود واذن له وكتب له عدة اوامر الى العمال الذين بطريقه ان
يعطوه جميع ما يحتاج اليه وان يرسلوا معه جندا يوصله الى محل
الامن وودعه ورجع الينا مهتما بامر السفر فجهز نفسه في اقرب
وقت وذلك انه باع ما عنده من القطن وكان عنده قطن كثير
ينوف عن ماية قنطار لانه كان زارعا قطعة ارض تزيد عن عشرين
فدانا من افدنة بر مصر قطنا وكانت هذه القطعة يجمع منها وقت

24

هجوم القطن في كل يوم اربع عشرة ريكة والريكة في عرف اهل
دارفور كالقفة في عرف اهل مصر وهي ربما لو صبت فيها غلال
يسع نحو خمسة ارباع بالربع المصري فباع كل ذلك وباع مراح
غنم كان عنده وكذا باع البقر والحمير واخذ جواريه وعبيده وما
حصل لي من السيد احمد بدوي ومن الاب الشيخ محمد كرا ولم
يترك لي الا جارية بعينيها بياض تسمى فرحانة وعبدين وامرأتيهما
وحمارا وهجينا ضعيفا وترك لي احدى نسائه تسمى زهرة وامرأة
اخيه وكل منهما معها بنت وباع مطامير الغلال ولم يبق لي الا
مطمورا واحدا واعطاني وثيقة الاقطاع التي كتبها له المرحوم السلطان
عبد الرحمن حين اقطعه الارض المذكورة ونصها من حضرة السلطان
الاعظم والملاذ الافخم سلطان العرب والعجم ومالك رقاب الامم سلطان
البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين الواثق بعناية الملك
المبدي المعيد السلطان عبد الرحمن الرشيد الى حضرة الملوك
والحكام والشراتي والرماليج واولاد السلاطين والجبابين واهل
دولة السلطان من العرب والسودان اما بعد فان السلطان
المذكور المبرور المؤيد المظفر المنصور تفضل وامد بمعونته واعطى
العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الارض كائنة بابي

الجدول

شرطة
شرطي

الجدول حاوية لثلاث حلل من حلة جولتو والدبة وأم بعوضة
بحدودها المعروفة والخامها الموصوفة حسبما حدده الملك جوهر
للملك خميس عرفان لا يعارضه فيها معارض ولا ينازعه
منازع من اهل المملكة خصوصا جبابي العيش يتصرف فيها
باي نوع من وجوه التصرفات شاء هبة لوجه الله تعالى وطلبا للثواب
في دار المآب والحذر ثم الحذر من الخلاف والتعرض من الخاص
او العام ثم ان والدي حمل اثقاله واخذ رقيقه وسراريه واخاه وتوجه
وابقاني في المحلة وفي شهر رجب سنة ١٢١٩ قتل الاب الشيخ محمد كرا
في حرب عظيم وقع بينه وبين السلطان محمد فضل وسببه ان
اعداء الاب الشيخ محمد كرا دخلوا بالفتنة والسعاية بينه وبين
السلطان وقالوا للسلطان ان الاب يريد نزع المملكة من يدك
ويولي عليها اخاه باسي عوض الله فاظلم الجو بينهما واحتال السلطان
وجماعته في القبض عليه فلم يتيسر له ذلك وانعزل الاب بجماعته
في بيت آخر كان له بتندلتي بعيد عن بيت السلطان وارسل له السلطان
ان ياتي اليه فابى فلما لم يجد السلطان وجماعته حيلة للقبض
عليه وامتنع عنهم منعوه الماء فمكث ثلاثة ايام يستقي من
جديد السيل ثم لما اشتد العطش بجماعته قالوا له انا قد

عطشنا وليس عندنا من الدواب والقرب ما ياتي لنا بالماء الذي
يكفينا فارحل بنا الى محل اخر نشرب منه الماء او دبر لنا حيلة
فركب حينئذ هو وعسكره وتوجه للرهد وهو غدير الماء بتندلتي
فوجد عليه حارسا من دولة السلطان مع عسكر كثير يمنع
جماعته وهو الملك محمد دلدن ابن عمة السلطان محمد فضل
فقتله وقتل جماعته قتلا ذريعا وسمع بذلك جماعة السلطان
فخرجوا عليه ونشب الحرب بينهما فانكشفت جماعة السلطان
وكان ظهر يوم الخميس وخاف السلطان على نفسه ففر الى
جديد السيل وكان يوما على السلطان وجماعته لا لهم وما
زال الحرب بينهم حتى امسى المساء فنزل الشيخ محمد كرا بجماعته
في عرض الغدير ونزل جماعة السلطان قبالتهم من الجانب
الاخر حتى اصبح الصباح وكان الاب افتقد بالليل جماعته فوجد
اخاه باسي عوض الله قد قتل في الحرب فحزن لذلك وقال لنا قائل
وقد مات اخي واعز الناس عندي وكان قد اخرج معه بابي
طاهر بن السلطان احمد بكر عم السلطان محمد فضل وبايعه
على السلطنة وتلك حيلة عملها لئلا تنفر منه اهل دارفور لان
من عاداتهم ان لا يتولى عليهم الا من كان من اولاد الملوك من

بيت

بيت سلطانتهم ولما علم بقتل اخيه قال لمن حوله انى قد
كرهت الحياة ففى غد اياكم ان تقاتلوا بل ادخلونى فى الحرب
وانجوا انتم بانفسكم فحين شاع عنه ذلك فرت جميع عساكره
الا باعد ولم يبق معه الا ذوو قرابته فى نفر يسير تبلغ عدتهم
الفا او اكثر بقليل فلما اصبح ضربت طبول الحرب وركبت
جماعة السلطان وركب هو ايضا فى جماعته وادخلوه فى
الحرب والتحم القتال وغاص الاب فى جماعة السلطان واخترق
الصفوف حتى لم يبق بينه وبين السلطان احد ولو اراد قتله
لفعل ولكن تذكر معروف ابيه فمنع يده عنه ووقف امامه برهة
وقال له يا ابن الفاعلة انسمع فى كلام الناس ويكون هذا
جزاى معك وخاف السلطان ح على نفسه منه واراد ان
يفر ونادى قد جاء ليقتلنى فانطبقت عليه الناس من
كل جانب وداروا به كالخاتم بالاصبع ولم يجد معينا الا سيفه
فقاتل حسب طاقته وقتل عدة ابطال وجرح جراحات
غير بالغة فلم يكترث بها وخافوا ان يدركه احد من جماعته
فيخلص من ايديهم مع ان جماعته كلها انكشفت عنه
وبقى فيهم وحده فصار يقاتلهم نحو ساعة ثم لما عجزوا عنه

عقروا جواده فوقع على الارض فما استطاع النهوض لثقله لانه
كان لابسا درعين من الحديد فتكاثروا وتكالبوا عليه بالرماح
والسيوف حتى قتل رحمة الله عليه ولقد جُرِّد بعد موته فوجد
فيه ما ينوف عن ماية جرح من ضربة سيف وطعنة رمح ورجع ابن
زوجته محمد شيلفوت ظنًا منه ان يجده حيا فينقذه من ايديهم
فوجده قد قُتِل فجرد سيفه وغاص فيهم فقتل منهم عدة ابطال
وهو ينادي يالثارات الشيخ محمد كرا واخيرا تكالبوا عليه وقتل
هو الاخر بعد ان قتل اكثر من عشرين من المعدودين واذ قد
ذكرنا مقتل الاب الشيخ محمد كرا فلنذكر مبدا امره وكيف ترقى
به الحال ونتعرض لسلاطين دار فور حسبما علمنا من ثقاتهم
واخبرني به الجم الغفير من مسنّيهم فاقول ان السلطان
محمد فضل هو ابن السلطان عبد الرحمن بن السلطان احمد بكر
قيل ان السلطان احمد بكر كان له من الولد سبعة بنين وهم
عمر وابو القاسم وريز وريفا وتيراب وطاهر وعبد الرحمن وهو المدعو
باليتيم لان اباه مات وتركه حملا فلما حضرته الوفاة جمع ارباب
دولته وجعل ولاية العهد لجميع اولاده يتولاها كلهم الاكابر
فالاكابر وشرط ان لا يتولى هذا الامر احد من اولادهم الا بعد

انقراضهم

انقراضهم فلما توفي تولى اكبرهم المسمى بعمر فمكث في الملك سبع
سنين ثم قتل في حرب كان بينه وبين السلطان جودة سلطان
دار صليح المسماة بدار وداي وبدار برقو ثم تولى بعده اخوه
ابو القاسم فمكث ثمان سنين وقتل في الحرب مع سلطان
برقو ايضا ثم تولى بعده السلطان محمد تيراب فكره الحرب واقام
في بلده آمرا ناهيا سلطانا ثلاثا وثلاثين سنة انما سُمِّي تيراب
ارض الشام لان الفور يسمعون ان ارض الشام مخصبة
وانها من ارض الجنة سيما وفيها المحشر وهي عش الانبياء
فلقبوه بهذا اللقب لصدور الافعال الجميلة منه كما ان
ارض الشام نباتها كلها جميل ومعنى تيراب بلغتهم الحبوب
التي تزرع في التراب التي يعبر عنها اهل مصر بالتقاوي واهل
المغرب بالزريعة ولقبوه بذلك لانه كان رجلا كريما حليما
واسع الصدر جيد التدبير شفوقا على المساكين وكان اتاه
وكان مجونا يحب الزينة وانواع الملاهي وكانت ايامه كلها خصب
ودعة ورخاء اسعار الا ان اخر امره كرهته الناس لظلم اولاده
لان له ما ينوف عن ثلاثين ولد ذكر غير الاناث فصاروا يركبون
ويجوسون خلال البلاد وكلما سمعوا بشيء جميل اخذوه من

صاحبه ويكلفون الرعية ما لا تطيق حتى كان فيهم ابن له يقال
له مساعد كان من عتوه وتجبره يابى ان يركب الخيل بل كان
يركب ظهور الادميين فكلما وجد شابا امر بالقبض عليه
وركبه حتى اعياه وربما سافر السفر البعيد لا يركب فيه جوادا
ولا حمارا بل ينتقل على الناس حتى ينتهي سفره واذا لم يجد غريبا
ركب من جماعته وكانت الرعية ترفع شكايتهم لابيهم فكان
لا يشكوهم ولا يقبل منهم بل ربما غضب وقال ان هذا لهو
العجب اقليم مثل هذا لا يحتمل اولادي وكلما علوا صغيرة يشكون
الي فلما راى الناس ذلك ابطلت الشكوى ورفعت امرها الى
الله عز وجل وكان قد ولى المناصب الجليلة لاقارب ازواجه
فكانت جميع وزرائه اقارب زوجاته وكان اكبر اولاده اسحاق
المسمى بالخليفة كان اسحاق المذكور شجاعا مهابا ذا راي وحزم
الا انه كان فيه نوع ظلم وجور وسبب تسميته بالخليفة
ان اباه جعله خليفة بعده ولقبه بهذا الاسم وجعل له دولة
كدولته ووزراء كوزرائه فكل وزير كبير له ونعم كان السلطان
يامره ان ياتي بابنه للخليفة ليكون عنده بمنزلة ابيه عند
السلطان ومكث على ذلك مدة حتى سافر السلطان تيراب

الى

الى كوردفال وابقاه خليفة في دارفور كما ياتي بيانه ان شاء الله تعالى
وكان السلطان تيراب يحب الخلاعة والانبساط حتى كانت
الشبان تلعب مع البنات امامه اي يرقص البنات والشبان
وهو ينظر اليهم فلما اتفق ان جائت امامه طائفة من البرقد وهم
قبيلة من السودان لهم رقص معلوم يسمى تندكة ومن عاداتهم
اذا تعبوا من الرقص تجلس كل فتاة وشاب معا على حدة فلعبوا
حتى تعبوا وتفرقوا وجلسوا على عادتهم فقال الشاب للفتاة اترضى
ان اكون لك زوجا فقالت نعم ما الذي تعطيني من المهر فقال
لها انا رجل فقير ولا اجد شيئا اعز من المقابل لنا هذا واشار الى
السلطان وكان السلطان جالسا على كرسي مقابلا لهما فقالت
الفتاة قد رضيت ونظر السلطان لاشارتهما له فدعى بهما فلما
مثلا بين يديه سالهما عن ذلك فقال الشاب اني سالت
محبوبتي هذه في ان تتزوجني فرضيت وطلبت مني المهر فقلت
لا املك شيئا اعز من هذا المقابل لنا واشرت اليك فانبسط
لقوله وقال ارضيت بي مهرا لها قال نعم فقال السلطان
اترضيني بالفداء وانا افدي نفسي قالت نعم ارضى فدعا بابيها
وخطبها منه وعقد له عليها وامهرها جاريتين واعطى الرجل

عبدا وامر لهما برزق يعيشان فيه وهذا نهاية مكارم الاخلاق
اذ لا شي اعظم من جمع بين متحابين في الحلال ومن ذلك ما
حكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان في ايام خلافته
يطوف في المدينة المنورة بالليل ليقف على احوال الناس ويعلم
مظلومهم من ظالمهم وبينما هو في طوافه اذ سمع جارية تغني
وتقول شعرا

من الكامل

وهويته من قبل قطع تميمتي ... متمايس مثل القضيب الناعم
فكان نور البدر يشبه وجهه ... فيغيب ويبدو من ذوابة هاشم

فطرق رضي الله عنه الباب وقال لها من هويت فقالت اليك
عني فقال لا بد وان تعلميني فقالت له بحق صاحب القبر الا ما
انصرفت عني فقال والله لست بزائل من مكاني هذا حتى
تعلميني فتنفست الصعداء وقالت وانا التي قدح الغرام بقلبها
فتنت بحب محمد بن القاسم فقال لها احرة انت فقالت لا بل
مملوكة فقال لمن قالت لفلان سمته له فتوجه رضي الله عنه
ولما اصبح سال عن محمد بن القاسم فوجده غازيا بالعراق فارسل
الى مولاها واشتراها منه وارسلها الى محمد بن القاسم بالعراق
وكتب له القصة ثم قال واعلم يا بني انه كم مات بهن سقيم

وعطب

ذوابة

وعطب بهن سليم ومن ذلك ما حكي ان سليمان بن عبد الملك
ابن مروان كان غيورا على النسآء جدا حتى انه ربما سفك دم من
ظن انه نظر لبعض محاظيه نظر عشق فاتفق له ان احضر مغنيا
في بعض الايام وكان في النهار فاجلس المغني تحت السرير وامره
ان يغني واستلقى على ظهره على السرير وكانت معه جارية تروح عليه
من شدة الحر فاخذه النوم فرفع المغني راسه على حين غفلة فرأى
الخليفة قد نام والجارية تروح عليه فتاملها فوجدها كالشمس
في رابعة النهار فافتتن بها ولم يقدر على التكلم خوفا من الخليفة
فانهملت دموعه وهاج ولوعه فاخذ قرطاسا وكتب فيه شعرا

انى رايتك في المنام ضجيعتي مستر يشفا من ريق فيك البارد
وكاننا وكاننا وكاننا بتنا جميعا في فراش واحد

ثم القاه عليها فاخذته وقراته وكتبت له فيه

خيرا رايت وكلما املته ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي وتحل بين مراشفي وسوالفي
ونكون اول صاحبين تلاقيا رغم الزمان بلا مخافة حاسد

ورمت القرطاس اليه فالتقفه الخليفة قبل ان يصل اليه فلما قراه
احمرت عيناه وكاد يتميز غيظا وقال ما حملكما على ما صنعتما احب

قديم بينكما ام عشق خامركما في هذه الساعة فقالا بل والله في
هذه الساعة ولم يكن لنا به عهد قبل ذلك وانهملت دموعهما
فلما راى منهما ذلك رق لهما وقال للمغني خذها ولا تعد تقاربنا
انتهى فعاش السلطان تيراب مدة مديدة كما ذكرنا واكثر من
الازواج والسرارى حتى كان له من الولد اكثر من ثلاثين ذكرا راكبين
الخيل غير الاناث والصغار وفي ايامه تلك خدمه الشيخ محمد كرا
وكان غلاما مراهقا فامره ان يكون في الكوركوا اى اهل الحرب
اى يكون مع الجماعة الذين يحملون الحراب خلف السلطان حين
يركب وحين يجلس للحكم ولا خصوصية للسلطان في ذلك بل كل
ملك من ملوك الفور وقائد من قوادهم له جماعة يحملون الحراب
خلفه حين يركب او يجلس للحكم مسمون كوركوا ويرون ان ذلك
من تمام نظام الملك حفظا للناموس وهيبة للمخدوم في قلوب
رعاياه فخدم الشيخ محمد كرا في تلك الخدمة مدة وظهرت منه
علامات النجابة فاحبه السلطان تيراب ونقله الى سومينذقله
والسوم هو الدار وين هو علامة الاضافة والدقله هو العيال
ومعناه دار العيال والدار بلغتهم العربية اسم للمحل او الدار واهل
سومينذقله هم الامنا على مصالح المخدوم يرسلهم في اسراره رئيسهم

اعظم

اعظم مقاما من رئيس كوركوا فاغنى في خدمته حتى ان السلطان
كان لا ينادي في اكثر حوايجه غيره فحسده بعض اهل الدار فسعى
به الى السلطان قائلا ان محمد كرا خائن غدّار وانا اراه يجتمع هو
وفلانة الحظية في كل ليلة وتاتيه بالطعام الجميل فغضب
السلطان لذلك وهمّ بالبطش به فبلغ الخبر الى كرا فاخذ مدية
واختلى بنفسه في حجرة واستاصل مذاكيره بيده وجاء بها
الى السلطان وكان قريبا منه والقاها بين يديه وقال انما قيل
فيّ ما قيل لمصاحبتي لهذه وها انا قد استاصلتها لئلا يبقى في
قلب مولاي مني ريب ثم سقط مغشيا عليه فرحمه السلطان
وامر بمداواته فعولج حتى برا ثم ان السلطان امره ان يكون صحبة
الامين علي وزجامع احد الوزراء العظما ووصّى عليه الامين المذكور
بان قال له خذ هذا الغلام الى دراك واعتن به واكرمه واياك
ان تتهاون به فاني ارجوان يخلفك في منصبك فاخذه الامين
على مضض منه ووضعه في سوميندقله كما كان عند السلطان
وقد ذكرنا قريبا ان اهل سوميندقله هم الامنا على المصالح المهمة
يرسلهم المخدوم في اسراره فجلس كرا في ذلك المحل مدة وكان
لا يغيب عن باب مخدومه وكلما نادى الامين على احد من اهل

سوميندقله يحببه محمد كرا بل ربما لم يجد غيره فكان يرسله في
قضاء مصالحه وكان من عادته ان لا يذهب لقضاء مصلحة الا
نجح واغنى فيها فاحبه الامين قهرا عنه لما راى من كفايته فجعله
ملكا على اهل سوميندقله وميزه عنهم فصارت جميع الخدمة تحت
يده ياتمرون بامره وحين ولى هذا المنصب اجتهد في الخدمة زيادة
عما كان عليه ولازم باب مخدومه وكان في الامين نوع اهمال للامور
بينه انه كان ياتيه من الطعام وقت الغداء والعشاء ما ينوف
عن الثمانين فكان لا يلتفت الى ذلك بل كان ياتيه هو ومن معه مما
يكفيهم والباقي تتوزعه الخدمة بغير ترتيب وكثير من الانية ما يرجع
الى الحريم ملانا فالتفت محمد كرا الى ذلك ورتبه احسن ترتيب وهو
انه كان يبث الخدمة في اتباع سيده ينظرون من عنده ضيف منهم
فياتونه بالاخبار ويقولون فلان عنده ضيف وفلان وهلم جرا
فكان اذا احضر الطعام اختار لمخدومه من احسنه ما يكفيه هو ومن
معه ثم يوزع على الخدمة كفايتهم ثم يوزع الباقي على محال الضيوف
كل منهم على حسب حاله في المرتبة والغنى والجاه والعلم ويوصي
الحاملين ان يقولوا ان الامين ارسل لكم هذا ضيافة والامين
لا يعلم شيا من ذلك فصارت الناس تتشكر للامين وتتمدح به

وحين

وحين ياتون اليه يقولون جزاك الله خيرا ارسلت لنا الضيافة
العظيمة فلا يوجد نظيرك في امناء السلطان ويثنون عليه غيبة
وحضورا فكان الامين يتعجب من ذلك ويقول هولاء يثنون
علي ويقولون اني ارسلت لهم الطعام مع اني لم افعل شيئا من
ذلك لانه لا يعلم سببه وبقي متحيرا كيف يعلم سبب ذلك حتى
اتفق له ان كان في الحريم عند المساء وجاء خارجا الى الديوان
فراى محمد كرا يوزع الاطعمة فلما احس بذلك تربص واكمن في
محل فسمع الشيخ محمد يقول للخدمة كم في بيت الملك فلان من
الضيوف فقالوا له كذا وكذا فقال احملوا لهم كذا وكذا اناء وقولوا
لهم قد ارسل هذا العشاء الامين حتى وزع الطعام كله فقال من
هنا جاء العمل فضمه به واكرمه واعلا رتبته وجعله على الكورايات
في عرفهم هو الذي يحكم على الخيل وجميع الخدمة وهو منصب
جليل عندهم وان كان في عرف غيرهم لم يخرج عن كونه رئيس
السياس واقام محمد كرا في صحبة الامين علي على هذه الحالة
حتى سافر الامين علي الى كردفال صحبة السلطان تيراب وسافر
معه الشيخ محمد كرا بسبب سفر السلطان محمد تيراب
الى كردفال قد حكى لي الثقة العارف بالانساب ان السلطان

سلوك المدعو سليمان الجد الاول لسلاطين دارفور كان له
اخ يقال له المسبّع فاقتسم هو واخوه الاقليمين فاخذ السلطان
سليمان اقليم دارفور واخذ المسبّع اقليم كردوفال وتعاهدا
ان لا يخون احد منهما صاحبه فبقيا كذلك حتى كان في زمن
السلطان محمد تيراب كان الوالي على كردفال من اولاد المسبع
السلطان هاشم المسبّعاوي وكان فيه شهامة وشجاعة واقدام
على الامور الشاقة فاكثر الغزوات على بلاد التروج والعرب البادية
حتى صار ذا مال عظيم وصار عنده من العبيد ما ينوف عن عشرة
الاف عبد حامل للسلاح واجتمعت عليه اوباش الناس من
الدناقلة والشايجية والكبابيش وعرب الرزيقات حتى صار
في جند كثير فطمعت نفسه في تملك دارفور واستشار
ارباب دولته في ذلك فاشاروا عليه ان يبث السرايا اولاً على
اطراف البلاد ليضعفوا اهل مملكة دارفور ثم بعد ذلك يتوجه
اليها فسمع قولهم وبث السرايا على اطراف مملكة دارفور
فقتلت وسبت واغتنمت اموالاً عظيمة فارسل السلطان
تيراب الى السلطان هاشم يقول له بعد السلام يا ابن عمي
ارسلت سراياك على اطراف بلادي وانت تعلم ما بيننا من

المودة

المودة ولم يقع منا ما يخالف المودة مع انك تعلم ان الذين اخذت
اموالهم مسلمون والذين قتلوا موحدون وهذا الفعل لا يبيحه
احد ولا يفعله عاقل فاذا وصلك كتابي هذا فانته والا
سيلقى الباغي مصرعه والسلام فلما وصله الكتاب ما زاد
الا عتوا واستكبارا وبث السرايا ثانيا فعلم السلطان
تيراب انه ان لم يتداركه ويستاصل شافته زاد شره وخرب
البلاد فتجهز وتوجه اليه وهذا هو السبب الظاهر والسبب
الباطن انه يعلم ان الناس غير راضيين منه ولا يرضون بتولية
احد من اولاده خصوصا مع وجود اولياء عهد السلطان محمد
بكر الذين هم اعمامهم ولا سيما اذا تذكروا ما وقع منه ومن اولاده
من الظلم وهو يريد ان يعهد الى اكبر اولاده المسمى باسحاق الخليفة
كما تقدم فاغتنم الفرصة حين وقع من هاشم ملك كردوفال هذا
الامر واغتاظ في الظاهر واعلن ان هذا الامر لا يقوم به غيره
مع انه لو بعث الامين على او احد وزرائه لكفاه مونة السفر
والمشقة ولكن اراد ان يسافر وياخذ معه جميع اولاد السلطان
كبارا وصغارا ويقتحم بهم الحروب حتى يهلكهم ويهلك الوزراء الذين
لا يحبون الولاية لابنه ليتمكن اسحاق من البلاد والاموال والرجال

وينفرد بالذكر ولما كانت هذه نيته جمع جميع اولاد السلطان والوزراء الكبار وابقى مع الخليفة اولاد الوزراء كل منهم في منصب والده وارتحل بهم على هذه النية وان كان اخفاها فقد ظهرت على حد قول القائل

من الطويل

ومهما تكن عند امرءٍ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

مع انه عومل بخلاف قصده واعقبه الله تعالى بقتل ولده ولم ينفع تدبيره بشي ورحم الله القائل

من المديد

انّ الطاف إلهي لم تدع في الكون ضنكا
كلما رمتُ احتيالا لي قالت خلِّ عنكا
سلم الامر الينا نحن اولى بك منكا

وفي كون الامور دائما تاتي على خلاف المراد قال المتنبي

من البسيط

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فلما سمع ملك كرد فال بقدومه فرهو وجماعته واستجار بملك بسنّار واقام عنده فدخلها بغير حرب وصار يبث السرايا والجند في اطراف البلاد حتى دوّخها وجبى الاموال واستقامت الاحوال فمكث على ذلك حتى حال الحول وملت الناس من المقام وسالوه العود الى بلادهم فغضب لعدم ظفره بما امّل لكنه اخفى ذلك وقال

لهم

لهم كيف ترجعون وقد بلغني ان هاشم استجار بمث سنّار والملك
قد جهز له جيشا ويريد القدوم علينا فان رجعنا وجاء بعدنا
ظن انا فررنا منه ونال من البلد مراده وبعد ذلك يغزونا ويحوجنا
الى الرجوع له ثانيا وانا الآن مضمر اني اتوجه اليه قبل ان ياتي ولكن
حتى اتحقق الخبر ومكثوا بعد ذلك مدة فلم يظهر لما قاله اثر فتنكرت
قلوبهم وساءت احوالهم واشتاقوا الى اهلهم وعيالهم وتذاكروا
مع بعضهم في ذلك في خلوة فقال الوزير الامين علي ود برقو وكان
صهر السلطان اي ان السلطان كان متزوجا بابنته ماذا جعلتم
لي ان قتلته وارحتكم منه وتولون بعده عليكم من شئتم فضمنوا
له مالا عظيما وتعاهدوا معه على ذلك وجعل بينه وبينهم العلامة
صوت الطبل فمهما سمعوا الطبل يكونوا على اهبة مستحضرين
فصبر الامين علي حتى جن الليل ولبس درعين سابغين متينين
ولبس ثيابه عليهما وتقلد بسيفه ودخل دار السلطان وقصد
حجرة ابنته لما يعلم من حب السلطان لها لان السلطان كان
له بها مزيد اعتناء فكثيرا ما كان يجده عندها فلما دخل عليها عرفت
الشر في وجهه وخانه جده ان السلطان لم يكن عندها في تلك
الليلة فسالها عن السلطان فقالت لا اعلم اين هو ولكن ان

اردت بحثت لك عنه واعلمه بقدومك فقال لها نعم ما تصنعين
لاني شديد الاحتياج اليه في هذه الليلة وكانت في وقت محادثتها
له رائت طوق الدرع من تحت طوق الثوب فتاكدت الشر وذهبت
الى محل السلطان واعلمته ان اباها جاء طالبا له وانها رائت منه
امورا انكرتها منها انه لابس درعا تحت ثيابه ومتقلد سيفا مع
ان العادة لا يدخلون على السلطان بسيوف ابدا ومنها ان في وجهه
علامة الغضب فاحس السلطان بالشر لانه هو الذي كان يلح
عليه بالعود ويبالغ في القول له فامرها ان لا تعود اليه وخرج السلطان
ونادى كبراء العسس وامرهم بالقبض على من جاء خارجا عن الدار
وان افلت منهم لا يلومون الا انفسهم واخذ هو جماعة منهم حرسا
له متاهبين باسلحتهم وغاص في لجة داره ودخل في حجر بعض نسائه
واحتاط الحرس بها فجلس الامين علي في انتظار ابنته تعود فلم تعد
اليه بخبر السلطان او ان السلطان ياتي اليه ليبلغ اربه منه فلم
ياته احد بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن انفه
بكفه على حد قوله

الى حتفي سعى قدمي اري قدمي اراق دمي

ولما اعياه الانتظار قام يريد الذهاب الى داره خوفا من ان يطلع

النهار

النهار عليه ويفتضح فمشى قليلا حتى اذا قارب الغسس نهضوا اليه
وقالوا له ارجع حيث كنت فابى وعرفهم بنفسه لاجل ان يخلوا
سبيله فما امكن بل قالوا له نحن مامورون بالقبض عليك ان
لم ترجع الى المحل الذى جئت منه فسبّهم واراد ان يخرج قهرا
عنهم فهجموا عليه ليوثقوه حتى يصبح فقاتلهم وجرح اناسا منهم
فتكالبوا عليه وقتلوه ولم يستفد من بغيه الا فناء اجله ولهذا
قال عليه الصلاة والسلام لكل باغ مصرع او كما قال رحمه الله
السيد على الغراب حيث يقول

زارع البغى حاصد للندامه ... فاطلب السلم ان اردت السلامه
لا تثق بالمنى فما كل باغ ... نال ما يرتجى ووفى مرامه
ربما كانت الامانى مطايا ... للمنايا وموردا للندامه
ربما خيلت لراج منالا ... مثلما خيلت لراء منامه
رب ساع ليجتنى طيب عيش ... وهو يجنى وليس يدرى حمامه

واخبر السلطان ح بموت الامين فقال اجعلوه فى رداء وضعوه فى
محل حتى يصبح وحين بزغ الفجر امر السلطان باحضار عبيده
كلهم لابسين السلاح فحضروا ورتبهم على الابواب وامر البوابين
ان يفتحوا الابواب حتى اذا لم يبق احد اغلقوها عليهم وامرهم ان

لا يدعون حواشي القواد يدخلون معهم بل لا يدخل الا الامراء
فقط ووصى العبيد اذا أغلقت الابواب تاتي جماعة منهم ويقفون
امامه محيطين بالعالم الذين يكونوا في المجلس ثم امران تضرب
الطبول ضرب حزن وازعاج لان لهم في حال السرور ضربا معروفا
وفي حال الحزن كذلك فضربت الطبول كما امر وجاءت الوزراء والملوك
على طبقاتهم ظنا منهم ان علي ود برقو فعل ما اتفق معهم عليه فجاءوا
متهيين فخين وصلوا الى باب دار السلطان راوا الامر على غير ما
يعهدون فلم يجدوا ابدا من الدخول ودخلت اتباعهم معهم
فمنعوا وبقوا منفردين عن اتباعهم وجاء العبيد الذين اوصاهم
بالاحاطة بهم فاحاطوا بهم شاكين السلاح مظهرين الغضب
وخرج السلطان عليهم غارقا في ثياب سود متطيلسا بكشمير
احمر وهذا نهاية الغضب فجلس السلطان في محله المعد له
وامر باحضار القتيل فأحضر ملفوفا بالردا فامر بوضعه في وسط
الحلقة وقال اريد منكم ان تعرفوا هذا من هو فبادروا اليه وكشفوا
وجهه فعرفوه ولم يتجاسر احد منهم على التكلم لما قام عنده من
الغضب فقال لهم السلطان هل عرفتم هذا فسكتوا كلهم
فقام رجل منهم ذو دهاء وصهر السلطان ايضا فقال قد عرفناه

وهو

وهو الامين على ود برقو وقد دخل عليك باطلاعنا اجمعين فان
اردت قتلنا فها نحن بين يديك وان عفوت فالامر اليك
فقال السلطان وما حملكم على ذلك قال انك اتيت بنا الى هنا وتعلم
ان لنا في بلادنا اهلا وعيالا واولادا قطعتنا عن رويتهم والتمتع
بمعاشرتهم وليس لنا هنا شغل نعذرك في الاقامة بسببه
ولسنا نراك ناويا اوبة ولا يطيب لنا عيش الا بمكاننا فاجل
ما تصنع معنا ان تردنا الى اوطاننا فان قلوبنا انكرت الغربة
وحنت الى الاوطان

حنيني واشواقي لاول تربة ⁂ واول ارض مس جلدي ترابها

لاسيما وقد ورد عن سيد ولد عدنان حب الوطن من الايمان
فلما سمع مقال ذلك الرجل عرف صدقه وخاف ان يبطش باحد منهم
قامت عليه القيامة لانهم معذورون في ذلك فتخلص منهم بان
قال لا تستعجلون موتي فاني ميت لا محالة لاني مريض مرضا لا
يمكنني اطلاعكم عليه وهو الذي يمنعني عن السفر فان عافاني
الله في هذه المدة رجعت بكم واياكم ان تفعلوا مثل هذه والسلام
ثم انه بعد ذلك بايام اظهر انه مريض وصار لا يخرج الى الديوان
ولا ينظر في احوال الناس مع انه معافى الجسم ولم يعلم ان من

تمارض انقلب الهزل جدا ومرض حقيقة وربما مات وقد قال عليه
افضل الصلاة واتم التسليم لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا فانقلب
عليه الدست وحل به المرض والمقت وايقن انه هالك لا محالة
وكتب للخليفة كتابا يقول فيه بعد السلام اعلم يا ولدى
انه قد اعترانى مبادى ما لا بد منه ولا محيص عنه فاذا وصلك
كتابى هذا فخلو ولدك خليل على دارفور وعجل بالقدوم عسى
ان تدركنى وبى رمق لعلى ادبرلك شيا ينفعك والسلام وختم
الكتاب وارسله صحبة هجان وطاش الخبر ان السلطان ثقل
عليه المرض وارجف بموته وصارت الناس لا يتحدثون الا بذلك
وكان محمد كرا كثيرا ما يدخل دار السلطان ويجتمع على نسائه وكان
ممن يجتمع عليها اياكرى كنانة اعظم نساء السلطان صاحبة
الرتبة الجليلة لان كل سلطان يتولى لابد وان يحب احد نسائه
ومن احبها وقلدها امور الحكم فى بيته هى التى تسمى اياكرى حقيقة
وهذا اللفظ معناه السيدة الملكية وان قيل لغيرها من نساء
السلطان اياكرى فذلك من قبيل التعظيم لا غير وهذه كنانة
كانت صاحبة راى وتدبير كان السلطان تيراب لا يالو غيرها
الا الياسا ولهذا قلدها هذا المنصب لان هذا المنصب له

اقطاع

اقطاع ومعاليم واموال تُجبى لها منه وتصدر منها اوامرها
قواد يضبطون اموالها واحوالها فلما رائت ان السلطان
ميت لامحالة خافت على نفسها وكان لها ولد يسمى حبيب
خافت عليه ايضا فاجتمعت على محمد كرا وقالت له يا محمد هل
لك في حيلة تخلّصني وولدي من هذا الامر قال لها نعم الحيلة انك
تصلين حبلك باليتيم لانه هو صاحب الدولة بعد السلطان
تيراب لان كل الناس راضون عنه فقالت هل لك ان تجعل
بيني وبينه عهدا وتتوثق منه بانه اذا تولى يجعلني اباكري ويجعل
ولدي حبيب خليفة فقال لها كُرّا افعل ذلك ولكن ما يسُرُّك
ان شاء الله وكانت كنانة تخاف على ولدها حبيب من الخليفة
اسحاق لانه ابن ضرتها وعرفت ان اليتيم لا ولد له فقالت
يربي ولدي فذهب اليه محمد كرا واقرأه سلامها واخبره انها
تريد ان تعينه على التولية بشرط ان يتزوجها ويجعل ولدها
خليفة فعاهده على ذلك فقال محمد كرا وما ذا لي انا ايضا ان كتمت
سركما واعنتك بجهدي على التولية ودبرت بحيلتي على قدر طاقتي

من الطويل

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما   تموت الافاعي من سموم العقارب

فقال اليتيم ان فعلت ذلك واغنيت فيه قلدتك منصب

الاب وعاهده على ذلك فرجع اليها محمد كرا واعلمها انه استوثق
منه بما ارادت فاطمانت لذلك وصارت ترسل معه اخبار السلطان
وقتا فوقتا ولما ثقل مرض السلطان تيراب ويئس من مجى
ولده اسحاق الخليفة احضر الامين على ود جامع سيد محمد
كرا والامين حسب الله جران والامين ابراهيم ود رماد والاب
الشيخ عبد الله جُثّا واميناً اخر نسيت اسمه وقال اعلموا
انى صنعت معكم معروفا وارجو ان تكافئونى عليه بتنفيذ
وصيتى التى اريد ان اوصيكم بها فقالوا سمعا وطاعة فقال
للامين على انى اوصيك اذا انا مت بان تجمع العساكر كلهم تحت
يدك وتوصلهم الى اسحاق ولدى بدارفور فقال سمعا وطاعة
وقال للامين حسب الله قد جعلتك امينا على خزاين اموالى
اذا انا مت توصلها الى ولدى فقال سمعا وطاعة وقال للامين
ابراهيم ود رماد قد جعلتك امينا على دوابى وخيلى اذا انا مت
توصلها الى ولدى بدارفور وقال للاب قد قلّدتك الحريم والعيال
والخدم اذا انا مت توصلها الى ولدى وقال للاخر قد جعلتك
امينا على اسلحتى وملبوساتى واولادى اذا انا مت توصلها
الى ولدى فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة ودعوا له بالعافية

وبكوا

وبكوا لما هو فيه من المرض لانهم اصهاره ما عدا الاب لانه خصي
ثم ذهبوا الى محلهم وقضى السلطان نحبه وهم غائبون وحين
توفي ارسلت كنانة الى اليتيم بسبحة السلطان ومنديله وخاتمه
وجابه تعلمه بموته على يد محمد كرا وجآء أوليك الوزرآء الذين اوصاهم
فوجدوه قضى عليه فندموا على خروجهم من عنده ودبروا حيلة
واجمعوا امرهم ان يجعلوا السلطان في تخت بعد فتحه والقائما
في امانه وتصبيره يُغطّى ويحف بالعساكر ولا يتركون احد يصل
اليه وكل من سال عليه قيل له مريض حتى يصلوا الى دار فور ويسلموا
كل ذلك الى ولده اسحاق الخليفة والشيخ محمد كرا اخذ الاشيا الذكورة
وتوجه الى اليتيم وقال له عوضك الله في اخيك خيرا واعطاه الخاتم
والسبحة والمنديل فتحقق موت اخيه واخذ الاشياء وذهب
الى اخيه الاكبر المسمى بريز فحين اعلمه نهض قائما واخذ ريفا
وطاهرا وتوجهوا الى دار السلطان فلم يقدر احد على منعهم
وما زالوا داخلين حتى وصلوا الى المحل الذي فيه الجماعة والسلطان
تيراب مُسَجّى امامهم وهم يبكون عليه فدخلوا عليهم ولم يخاطبوهم
بل جلسوا حول اخيهم وبكوا حتى فاوا ثم التفتوا الى الجماعة وقال
لهم ريز اما كفاكم ان مدة حياة اخينا كان خيره لكم والآن تريدون

ان تاخذوا ننلوه ايضا الاجل ان يكون لكم حيا وميتا ها نحن
قد اطّلعنا على موته فافعلوا ما بدا لكم فقد تركناه لكم ثم خرجوا
وتركوهم فاختلف راى الجماعة بعدهم وقالوا قد فسد تدبيرنا
واطلعوا على موت السلطان فلا يمكننا ان ننفذ وصيته الآن
فقال الامين علي وذ جامع لا بد لى من تنفيذ وصيته او اموت
دونها ثم نادى يا محمد كرا اذهب الى محمد ولدى وقل له يجمع عساكرى
ويلبسوا دروعهم واسلحتهم وياتون الى باب السلطان فقال
سمعا وطاعة وذهب الى محمد ابن الامين وقال له ان حضرة الآن
يامرك ان تجهز العساكر وتركب معهم وتذهب الى اولاد
السلطان وتكون معينا لهم حتى ياتيك امرى فقال الامين محمد
سمعا وطاعة ونادى فى العساكر فتاهبوا وركبوا وتوجهوا الى
اولاد السلطان ورجع هو بعد ذلك للامين وقال له قد ذهبت
فوجدت سيدى قد اخذ العساكر وتوجه الى اولاد السلطان
فاغتاظ الامين على ذلك وعلم انه لا يقدر على تنفيذ وصية السلطان
تيرب وخاف من الايمان والعهود فاخرج علبة صغيرة كانت
معه وفتحها واستف منها شيا مما كان فيها فوقع ميتا ولما مات
انخذل الباقون وتفرق رايهم وهذه اقوى مكيدة عملها محمد كرا

ف

فى الامين وولده وبسببها وقعت العداوة بينه وبين الامين
محمد بن الامين على المذكور ثم ان الجماعة تفرقوا وذهب كل منهم
الى جيشه وهاجت الناس وماجت وعلموا انه لا بد للدولة
من سلطان يقوم بامرهم ويجمع كلمتهم وكانت اولاد السلطان
احمد بكر الذين هم اخوان المتوفى جالسين هم واتباعهم على حدة واولاد
اخوانهم واتباعهم على حدة والرعايا على حدة فنهضت جماعة
من المدبرين ودعوا بالقاضى والعلماء وارسلوهم الى اولاد
السلطان بكر لانهم هم الكبراء واولياء العهد من ابيهم وقالوا
لهم قلوا لهم بعد السلام اعلموا انه لا بد لهذا الامر من سلطان
يجمع كلمة الناس ويقوم بامرهم والملك لكم وانتم اربابه فعيّنوا
لنا سلطانا نرضى نحن وانتم فتوجهت العلماء والقاضى واخبروهم
بذلك فقالوا قد عيّنّا لهم اخانا ريزا لانه هو اكبرنا وسيدنا
ونحن تحت امره ونهيه فتوجهت العلماء لاولاد السلاطين
الصغار واخبروهم ان باسى ريزا يكون عليهم سلطانا فابوا
وقالوا ان باسى ريزا عمنا ووالدنا لكن لا نريد ان يتولى علينا لانه
صعب المراس فيه حدّة تخشى غايلته خصوصا ونحن اولاد
صغار نريد سلطانا حليما يربينا وان صدر من احدنا بادرة

يعاملنا فيها بالحلم وقالت الرعية ان باسي ريز املكنا وابن ملكنا
ولكن به حدّة والاولى ان يختار هو غيره لانه هو سلطان تولى
امر ينتول فرجعت العلماء واخبروهم بذلك فقال باسي ريز
قبلنا عذرهم وولينا عليهم باسي طاهرا فاخبروا به ايضا اولاد
السلطان فقالوا لا نرضى بعمنا طاهر لان له اولادا كثيرة لا ينتبه
لتربيتنا بسببهم وقالت الرعية انما كرهنا السلطان تيراب
لكثرة اولاده فان يولوا علينا طاهرا فنحن نرضى بالخليفة ان
يكون سلطانا لانه اقل اولادا منه فرجعوا واخبروهم فقال
ريز قد ولينا عليكم اليتيم فاخبروهم فرضوا به كلهم رعيةً واولاد
ملوك وانعقد امرهم عليه واخذوه وتوجهوا به الى دار
السلطان والبسوه الخاتم واقعدوه على كرسي المملكة ولم
يختلف عليه اثنان

الباب الثالث من المقدمة في ذكر

نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد واول
امره وولايته ووفاته قد ذكرنا فيما مضى ان السلطان احمد بكر
خلّف سبعة من الولد منهم السلطان عبد الرحمن المذكور وهو
اصغرهم لان اباه توفي وهو حمل في بطن امه ولذلك سمي باليتيم
فنشأ على احسن حال حفظ القران وقرا في الفقه وعرف الحلال والحرام

ولم

ولم ينتبه اليه ما انتبه له اولاد الملوك فى دار فور لان اولاد الملوك
هناك متى كبر الواحد منهم يخوض فى البلاد يتضيف وينهب
اموال الناس وكلما راى شيا اعجبه اخذه بدون ثمن ويقول
ان جميع ما فى دار فور من العالم عبيد لابيه الا عبد الرحمن فانه من
صغر سنه كان صالحا تقيا نقيا عفيف النفس وكان فى غاية
من ضيق العيش وكان اذا سافر وامسى عليه المسآء فى بلد
قال لمن ينزل عنده انا ضيف الله فان قبله مكث والا ذهب الى
محل اخر ولم يُسمع عنه انه ظلم احدا قط وكان لا ينسى الصنيعة
لمن فعلها معه بل يتذكرها ويجازيه عليها ومن ذلك انه كان
مسافرا فنزل عند رجل من قبيلة يقال لها ٱلْبَرْقِى فعرفه الرجل
وذبح له كبشا سمينا ولاطفه ولما جآء العشا وحضر الطعام راى
السلطان عبد الرحمن ان الرجل قد تكلّف له فقال له يا هذا اما
كان يُغنى عن هذا ما هو اقل منه لو ذبحتَ لنا دجاجة لقامت
مقامه وكنتَ ادّيتَ ما وجب عليك فقال لا يا مولاى والله
لو ملكتُ جزورا لنحرتُها لك السيد عبد الرحمن اليتيم ابن
سلطاننا فقال له اليتيم ومن اين تعرفنى قال عرفتك بحسن خُلُقك
وتقواك وانه سيصير لك شان فقال اليتيم لئن ملكتُ لاعطينك

اسمى مما ذبحت لنا وكان الامر كذلك فانه لما وُلِّيَ دعا بالرجل
وكان يسمى محمد دَرْدُوك وولاه منصبا جليلا واخرجه لجباية
اموال قبيلة العرب المحاميد وهي قبيلة عظيمة اهلها اصحاب
ابل فحصّل منها من الاموال والنوق والجمال ما لا يوصف ومنها انه
مر ببلاد الريح ونزل على رجل فقير يقال له جِدُّو فاكرمه على قدر
طاقته وكان هذا الرجل من بيت كبير وابوه كان ملكا عظيما يقال
لمن تولى في منصبه التكنياوي فلما ولى اليتيم ولاه منصب
ابيه ورايته واجتمعت به ومنها ان الفقيه مالك الفُوتاوي
الذي اسلفنا ذكره كان راى له مناما وصورته انه راى قمرا في
السمآء والناس ينظرون اليه ويقولون هذا اليتيم فاوّله ان
يلي الملك وذهب وبشّره بذلك فقال له ان صدقت رؤياك
لارفعن قدرك فكان كما قال وكان يصوم الخميس والاثنين على
الدوام ويصوم رجب وشعبان ورمضان وكان يحب اهل
العلم ويكرمهم وقبل ولايته بايام رشا عند المنجمين واصحاب خط
الرمل ان اليتيم هو الذي يتولى السلطنة بعد السلطان تيراب
وسمع السلطان بذلك فحقد عليه واراد قتله مرارا والله يمنعه
منه وكان يدعوه للطعام ويجعل له السم فيه فكان اليتيم يقول

انى

انه صائم ولا ياكل منه شيا ولقد اخبرنى من شاهد وقت
توليته حين ادخلوه لدار السلطنة انه كان عليه قميص قد بلى
حتى ان كتفيه ظاهران منه وبيده سبحة من خشب تساوى
فى بر مصر عشرين فضة ومكث عزبا حتى بدا الشيب فى لحيته
وما ذاك الا لفقره وعدم المال الذى يتسرى او يتزوج به ولم
ير النساء الا حين سافر الى كُرْدُفَال صحبة اخيه السلطان
محمد تيراب فمر على بلاد يقال لها البِيقُو فاعطاه ملكها جارية
وخشا تسمى أُمْبُوسَة فغشيها فولدت منه السلطان محمد
فضل ولما انعقد الامر عليه اجلسوه على سرير الملك كما تقدم
وبايعوه وكان اول من بايعه اخوه الاكبر ريز ثم ريفا ثم طاهر ثم اولاد
السلاطين فبايعوه ثم القاضى والعلماء ثم الامراء وضربت طبول
الحزن اعلانا بموت السلطان تيراب ثم بطلت قليلا وضربت
طبول الهناء اعلانا بتولية السلطان عبد الرحمن وكان من عادة
ملوك الفور ان السلطان اذا تولى يمكث سبعة ايام فى بيته
لا يسئل عن حكم ولا امر ولا نهى بل يجلس للتهنية والسرور
تدخل عليه العلماء والوزراء وارباب الدولة فلما تولى السلطان
عبد الرحمن ابطل تلك العادة وخرج صبيحة توليته فجاءت الوزراء

فراوه جالسا في ديوانه وتناول بعض احكام فلامره وقالوا ليست
العادة كذا فقال بئس العادة ليست في كتاب الله ولا في سنة
رسوله ثم جمع جميع ارباب الدولة وقال لهم ان كان لكم ارب في
ان اكون سلطانا عليكم تُبطلوا الظلم ولا تحدّث به انفسكم
وتتوبوا الى الله تعالى منه فان الظلم يخرب الدُوَل ويقصّر اعمار
الملوك فقالوا سمعا وطاعة ثم لما كانت صبيحة اليوم الثالث
امر باخراج خزائن السلطان تيراب فأُخرِجت ففرّق ما كان
فيها من العين من ذهب وفضة وثياب على العلماء والاشراف
والفقرآء ووجد فيها من الكشمير والجوخ الذي غث شي كثير
فامر ان يُرمَى خارج الدار وكل من وجد شيا ينفعه اخذه فلخرج
منه كالطود العظيم واجتمعت عليه الفقرآء ينهبونه وبسطوا
ايديهم بالدعاء للسلطان عبد الرحمن ثم لما كان سابع يوم اخرج
جواري السلطان تيراب وفرقها ايضا ولم يترك الا الحرائر وامهات
الاولاد التي تزوجها اخوه بالعقد ثم نصّب المناصب فجعل محمد
دُكّمي اميرا في منصب ابيه الامين علي ود جامع وامرهم بالأهبة
للرحيل الى دارفور فتجهزوا وحين خرج من كردفال مر على جبل التروج
فاوقع بهم واخذ جميع ما فيه من الشباب والبنات ولم يترك

فيه

فيه الا المسنين واجتمع بمشايخ عرب البادية من الرزيقات والمسيرية
فالتمس منهم المسير معه لحرب الخليفة وكلما اكتسبوه من
المال والسلاح والخيل فهو لهم فاجتمع عليه منهم الوف وتوجه
الى دارفور لكنه لم ياتها من جهة المشرق بل اتاها من جهة
الجنوب وقبل وصوله كتب الى الخليفة كتابا يقول فيه من عبد
الرحمن سلطان دارفور الى ولد اخيه اسحاق اما بعد فاني
اعزيك في والدك وان كان اخي لانك اقرب مني اليه واوصيك
ببر الوالدين فاذا علمت هذا فاعلم ان عمك وحرمتي كحرمة ابيك
وعار على الولد ان يصادر اباه او عمه فضلا عن ان يجرد في وجهه
حساما فانهاك عن القتال واياك ان تستفزك رعونة الشباب
وتسمع قول المفسدين فيحولوا بيني وبينك ولك على عهد الله
وميثاقه ان أُقرّك خليفة كما كنت في ايام ابيك واجعلك ولي
عهدي كما كنت ولي عهد ابيك فاسمع قولي واحقن دماء المسلمين
وان خالفت حلت بك الندامة وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون فلما وصل الكتاب الى الخليفة وعلم ما فيه كتب الى
السلطان عبد الرحمن بعد السلام اما بعد فاني عاهدت الله
تعالى ان لا اطأ غير بساط ابي وانا ولي عهده ولا حق لك على

وان قاتلتني فانا مظلوم والسلام ثم جهز له جيشا كثيفا ثم
لنظر الحاج مفتاح داداه واكبر عبيده فتلاقى هو وجيش السلطان
عبد الرحمن في محل يقال له تَبَلْدِيَة فكان مع كل انسان من جيش
السلطان عبد الرحمن سَفْرُوك والسفروك قطعة من العصى
صورتها هكذا فحين التقى الجمعان القى جماعة السلطان
السفاريك على جماعة الخليفة وقالوا الله اكبر ففروا وتبعهم جماعة
السلطان ياسرون وياخذون الاسلاب والخيول وتبعهم
العرب ايضا فاغتنموا منهم غنيمة عظيمة ونجا الحاج مفتاح وقَلَّ
من اصحابه براس طمرة وحين دخل الحاج مفتاح على الخليفة قال
له ما وراءك قال يا سيدي اني ناصح لك صالح عمك وان طلب
منك مالا فاعطه اياه واجعلني اول ما يعطى فانا فداوك فلما
سمع الخليفة منه هذا الكلام زجره وقال رجعت الى اصلك
يا عبد السوء لكن اللوم علي في ان اقدمك على العساكر ثم ان
الخليفة حشد الحشود وفتح الخزائن وفرق الاموال واعطى
الاقطاع فجمع جيشا عظيما لا اول له ولا اخر وبرز يؤمل النصرة
على السلطان فوصل الى محل يقال له تَالْدَوَا فادركه السلطان
هناك ولما عاين كل منهما صاحبه رتبا جيوشهما وصفا صفوفهما

وكان

x se rencontrèrent

lancèrent x

x curveurs aux mains

x firent prisonniers

bâtons x

x le blâme

وكان مع جماعة الخليفة رجل من الملوك يقال له بحر الجباى وهو الذى
يجبى الغلال للسلطنة ومعه اتباعه ما ينوف عن عشرة الاف من
الخيل خلاف الرجالة فلما تلاقى الجمعان اخذ جماعته وزحف على جيش
السلطان عبد الرحمن كانه يريد قتالهم ودخل فيهم والصق نفسه
بهم وبقى يقاتل الخليفة فترك فى صفوف الخليفة ثلما عظيما وفرجة
ما قدروا على سدها فانكسرت قلوب عسكر الخليفة بما فعل
الملك بحر والتحم القتال فلم يكن الا كلمحة بارق حتى تقهقر جيش الخليفة
وحين راى الخليفة ذلك خرج يقاتلهم بنفسه فكان كل من عرفه
يعرض عنه اكراما له ولابيه ومازال يفعل كذلك حتى راى جيشه انهزم
وبقى هو فى نفر قليل فلحق بجيشه فراى قد قتل اكثره وتبعتهم عساكر
السلطان يأسرون ويسبون حتى امسى المساء وحكى لى من كان
حاضرا انه وقت التحام القتال بينهما راى النجوم فى السماء وكان الوقت
ضحى ولقد شاهدت محل الوقعة فرايته جدبا فى وقت الربيع فسألت
عن سبب ذلك فقيل لى انه لا ينبت فيه نبت لما سال فيه من
الدما ثم ان الخليفة توجه باصحابه الى الجهة الشمالية وترك السلطان
بالجهة الجنوبية ولما انفرد الخليفة عن السلطان وابعد عنه ظلم
وتعدا وجار وصار يخرج الناس معه قهرا عليهم وكلما عثر بجواد

اخذه اوبمال استاصله فاجتمع له بذلك مال عظيم وخلق كثيرون
وعظم شره واستغاثت الناس منه الى السلطان فاراد ان يتوجه
اليه بنفسه فمنعه ارباب دولته فكتب له كتابا يقول فيه بعدما
يليق فانك طغيت وبغيت وظلمت وتعديت وقد نصحتك اولا
ان تحقن دماء الناس فابيت وكان منا ما كان والان فقد تعنت
على قتالنا بظلم العالم ونهب اموالهم وانا انصحك ثانيا ان تترك
ما انت عليه من الرعونة والجبر والعتو فان رجعت الينا ثانيا
قبلناك وجعلنا لك ما جعلناه اولا وان ابيت فالاثم عليك وانت
المذموم وان اصررت على القتال فالرعية لا ذنب لها فعف نفسك
عن اموال الناس وها هو مالي بين يديك خذ منه ما شئت حتى
يحكم الله والسلام فلما وصل اليه الكتاب وعلم ما فيه مزقه ولم
يرد له جوابا وزاد شره وكثر شاكوه فارسل اليه ملك الجهة
الشمالية ويسمى بالتكنياوى في جيش فذهب اليه التكنياوى
فادركه في محل يقال له بوّا فحين راى الخليفة الجيش قد اقبل رتب
صفوفه ووقف حتى وصل اليه الجيش والتقى الجمعان وكان جيش
الخليفة قد اثر فيه الرعب من وقعة تالدوا فاراد الانهزام
فثبتهم الخليفة واقتحم الحرب بنفسه هو وجماعة من تربه

فكان

فكان كلما حل في جهة يفرون منه حياءً لا خوفا حتى دخل في القلب
ووصل الى التكنياوي فقال له يا عبد السوء الست عبد ابي
تغدر وتقاتلني وجرّد حسامه وضربه حتى قتله وحين خر قتيلا
تشوش صفه وانهزم جنده وتبعهم عسكر الخليفة فاخذوهم
قتلا واسرا ونهبا ولم ينج من الفل الا القليل وغنم الخليفة خيلهم
وسلاحهم وما كان معهم فانجبر خاطره وامل النصرة على عمه وتقوى
بما حصل له من الغنيمة وبلغ ذلك السلطان عبد الرحمن فاغتاظ
ثم ارسل اخاه ريفا مع جيش اخر فادرك الخليفة في بوّ ايضا وحين
راه الخليفة رتب صفوفه وعبّا عساكره وكان قد اعدّ كمينا في
محل منخفض وقال لهم اني اتقهقر بالعساكر وهم يطمعون فيّ
وياتون خلفي فاذا رايتموهم فعلوا ذلك فاصبروا حتى تروهم
امامكم ثم كونوا من خلفهم وانزلوا فيهم واثخنوا فيهم ونحن نرجع
عليهم فنكون امامهم وانتم خلفهم فلا يفلت منهم احد وكان الامر
كذلك فحين التقى الجمعان تقهقر جماعة الخليفة فظن جماعة
السلطان انه انهزم فاوغلوا فيهم حتى صاروا امام الكمين وهم
لا يعلمون فخرج الكمين عليهم واثخنوا فيهم بالقتل وكر الخليفة
راجعا فتضعضع جيش السلطان واختل امرهم وتشوش

صفهم وقتل باسى ريفا اخو السلطان امير الجيش وقتل اكثر
الجيش ولم ينجُ منهم الا القليل وح قويت شكيمة الخليفة
وطمع في ان يرجع الى السلطان ويقاتله وما عُلِم ان الامور بالخواتيم
ولما سمع السلطان بموت اخيه ريفا اغتم غما شديدا ولام نفسه
على القعود عن الحرب وقال لو لم اسمع كلام الناس وتوجهت
بنفسي لم يحصل هذا الامر وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ارتحل
من يومه وقصد جهة الخليفة بجيش يسدّ السهل والوعر
وجاءت عيون الخليفة فراوا جيش السلطان وما فيه من العساكر
التي لا يقدر الواصف على وصفها والعادّ على حصرها واسرعوا
بالخبر اليه فخاف على نفسه وجماعته فاصبح راحلا قاصدا بلاد الزغاوة
لان ملكها خاله يريد ان ينزل عليه ليمده بجند من عنده فسار
يقطع الارض ليلا ونهارا والسلطان على اثره لان الجواسيس
اخبروه بقصده فخاف السلطان انه اذا وصل الى زغاوة يمده خاله
بجيش ويعسر امره ويطول الحال بينهما فجد في طلبه حتى ادركه
بمحل يقال له جركو وكان في طليعة جيش السلطان الامين محمد
دُكمي بن الامين علي ود جامع الذي سمّ نفسه في كردفال كما سبق
فلما التقى الجمعان ظن الخليفة ان الجيش هذا فقط فكر راجعا

عليهم

عليهم وناوشهم القتال وقاتل بنفسه ففرت الناس امامه حتى
وصل الى الامين محمد دُكَّني فوقف امامه وصار يضربه بالسيف
ويقول له يا عبد يا خائن يا غدار الك عين ترفعها تخون نعمتى
ونعمة ابى وتاتى لقتالى والامين ساكت لا يتفوه بحلوة ولا
مرة لكن كان لابسا درعين فلم يعمل سيف الخليفة فيه شيا فلما
اعيى الخليفة امره تركه واراد ان يذهب فصبر عليه الامين
محمد حتى التفت وضربه على عاتقه الايمن بالسيف وكان ذا قوة
فكسر عظم ترقوته وانكسر السيف من مقبضه وطار فى الحال
فخدرت يد الخليفة وارخى ذراعه وعلم بذلك الامين محمد فطمع
فيه واراد ان يقبض عليه فادركته جماعته فخلّصوه منه وانهزم
حينئذ جيش الخليفة وتبعه الامين محمد بجيشه وارسل السيف
المكسور الى السلطان عبد الرحمن يعلمه بما وقع فارسل السلطان
فى الحال للامين محمد سيفين عظيمين محلّيين وامره بالمسير
خلفه وانه على اثرهم وكان ح بالعسكر رجل من ابناء العرب
يقال له زبادى قيل انه من فلّاحين مصر وكان يصطاد بالبندق
ويصيب فتجاسر على السلطان وقال له يا مولاى ان ارحتك
من عدوك فى هذه الساعة فماذا يكون لى عليك قال السلطان

عبد الرحمن له اذا ارحتني منه لك علي مائة راس رقيق فقال
ارسلني الى الامين لاكون في عسكره وترى ما يصير اليوم فارسله
في الحال الى الامين بكتاب من عند السلطان يقول له فيه ان
زبادي قد التزم براحتنا من عدونا والتزمنا له الجزاء في ذلك
وطلب ان يكون في عساكرك فها هو واصل اليك فان التمس
منك شيا فساعده واكرمه واني على اثركم وركب زبادي على
هجين ولحق بعسكر الامين فاعطاه امر السلطان فقراه ورحب
به وسار في الجيش وبالامر المقدر ان الخليفة آلمه ذراعه واراد
ان ينزل للراحة فمنعه ارباب دولته عن النزول فقال لهم ولم
تمنعوني فقالوا ان الامين محمد قافي اثرنا بجيشه والقتال بيننا
وبينه دائر فغضب وقال الم يرجع عنا فقالوا لا فكر راجعا
على عسكر الامين فتعرضوا له ايضا فقال ولابد وبينما هو
ينازعهم على الرجوع ويلاطفونه في الترك اذ جاء زبادي وتامل
الخليفة وعرفه واخذ عليه النيشان واطلق البندقية فاصابته
قيل في صدره وقيل في راسه فخر فاسندوه ومشى قليلا وصار
يجود بنفسه فحين راى ارباب دولته انه يجود بنفسه نصبوا
له سرادقا وادخلوه فيه ووقف الجيش يذب عنهم والقتال دائر

atteindre le but

يذب عنهم عند السلطان كلما وقع بينهم امر مع اعدائهم
من القبائل الاخر

بين فريقين حتى وصل الامين فراى العسكر وقوفا ونار الحرب تستعر فسال عن الخبر فقيل له ان الخليفة اصيب بالرصاص وهو يجود بنفسه وعجز عن الحركة فنصبوا له هذا السرادق ووقف جيشه يذب عنه فقال اما اذا كان الامر كذلك فاتركوا القتال واحيطوا بهم حتى ننظر ما يكون وارسل الى السلطان يعلمه ان الخليفة اصيب برصاصة من زبادي وهو يجود بنفسه فان كان يمكن مولانا ان يحضره قبل ازهاق روحه فليفعل وبعد ذهاب الرسول الى السلطان بقليل قضي على الخليفة واعلن بالبكا ونزل الجيش الذى كان يقاتل من ظهور الخيل وكذا نزل جيش الامين مفرد

من البسيط

لا يا من الدهر ذو بغي ولو ملكا جنوده ضاق منها السهل والجبل

مفرد لكاتبه

من الكامل المجزو

لا يمنع الجيش الكثيف من الردا ولا يمنع القدور برج مشيد

وبعدها بقليل حضر السلطان وجيشه فاخترق الصفوف وحين رآه جيش الخليفة اعطوه الطاعة فدخل السرادق هو والامين محمد وجماعة من ارباب الدولة وكشف الغطاء عن وجه الخليفة وبكى بكاء شديدا وقال يا ولدى انت فعلت هذا بنفسك ونهاك

واعطاه عدة جوارى وامره ان يكون عند الفقيه نور الانصارى
زوج ابنته المير مزحوا وكان رجلا من سلالة الانصار محبا
لاهل العلم وفيه فقه فقرا على والدى نبذة من صحيح البخارى
واعلم السلطان بعلميته وانه ماهر فى العلوم العقلية والنقلية
فاحضره لديه وقرا عليه فى شهر رمضان جزء من الحديث
وتعلقت به امال الفقيه مالك فامر اولاده ان يحضروا عليه
فحضر عليه من اخوانه الفقيه ابراهيم والفقيه مدنى والفقيه
يعقوب ومن اولاده الزاكى والسنوسى ومحمد جلال الدين
وابن اخيه الفقيه محمد البركاوى وحضر عليه الفقيه حسين
ود تورس وامره السلطان ان يكتب على الخصائص التى الف
متنها مغلطاى التركى فكتب عليها شرحا عظيما نحو ستة
عشر كراسا سماه الدرة الوفية على الخصائص المحمدية ورساله
فى شرح على مختصر الشيخ خليل المالكى فى الفقه فكتب عليه
شرحا فى مجلدين سماه الدر الاوفاق على متن العلامة خليل
ابن اسحاق وكتب على الاجرومية شرحا كبيرا ادخل فيه نحو
مايتى بيت من الفية ابن مالك فاتى مجلدا ضخما ثم اختصره فى
كراريس وكتب على السلم المرونق شرحا لطيفا فى كراريس والف

رسالة

رسالة في علم الكتو ووفد على السلطان عبد الرحمن الفقيه
الزاهد الناسك الشيخ التمرو الفلاني ووفد عليه الفقيه النبيل
الشيخ حسين عماري الازهري ووفد عليه من اشراف مكة
الشريف مساعد يقال انه من اولاد الشريف سرور وكان قاضيه
الفقيه النزيه الشيخ عز الدين الجامعي وهو قاضي القضاة بدار
فور واعمالها وكان السلطان عبد الرحمن جوادا كريما عادلا عفيف
النفس وكان وسط القامة شديد السواد قد وخطه الشيب
ابح الصوت شديد الغضب سريع الرضا ذا تدبير حسن فمن
حسن تدبيره انه لما دخلت الفرانساوية مصر وهرب الغز
عنها توجه الى دارفور منهم كاشف يسمى زوانة كاشف قيل انه من
مماليك مراد بيك او هو احد كشاف الالفي ومعه اكثر من
عشرة مماليك ومعه امتعة زائدة وجمال وخدم وطباخ وفراش
وسياس واخذ معه مدفعا وهاون بنبغين حل بدارفور اكرمه
السلطان عبد الرحمن واحسن ملقاه وانزله نزلا حسنا واجرى
عليه من الارزاق شيا كثيرا حتى صار لا يعرف رقيقه لكثرته ثم
طلب من السلطان ان يبني بيتا كبيوت مصر فاذن له في ذلك
فضرب الاجر واستخدم العبيد في قطع الاحجار وصنع بيتا

قادما من الصيد فقال له احدهما انا مظلوم يا رشيد الله يخليك
يا رشيد انا مظلوم ومن عادتهم ان المظلوم اذا جآء امام
السلطان يضع اصبعي يده اليمنى اى السبابة والابهام على
شدقيه ويرددهما مع اخراج صوت عالٍ فيه كاف واحدة وراآت
كثيرة مضمومة فيخرج من فيه صوت يقال له الكُرُورُك وهذا
الصوت لا يصوته به احد الا اذا كان اصيب بمصيبة فكان
الاعرابى يصوت كذلك ويقول بعد كل صوت الله يخليك يا رشيد
انا مظلوم وشُغِلَ عنه السلطان إمّا لامر قام به او لانه لا
يسمعه لكثرة الطبول والغنا واصوات الجند فكرورك الاعرابى
مرارا فلما لم يجبه السلطان قال له صاحبه خلّه عنك رشيد لنفسه
لا لك فسمعه السلطان فوقف وسال الاعرابى عما قال فقال ان
اخى هذا اكرورك مرارا واشتكى لك وهو ينادى يا رشيد انا مظلوم
فلما لم تجبه قلت له خله فانه رشيد لنفسه غير رشيد لك
فضحك السلطان وقال بل انا رشيد لك ايضا قل لى من ظلمك
قال ظلمنى باسى خبير وكان باسى خبير من اقاربه فقال وما اخذ
منك قال اخذ منى خمس نياق فوقف مكانه ودعا بباسى خبير وساله
فاعترف فامران يدفع له عشرة نياق خمسا حقه وخمسا تاديبا

له

له فدفعها وذهب الاعرابيان وهما في غاية الغبطة والسرور
وفي ايامه تلك نصب محمد كرا في منصب الاب الشيخ وهو اجل
المناصب هناك صاحبه مطلوق السيف له دولة كدولة السلطان
وشارات كشاراته ومن عادة هذا المنصب لا يتولاه الا خصي
لانه يخشى من غير الخصي اذا تولاه وقويت شكيمته ان يصادر
السلطان ويطلب الملك لنفسه وبعد تولية الاب الشيخ محمد
كرا وجهه الى البلاد فنزل في ابي الجدول وسلك طريق العدل في العمل
وضبط الامور حتى انه قتل اناسا كثيرين لما وقع منهم من الظلم
ولما ظهر عدل السلطان وحبه للعلماء واهل الفضل والاشراف
وفد عليه الاشراف والعلماء من جهات عديدة فكان اول وافد
عليه والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان وكان حين قدومه
الى دارفور نزل بكوبية على الفقيه حسن ود عووضة وبلغ اهل
كوبية انه جاءهم رجل عالم من تونس فاجتمع عليه اكابرهم كالفقيه
محمد كرنيتيم والشريف سرور بن ابي الجود وعبد الكريم بن الفقيه
حسن ود عووضة واضرابهم وطلبوا منه قراءة مختصر الشيخ
خليل فقرأ لهم منه ربع العبادات ووصل خبره الى الفقيه مالك
الفوتاوي فاعلم به السلطان فارسل اليه فذهب له فاكرمه

+ le plus illustre
eunuque
force +
faire mine
+ tenir fermement
+ accoururent
+ bénédictions
+ nuages
+ légiti- dévot
+ abrégé
+ dévotions

فلم تقبل وكان امر الله قدرا مقدورا ثم التفت الى ارباب دولة
الخليفة وقال لهم لقد زينتم القتال لولدي حتى قتلتموه أما فيكم
ذو عقل يكفّه وينصحه فحلفوا كلهم انهم براء مما كان فيه وانهم
نصحوه فلم يقبل وقالوا له يا سيدنا نحن تقلدنا نعمته وقاتلنا
عنه حتى قضى الله فيه وما خنّاه وان انت قبلتنا نقاتل عنك
كذلك ولو خنّاه وخدمناك نخونك ايضا فعرف صحة قولهم وقال
قد عفوتُ عنكم فمن اراد ان يكون معي منكم فهو على رتبته
ومقامه ومن ابى يلتمس خيرا ثم امر بدفن الخليفة في ذلك المحل وابى
يدفنه في مقبرة الملوك وقال هذا عاقّ لا يُدفن في مقابرنا فدُفن
هناك واقام السلطان بقية نهاره وليلته واصبح قافلا الى
الفاشر محفوفا بالنصر مستبشرا بذهاب عسر كان ابا الطيب
رآه على تلك الحال حين انشد وقال

من الكامل

بسر حيث شئت تحلّه الانوارُ ... واراد فيك مرادك الاقدارُ

واذا ارتحلت فرافقتك سلامةٌ ... حيث اتجهت وديمةٌ مدرارُ

وصدرت اغنم صادرٍ من موردٍ ... مرفوعة لقدومك الابصارُ

انت الذي لهج الزمان بذكره ... وتزيّنت بحديثه الاسمارُ

واذا تنكّر فالفناء عقابه ... واذا عفا فعطاوه الاعمارُ

وله

ولهُ وانْ وَهَبَ الملوكُ مواهبٌ دُرّ الملوكِ لدرها اغبارُ
لله قلبُك لايخاف من الردى ويخاف ان يدنو اليك العارُ
وتحيدُ عن طبع الخليقة كلّه ويحيدُ عنك الجحفلُ الجرّارُ
يا من يعزّ على الأعزّة جارُهُ ويذلّ في سطواته الجبّارُ
كن حيث شئت فما تحولُ تنوفةٌ دون اللقآء ولا يشطّ مزارُ

وكان الفاشر اذ ذاك بالمحل المسمى قرلي وكان فاشر السلطان تيراب بالريل وفاشر الخليفة بجديد راس الفيل ثم انتقل بعد ذلك وجعل الفاشر بالمحل المسمى تندلتي وهو فاشر ابنه الآن ولم يعهد للفور اقامة في فاشر كاقامتهم في فاشرهم هذا المسمى تندلتي ولما اراح قلبه من قتال الخليفة وسكن جاشه نظر في امر الرعية فابطل المكوس ورفع المظالم وولّى المناصب وانتبه لعمار البلاد ورفاهية الحال وقطع الاعلان بشرب الخمر والزنا وامن الطرق وكانت مخوفة فبعد ذلك صارت امنا حتى ان المراة كانت تسافر من اقصى البلاد الى ادناها محملة من الحلى والمتاع لا تخشى الا الله وكثرت التجارات وتتابع الخصب واظهر العدل التام فكان لا يكرم ظالما ولا يعينه ولو كان من ذوى قرابته ولقد اخبرني الثقة ان اعرابيين تعرضا له يوما وكان

جميلا وسوّره بسور وجعل السور عريضا وجعل فيه مزغلتين
مقابلتين لبيت السلطان يضع في احداهما المدفع وفي الاخرى
هاون البنب وكان محل هذا البيت اعلا من محل بيت السلطان
بحيث كان يرى السلطان حين يدخل وحين يخرج فسولت له
نفسه ان يقتل السلطان ويملك البلد بان يرصد وهو داخل
او خارج ويطلق عليه مدفعا يهلكه به لكن خاف ان قتل السلطان
لا يطيعوه اهل المملكة وارباب الدولة فاحتال ان اجتمع بالفقيه
الطيب ود مصطفى وكان هذا الفقيه وزير السلطان تيراب
وصهره اعني ان السلطان تيراب كان متزوجا باخته واتت
منه بولد فلما اجتمع عليه زوانة كاشف فشى سره له بعد ان
عاهده على الكتمان وقال له انه قد بلغني ان ابن اختك ابن
السلطان واريد ان تجعل يدك معي فنقتل هذا ونولي ابن اختك
وتصير المملكة بيننا فرضي الفقيه الطيب بذلك ثم قالوا ان
هذا الامر لا يتم لنا الا بادخال بعض الناس الذين تكون لهم عساكر
فقال زوانة ذاك اليك وانت اعرف الناس به فصار الفقيه
الطيب يخادع الناس ويأتي بهم الى الكاشف والكاشف يعطيهم
الاموال ويحلفهم ان يكونوا معه حتى ادخلوا في امرهم عدة

رجال

رجال واتفق ان رجلا من الامرآ خادعه الفقيه الطبيب وجآء به
الى الكاشف فاعطاه عطية سنية واطلعه على الامر وحلفه على الكتمان
فحلف واخذ العطآء وتوجه به الى السلطان واطلعه على جلية
الامر وحقيقته فقال له السلطان خذ عطاك واذهب وكن
معهم على ما انت عليه واياك ان تخبر احدا انك اتيتني ولما كان
من الغد جآء زوانة الكاشف الى بيت السلطان فاكرمه اكثر مما
كان يكرمه واعطاه في ذلك الوقت مائة عبد ومائة جارية ومائة
ناقة ومائة جرة سمنا ومثلها عسلا ومائة حمل دخنا وكساه
كشميرا احمر وجوخة حمرا وقلده سيفا واعطاه جوادا سرجه
من ذهب وتوجه الكاشف الى منزله مغتبطا بما حصل له من
السلطان وقال هذه اموال ساقها الله الي استعين بها على
هذه المصلحة ولما امسى المسآء وكان بعد العشا امر السلطان
باحضار ملك من الملوك بعسكره وامره ان يقف حتى يرى الكاشف
دخل دار السلطان يعقبه ويضبط جميع ما في بيت الكاشف من
الاموال وحذره عن ان يفلت منه شي ثم ارسل للكاشف غلاما
يقول له ان سيدي جلس للسمر وقد اراد ان تحضر مجلسه الآن
ورتب عبيدا للقبض عليه عند امر السلطان به فذهب

الغلام واخبره بمقال السلطان فحضر معه ولما دخل على السلطان
اكرمه وكان معه بعض من الخدم دخلوا معه بابين ومنع ان
يدخل من الثالث وقيل لهم اصبروا هنا حتى ياتي سيدك فكدروا
مكانهم وجلس السلطان يتحدث مع الكاشف حتى فاتت من الليل
حصة فقال السلطان اني جايع والتمس ما يوكل فاتى بلحم نصيص
اي حنيذ غير مقطع فالتمسوا سكينا فلم يجدوا فاخرج الكاشف
سكينا كان معه واراد ان يقطع اللحم فحلف عليه بعض الحاضرين
ان لا يفعل وانه هو الذي يقطع فاخذ منه السكين وصار
يقطع بها فاخرج الكاشف الخنجر فاخذه اخروج امر السلطان
بالقبض عليه فلما قبض عليه قال له السلطان اي ذنب جرى لك
مني حتى انك تريد قتلي وتغوي عساكري وتخادعهم فقال اقلني
فقال لا اقالني الله ان اقلتك وامر بذبحه في الحال فذبح كالشاة
وفي الحال جيئ باموال وما كان عنده من رقيقه وغيره حتى لم يبق
في البيت شي وامر السلطان بهدم بيته فهدم ومحيت
رسومه وكانه لم يكن وقبض على اتباعه في تلك الليلة وباتوا
محبوسين ولما اصبح الصباح دعا بهم السلطان فحضروا فعفى
عنهم واطلقهم وامر عليهم خازندار الكاشف وكان يسمى

يوسفا

يوسفا وثم تتبع جميع من تعاهد مع الكاشف وقبض عليهم
واحدا بعد واحد حتى لم يبق منهم احد وكان اخرهم الفقيه الطيب
فانه قبض عليه وقتله اشر قتلة وسجن ابن اخته سجن الدوام
الى ان يموت وكيفية القبض على الفقيه المذكور انه ارخى له العنان
وبذل له الاموال واظهر له الود التام بحيث ان الفقيه الطيب
لم يخطر بباله ان السلطان معه علم بانه كان مع زوانة كاشف
ومضت على ذلك مدة حتى كان في بعض الايام حضر الفقيه الطيب
دار السلطان وكان السلطان جالسا في ديوانه وحضرت له
ابل موقورة عسلا فاعطاها للفقيه الطيب وامر له بكسوة فاحضر
له كشمير احمر وكسوة جليلة فلبسها ودعا للسلطان بدوام
العز وجلس ومن عادة ملوك الفور اذا كسوا انسانا كسوة
حمرا فانهم في غضب عليه ولا بد ما يقتلونه وتذكر السلطان
ما كان منه ونفاقه مع الكاشف في اخر المجلس فالتفت الى الحاضرين
وقال لهم اشهدكم بالله هل هذا الفقيه في ايام اخي ارفه حالا واكثر
مالا ام هذا الوقت فقالوا كلهم لا والله بل في هذا الوقت ارفه
واغنى وانفذ كلمة فقال السلطان سلوه ح لم خانني وتواطأ
مع الكاشف على قتلي وخراب داري فسئلوه فاقسم على السلطان

بالله العظيم ان يقتله ولا يكلفه جواب هذا السوال لان الموت
عنده اهون من ذلك فابر السلطان قسمه ح وامر فذبح كالشاة
واخذ جميع ما عنده من الاموال والضياع ولم يفلت منه شي
وقد سمعت انه ارسل العساكر لاخذ ماله من ضياعه قبل ذلك
بمدة وعين لهم ان يكبسوها في ذلك اليوم بعينه خوفا ان
يطيش الخبر ويفلت منها شي وذلك كله من سعادته ومن
سعادته ايضا ان جميع من رامه بسوء يخذل ويمكنه الله منه
ومن ذلك ما حصل من اياكري كنانة ام حبيب المتقدم ذكرها
وذلك ان السلطان تغافل عنها ولم يفِ بما وعدها به إما
لامر قام به او خوفا على نفسه منها او من ولدها فلما رات
تغافله لها وكانت في دار السلطان وابنها حبيب متاهل في
دار له عقدت له بالمكاتبة مع بعض الملوك عقدا واتفقت
معه ان يساعد حبيبا ليتولى سلطانا خصوصا قد انقطع
املها حين رات ان السلطان ولد له فخافت على ولدها لكن
السلطان وان كان تغافل عنها الا انه كان مبقيها في منصبها
آمرةً ناهيةً مقاليدُ امور الدار كلها بيدها فلما نوت الغدر
بالسلطان استاذنته في ان حبيب يريد ان يصنع وليمة

وارید

واريد ان امدّه بطعام من هنا فاذن لها السلطان في ذلك
فصنعت الطعام وصارت تاتي بالجفنات وتضع الدروع في
الجفنة ثم تجعل الطعام فوقها بحيث ان من يرى الجفنة لا يظن
ان فيها غير الطعام وكانت تضع في واحدة دروعا وفي اخرى
سيوفا فاخرجت ما يزيد عن مائة جفنة بهذه الصورة ثم مكثت
مدة ايام واستاذنت له في وليمة اخرى فاذن لها ولم يخطر
بباله شيء مما في نفسها لانه كان سليم الصدر غير ظنّان بالسوء
ففعلت كما فعلت بالمرة الاولى وبعد ايام ايضا استاذنته كذلك
وقبل ابراز الوليمة الثالثة كانت عندها بنت من بنات الاكابر
جميلة الصورة تربّيها فرآها السلطان على حين غفلة فاحبها ونوى
في نفسه ان يخاطب اباها في بنائها ويعقد عليها وكانت ام
حبيب فهمت من السلطان ذلك فصارت توذيها لانها اعدّتها
لولدها حبيب فلم تطق البنت الاذاية خصوصا وقد انكشفت
على غدرها بالسلطان وما تريد ان تصنعه معه فاختلست
نفسها وقابلت السلطان على خلاء واخبرته ان ام حبيب
اخربت خزينة السلاح والامتعة وان الولايم كلها مملوءة
بالدروع والسيوف وانها تعاقدت مع الملك فلان وفلان

بانهم يساعدوها على قتلك وتولية حبيب الملك وان كنت
في شك مما اقوله اقلب جفنة من الجفان التي تخرج في الوليمة
في غد فانك تعلم صحة قولي فقال لها السلطان ارجعي الى
مقرك واياك ان تقولي انك اعلمتيني بشي فرجعت وضاق
صدر السلطان لذلك واخبر بعض الخدمة ان اخبرني في غد
قبل خروج الوليمة الى حبيب واستكتمه فكتم وبقي الحال كذلك
حتى اصبح الصباح وصنعت الوليمة ونادت العبيد والجواري
يرفعن الجفنات فاخبره الخادم بان الوليمة قد تجهزت فدخل
فراى ام حبيب ترتبها للحمل فقال على رسلكم ثم قال ارفعوا الاغطية
واروني وليمة ولدي حبيب فرفعوا الاغطية فراى طعاما حسنا
فجاء الى جفنة فيها طعام يحبه وقال اتركوا هذه لي واجعلوا ما
فيها في اوان صغار لاكل منها انا وبعض اضيافي فقالوا سمعا
وطاعة وجاءت ام حبيب حين بلغها ذلك وقالت فداك
ابي وامي عندنا من نوع هذا الطعام كثير فليترك مولاي الجفنة
ونحن ناتيه بكثير منه فقال قد علمت وانما نفسي طلبت من
هذه ولعل ما تاتون به وان كان من هذا بعينه لا تتوق اليه
نفسي فلم تجد بدا من طاعته وقالت دع الخدم يرفع هذه

الجفنات

مالح قابلية للاكل

Précisément — *cause* — *ce vrai* — *la vérité* — *demeure* — *faut élever* — *et plaise* — *x expédiée* — *x les couvercles* — *faites …… donc ……* — *capacité* — *génie* …… *d'appétit* — *x que mon …… desire* — *x désirer*

انبفنات واجبسي انت هذه فقال لا بل حتى تفرغ هذه الجفنة وتملأ
كما كانت ويحمل كله مرة واحدة ولما جيئ بالاوانى واغترف من الجفنة
ظهر الدروع من تحت الطعام فنادى يا ام حبيب ما هذا فخجلت
ولم تحر جوابا فعند ذلك امر بالقبض عليها وقلب جميع الجفنات
فوجد فيها كلها دروعا وسيوفا وبالات فرانسا ونحو ذلك
فقال لها اى ذنب وقع منى حتى دبرتى على هلاكى فلم ترد جوابا فامر
بقتلها فى تلك الساعة فقتلت وفى الحال ارسل ملكا من مملوكه الى
بيت حبيب بعد ان دعا حبيبا اليه فحضر حبيب على حالة الطمانينة
فلما مثل بين يدى السلطان امر بالقبض عليه فوضع فى المحبس
ثم ارسله تحت جنح الليل الى جبل مرة واستصفى ما عنده من
المال ورد الدروع والسلاح الى مقرها ثم قبض على جميع من تواطأ مع
حبيب ولم يبق منهم احدا وتمهدت اموره واستوزر الفقيه مالك
الفوتاوى لظن علميته وصلاحه وكان يدّعى انه يعرف سرّ الحرف
وعلم الاوفاق مع انه كانت فيه عامّية وكثيرا ما كان يظهر الورع
والصلاح ويبطن ضده وكنت اظن ذلك منه حتى حقق الظنّ
فيه فى مجلس واحد وذلك انه لما ترقى الوزارة ادخل جميع قبيلة
الفلّان التى بدارفور تحت امره وصار يذب عنهم ويحررهم عند



الدولة حتى صار لا يجبى منهم مال وكلما نهبوه من غيرهم من القبايل
برد لهم حتى صاروا من اقوى القبائل واغناها فاتفق ان قبيلة
الفلان اغاروا على قبيلة المساليط وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا
منهم اموالا جمة من بقر وخيل ورقيق وجاء رئيسهم وكان يسمى
بجذ العيال واتى بخيل وبقر ورقيق من المنهوب هدية الى الفقيه
مالك ليذب عن القبيلة وكان في شهر رمضان وكان وقت العصر
والفقيه مالك اذ ذاك يقرا في تذكرة القرطبي في صفة اهل النار
فاتى على قوله ولا زالت النار تقول يا رب زدني حتى يضع الرحمن
فيها رجله والرجل هي الجماعة من الناس وعليه قول الشاعر فقربنا
رجل من الحي واتروى البيت فقال ولا زالت النار تقول يا رب
زدني وكان من عادته ان يقول بعد كل كلمة او كلمتين اي نعم قال
الكتاب فقال ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب
ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب حتى يضع
الرحمن فيها رجله اي نعم قال الكتاب والرجل هي الجماعة من الناس
اي نعم قال الكتاب وعليه قول الشاعر اي نعم قال الكتاب فقربنا
رجل اي نعم قال الكتاب وكررها مرارا فقال له السنوسي
ولده يا ابو فقربنا رجل فقال اي نعم فقربنا رجل وكررها مرارا

وكنت

وكنت جالسا ولم يسعني السكوت فاخذت نسخة من رجل
بجانبي فرايت فيها فمر بنا رجل من الحي البيت فقلت يا أبو فمر بنا
رجل فقال لي اسكت انت الآن صغير عن هذا وامثاله مع ان
هذا هو الذي يصلح لان يكون شاهدا فسكت ومن عاميته
ما حكى لي والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان ان السلطان
التمس من الفقيه المذكور ان يخطب يوم العيد فقصد والدي
ان يولف له خطبة فالفها وكتب في اخرها تمت على يد مولفها
الفقير الى المنان عمر التنسي بن سليمان في يوم وسنة كذا واعطاها
اياه فلما كان يوم العيد صلى بالسلطان ثم رقي المنبر فخطب
وبعد الخطبة قال تمت الى اخر ما كتب ولم يتفطن ان هذه الكلمات
خارجة عن الخطبة وكان من اغنى ارباب الدولة وكان له من الاقطاع
ما ينوف عن خمسمائة بلد وذلك غير اقطاع اخوانه ثم السلطان
اجل مقام الشيخ محمد كرا واعلا كلمته حتى صار لا تعلو على كلمته كلمة
وبلغه ان هاشم السبعاوي ملك كردفال رجع اليها واخذها
من يد عامل السلطان فجهز جيشا كثيفا لنظر الاب شيخ محمد
كرا فتوجه الى كردفال واغنى غناء حسنا واخذ كردفال من يد
السلطان هاشم وقتل عساكره وشرده في القفار واستوطن

لي عدو نسعى بي الى السلطان

j'ai un ennemi qui m'a calomnié auprès du sultan

كردفال مدة سبع سنين وفيها ارسل للسلطان اموالا جمة من
رقيق وذهب وغيره وسعى به بعض من اعداه الى السلطان
فارسل السلطان الامين محمد بن الامين علي ود جامع بجيشه اليه
وارسل معه قيدا وقال له خذ هذا القيد وقيده به وارسله مع جيشه
وكان ذلك امتحانا من السلطان فلما وصل الامين محمد الى كردفال
ظن في نفسه ان الاب شيخ محمد يعارضه او ينازعه فلم يفعل شيا
من ذلك بل حين وصل اليه قال له بما ذا امرك السلطان قال
بتقييدك وارسالك اليه فقال سمعا وطاعة هات القيد فاعطاه
اياه فاخذه وقيد نفسه بيده ودعا الحداد وامره ان يسمّره
ويبرد عليه امتثالا لامر السلطان ففعل واصبح مسافرا
والقيد في رجليه حتى وصل الى دار فور وحين أخبر السلطان
بقدومه ارسل له من ينزع القيد من رجليه وقال أما قلت
لكم ان محمد كرا لا يعصا في امره ان ياتي الى الفاشر في موكبه
فاتى على احسن حالة وخرج اليه السلطان واحسن ملقاه
وسوره بسوار من ذهب امام الوزراء والحاضرين وبالغ
في اكرامه ورده الى منزلته بل صار اعظم مما كان وكان هذا الفعل
من السلطان هو عين البخت التام لابنه محمد فضل فانه لما

توفي

توفى السلطان قام بامره الاب الشيخ محمد كرا ولولاه لما نظر
اليه احد ولا عنى به وكيفية ذلك ان السلطان لما ثقل به مرضه
دخل عليه الفقيه مالك الفوتاوى فوجد الاب الشيخ محمد كرا عنده
فقال له الفقيه مالك يا سيدى ان الوصية فيها خير عظيم وانك
فعلت مع الناس من المعروف ما لا يوصف وكل وزرائك واهل
مملكتك راضون عنك فان وصيت بشى اظنه بل احققه انه
ينفذ ولا بد فاوص لعل ولدك ينتفع بوصيتك فقال ومن يتوكل
على الله فهو حسبه فاعاد عليه الفقيه مالك هذا القول ثانيا فقال
هو ذلك ايضا فاعاد عليه ثالثا فقال ذلك ايضا فتركه بعد الثالثة
ثم قضى نحبه عليه سحائب الرحمة فحين توفى بكى عليه الاب والفقيه
مالك وبعد البكاء قال الفقيه مالك للاب ما ذا انت صانع الآن
قال الاب سأريك ما اصنع فقام من وقته ودخل الدار ودعا
بمحمد فضل وكان اكبر ولديه لانه لم يترك من الذكور الا محمد
فضل وبخارى ومن الاناث حوى وست النساء وام سلمى
فاقعد محمد فضل والبسه الخاتم وعممه وقلده بالسيف واجلسه
على كرسى السلطنة وادخله فى حجرة وارخى عليه سترا وارسل فى
الحال الى الجماعة فحضروا متقلدين سيوفهم شاكين السلاح فاوقفهم

كردفال مدة سبع سنين وفيها ارسل للسلطان اموالاجمة من
رقيق وذهب وغيره وسعى به بعض من اعدائه الى السلطان
فارسل السلطان الامين محمد بن الامين على ودجامع بجيشه اليه
وارسل معه قيدا وقال له خذ هذا القيد وقيده به وارسله مع جيشه
وكان ذلك امتحانا من السلطان فلما وصل الامين محمد الى كردفال
ظن فى نفسه ان الاب شيخ محمد يعارضه او ينازعه فلم يفعل شيا
من ذلك بل حين وصل اليه قال له بما ذا امرك السلطان قال
بتقييدك وارسالك اليه فقال سمعا وطاعة هات القيد فاعطاه
اياه فاخذه وقيد نفسه بيده ودعا الحداد وامره ان يسمّره
ويبرد عليه امتثالا لامر السلطان ففعل واصبح مسافرا
والقيد فى رجليه حتى وصل الى دارفور وحين اخبر السلطان
بقدومه ارسل له من ينزع القيد من رجليه وقال اما قلت
لكم ان محمد كرا لا يعصانى ثم امره ان ياتى الى الفاشر فى موكبه
فاتى على احسن حالة وخرج اليه السلطان واحسن ملقاه
وسوره بسوار من ذهب امام الوزراء والحاضرين وبالغ
فى اكرامه ورده الى منزلته بل صار اعظم مما كان وكان هذا الفعل
من السلطان هو عين البخت التام لابنه محمد فضل فانه لما

توفى

توفي السلطان قام بامره الاب الشيخ محمد كرا ولولاه لما نظر
اليه احد ولا عني به وكيفية ذلك ان السلطان لما ثقل به مرضه
دخل عليه الفقيه مالك الفوتاوى فوجد الاب الشيخ محمد كرا عنده
فقال له الفقيه مالك يا سيدى ان الوصية فيها خير عظيم وانك
فعلت مع الناس من المعروف ما لا يوصف وكل وزرائك واهل
مملكتك راضون عنك فان وصيت بشي اظنه بل احققه انه
ينفذ ولابد فاوص لعل ولدك ينتفع بوصيتك فقال ومن يتوكل
على الله فهو حسبه فاعاد عليه الفقيه مالك هذا القول ثانيا فقال
هو ذلك ايضا فاعاد عليه ثالثا فقال ذلك ايضا فتركه بعد الثالثة
ثم قضى نحبه عليه سحائب الرحمة فحين توفي بكى عليه الاب والفقيه
مالك وبعد البكاء قال الفقيه مالك للاب ماذا انت صانع الآن
قال الاب سأريك ما اصنع فقام من وقته ودخل الدار ودعا
بمحمد فضل وكان اكبر ولديه لانه لم يترك من الذكور الا محمد
فضل وبخارى ومن الاناث حوى وست النساء وام سلمى
فاقعد محمد فضل والبسه الخاتم وعممه وقلده بالسيف واجلسه
على كرسى السلطنة وادخله في حجرة وارخى عليه سترا وارسل في
الحال الى جماعته فحضروا متقلدين سيوفهم شاكين السلاح فاوقفهم

على الابواب ورتب منهم جماعة يحرسونه ونفعه في ذلك
باب سركان بين بيته وبيت السلطان بحيث ان العساكر
دخلت منه ولم يشعر بها احد ثم ارسل الى اكثر الوزراء جماعة
واقواهم شوكة الملك ابراهيم ودّ رماد انسانا يقول له ان
السلطان يامرك بالذهاب اليه فجاء فلما دخل الباب وجد
العساكر وقوفا فراعه امرهم ولم يجد بدا من الدخول ولما وصل
الى محل السلطان وجد الاب شيخ محمد كرا والفقيه مالك جالسين
والسلطان بينهما مسجّى فلما راءه كذلك بكى ثم بعد استرجاعه
قال له الاب الشيخ ان السلطان قد تُوُفِّيَ فما ذا ترى فقال لا
ارى سوء رايك فقال له الاب اتعاهدني على ذلك قال نعم فحلفه
واخذ مواثيقه انه لا يتعدا رايه ثم رفع الستر وقال هذا السلطان
يعني محمد فضل فقال الملك ابراهيم وهو كذلك فقال قم فبايعه
فبايعه ح وجلس ثم ارسل الى الوزراء والملوك واحدا بعد واحد
وكلما جاءه احد فعل معه كما فعل بالملك ابراهيم حتى استوثق
من اكابر الدولة كلهم ولم يترك منهم الا من لا قوة له ثم اعلن
بموت السلطان وضربت طبول الحزن وسمعها اولاد
السلاطين فركبوا وجاوا شاكين السلاح هاجين على دار

السلطان

السلطان فراوا الامر مهولا والجند محيطا بها حارسا لها منهم
ومن غيرهم فلما لم يجدوا الى الدخول سبيلا ضربوا فى البلاد
وصاروا ينهبون اموال الناس وتجتمع عليهم الغوغا حتى
صاروا فى جند كثيف وثقلت وطأتهم وعظم شرهم فجهز
لهم الاب الشيخ جيشا لنظر الملك دَلْدَن الذى اسلفنا ذكره
وهو ابن عمة السلطان محمد فضل فخرج اليهم واوقع بهم
وانهزمت الغوغا الملتفة عليهم وقتل منهم كثير وظفر باولاد
السلاطين وجيئ بهم الى الاب مصفدين فارسلهم الاب الى
السجن فى جبل مرّة وسكنت الفتنة وتمهدت الامور ثم
امر السلطان بالقراءة وطلب العلم لصغر سنه وعدم خبرته
بالامور فثقل ذلك عليه ولم يجد بدا من الامتثال فكابد مشقة
التعليم نحو سنتين وقتل الشيخ محمد كرا فى تلك المدة بعض
الملوك لفتنة وقعت منهم ورمى بعضهم فى السجون وكلهم
من أُسرة السلطان وعصابته وولى مناصبهم لجماعته فثقل
ذلك على ارباب الدولة وخافوا شره فاغروا السلطان على
قتله او سجنه فوقع بينهما الحرب وقتل كما قدمنا ذلك كله
والله اعلم

المقصد وفيه ثلاثة ابواب الباب

الاول فى صفة دارفور واهلها وعوائدهم وعوائد
ملوكهم واسمآء مناصبهم ومراتبهم وفيه خمسة
فصول الفصل الاول فى صفة دارفور اما دارفور
فهو الاقليم الثالث من ممالك السودان وذلك ان للقادم من
المشرق الى بلاد السودان اول مملكة واقليم يعرض مملكة سنّار
ثم كُرْدُفَال ثم دار الفور فظهر انها الاقليم الثالث وبحسب
ذلك اقليم وَدَاى هو الرابع والبَاقِرْمَهْ الخامس وبَرْنَو السادس
وأَدِقِزْ السابع ونُفَهْ الثامن ودار تُنْبُكْتُو التاسع ودار مَلَّا
او مَلَّى العاشر وهى قاعدة مَلِك الفُلَّان وهم الفَلَّاتَا كما ذكرنا واما
الذى ياتى من المغرب فانه يعدّ مَلَّا الاول وتنبكتو الثانى ونُفَه
الثالث وهكذا واعلم ان القُدَماء يطلقون على بعض اهل السودان
اسم التكْرُور ويعنون به اهل مملكة بَرْنَو لكن الآن قد عمّ هذا
الاسم على ممالك متعددة اولها دار وَدَاى او وَدَاى المعروفة
ايضا بدار صَلَيْح واخرها بَرْنَو فيدخل فى ذلك باقِرْمَهْ وكتكو
ومَنْدَرَهْ فيقال لاهل كل منهم تَكْرُور حتى انه صار عُرفا بينهم
ولقد لقيتُ منذ ايام رجلا من اهل السودان فسالتُه من
اين انت فقال من التكْرُور بل اظنه قال تكْرُورِى فقلت من اى

من

من التكارير فقال من باقرمه لكن لم يخبرني الا بعد مشقة ظننا
منه اني لا اعرف تلك الجهة فلما اخبرني وسالته عن بعض مواضع
منها تعجب تعجبا عظيما والآن القول وحد الفور من جهة الشرق
اقصى الطويشة ومن الغرب اخر دار المساليط يعني مملكة المساليط
واخر دار قمر واول دار تامه وهو الخلا الكائن بين دار صليح وبينها
ومن الجنوب الخلا الكاين بينها وبين دار فرتيت ومن الشمال
المزروب وهو اول بئر يعرض لمن يتوجه لها من الديار المصرية
وتتبعها عدة ممالك صغيرة فمن الشمال مملكة الزغاوة وهي
مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرة ولهم سلطان وحدهم
ولكنه بالنسبة الى سلطان الفور اشبه بقائد من قواده ومن
جهة الشمال ايضا مملكة الميدوب والبرتي وهما مملكتان كبيرتان
الان اهل الثانية اكثر من اهل الاولى ومع كثرتهم اكثر انقيادا
لسلطان الفور من الميدوب وفي خلال دار فور مملكة البرقد
ومملكة برقو والتنجور وميمه الان مملكة البرقد والتنجور في
الوسط ومملكة البرقو والميمه من جهة الشرق ومملكة الداجو
والبيقو من الجهة الجنوبية وكذا مملكة فراوجية ولكل من هذه
الممالك حاكم يسمى سلطانا لكن يوليه عليهم سلطان الفور وكلهم

على نسق واحد في الهيئة والملبوس الا ملك التنجور فانه يلبس
عمامة سودا وسالته عن سبب سواد عمامته فاخبرني ان
اصل مملكة دارفور لاجداده وتغلب عليها سلطان الفور فلبس
العمامة السودا اشعار بحزنه على فقد مملكته وقد احاط بجانبها
الشرقي والجنوبي كثير من عرب البادية كالمسيرية الحمر والرزيقات
والفلان وكل قبيلة من هذه القبايل لا تحصى كثرة وهم اهل بقر
وخيل واثاث واكثرهم اهل ثروة لا يالفون الحاضرة بل يتبعون
الكلا اينما كان ويلحق بهم القبيلة المسماة ببني حلبة لانهم اهل
بقر ايضا لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون واما اهل الابل
منهم الفزارة وهم المحاميد والمجانين وبنو عمران وبنو جرار
والمسيرية الزرق وغيرهم وعلى كل من هذه القبايل ضريبة ياخذها
السلطان من اموالهم في كل سنة لكن في ذلك تفاوت اما المسيرية
الحمر والرزيقات لقوتهم وتوغلهم في الخلا فلا يعطون للسلطان
الا اقبح اموالهم ولا يقدر العامل ان ياخذ من كرائمها الا برضاهم
وان تاقت نفسه الى ذلك طرد وربما قتل ولا يقدر السلطان
لهم على شي ولقد بلغني ان الرزيقات عصوا امر السلطان تيراب
وجهز لهم جيشا فكسروه فخرج اليهم بنفسه ففروا امامه ودخلوا

ف

في البرجوب بمواشيهم فتبعهم فقتلوا منه خلقا كثيرا ولم يملك
شيا والبرجوب موضع يسافر فيه المسافر عشرة ايام يقطعه وهو
طين لين مغطى بماء يبلغ نحو عانة الرجل ومن لين طينته تسوخ
فيه قوائم الدواب ومع ذلك فهو ذو شجر شايك وهذا الموضع لا
ينقطع عنه المطر الا شهرين في السنة في فصل الشتا ثم ان طول
اقليم دار فور من اول بلاد الزغاوة الى دار رونكه نحو ستين يوما
بل ان اعتبر الملحقات بها كدار رونكه وفنقرو ودار بندله وبيكه
وشالا كانت اكثر من سبعين يوما هذا كله بحسب تعريف اهل
البلد لكن الذي اظنه انها لا تصل لذلك بل نهاية مساحته تبلغ
نحو من خمسين يوما او اقل وان عدت ممالك الفرتيت الخمسة المذكو
وهي في ذلك الزمن الملحقات المعاهدة لسلطان دار الفور وتؤدي
له الخراج في كل سنة فاذا دخلت دار الزغاوه من جهة المزروب
متوجها على خط مستقيم الى كوبيه تمكث نحو ستة ايام ومن كوبيه
الى تندلتي الذي هو الفاشر يومان ومن الفاشر الى جديد كريو
يومان ومنه الى الريل يومان فهذه اثنا عشر يوما ومن الريل الى
جديد راس الفيل اربعة ايام ومنه الى تلدوا ثلاثة ايام او اربعة
ومنها الى تبلدية ثمانية وتبلدية على الحدود الشرقية للفور ومنها

يدخل الانسان في بلد الداجو والبيقو فيمشي فيها نحو من ثمانية
ايام ايضا فهذه اربعة وثلاثون يوما ثم اذا خرجت منهما الى جهة
الشرق تجد خلاء مشحونا باعراب البادية كالمسيرية الحمر والحبانية
والرزيقات عالم لا يحصيهم الا خالقهم وان ملت الى جهة الغرب دخلت
في دار أباديما فتقطعها في نحو عشرة ايام ثم تدخل في خلاء تمشي فيه
يومين وتدخل الى دار روكة ومسافتها نحو ثلاثة ايام ودار فنقرو
مثلها او اقل منها بشي يسير ومنهما خلاء يمشي فيه الانسان نحو
يومين ومنه يدخل في دار بيكة وشالا ومسافتهما يومان فظهر
لك بما ذكرناه ان طول دار فور بملحقاتها لا تبلغ نحو خمسين يوما
وهذه الملحقات هي البلاد الجنوبية التي بعد دار الفراوجية لان
الفراوجيه اخر حدود ممالك الفوراوية الحقيقية وما يسمون اهل
الفور بالصعيد المساحة الممتدة من ريل لاخر دار الفور من جهة
الجنوب ودار أباديما هو دار تموركة واباديما اسم منصب كما
سنذكره معناه الجناح الايمن للسلطان والحاكم المسمى بهذا الاسم
يحكم على دار تموركه فسمي لذلك دار تموركه بدار اباديما ويقابله
التكنياوي الذي هو ايضا اسم منصب معناه الجناح الايسر
للسلطان ويحكم التكنياوي على اثني عشر ملك ايضا وهو حاكم الزغاوة

وما

ودار اباديما انما كانت مساحتها نحو عشرة ايام
لان اباديما يحكم على اثني عشر ملكا
كل ملك له ايالة مستقلة واباديما

وما يليها الجهة الشرق ولذلك ايضا سمي دار الزغاوه بدار التكنياوي
وان قلت من حيث ان ابادیما والتكنياوي متعادلين لم كان
طول دار ابادیما عشرة ايام وطول دار التكنياوي خمسة ايام قلت
دار التكنياوي اعرض من دار ابادیما لان دار ابادیما عرضها نحو خمسة
ايام وشي يسير وعرض دار التكنياوي نحو سبعة ايام فما نقص
من طولها جُبر بزيادة عرضها ثم اعلم ان دار فور منظمة تنظيما
على وجه محكم لاننا ذكرنا ان جبل مرة يشقها وان نصفها من
جبل مرة الى جهة الشرق سهل وعرض جبل مرة بقطع النظر عن
ارتفاع الجبال نحو يومين ووراءه من جهة الغرب سهل ايضا لكن
من جهة الشمال الزغاوه والبرتي وهما قبيلتان عظيمتان فالبرتي
من جهة الشرق والزغاوه من جهة الغرب وفي وسطها من
جنوب جديد كريو يسكنها التنجور والبرقد وهما قبيلتان
عظيمتان وهكذا الى جديد راس الفيل وازيد بل الى تبلدية وان
كان بينهما بلاد وقبائل صغار ثم من هناك الى الخلا من جهة
الجنوب والشرق وجهة دار ابادیما يسكنه الداجو والبيقو
فالداجو من جهة المغرب والبيقو من جهة المشرق وشرقي
جديد كريو يسكنه البرقو والبيمة وهما قبيلتان عظيمتان ثم ان

جبل مرة لا يسكنه الا اعجام الفور واعجام الفور ثلاثة قبائل احدها
كنجارة وهي تسكن من قرلي الى بعد الجبيل الصغير المسمى مرة بالخصوص
وهو مرة حقيقة وبعده بقليل الى حد دار اباديما تسكنه الفور المسمون
كراكريت واما الفور الساكنون بدار اباديما فيسمون تموركة وبعد
دار ابا ديما دار رونكه ودار فراوجيه لكن رنكه من جهة المغرب وفراوجيه
من جهة المشرق ودار فنقرو بعد دار فراوجيه وبعد دار رونكه
دار سلا لكن تميل الى المغرب اكثر ولهذا يحكمها اهل الواداي
واعلم ان جبل مرة ليس جبلا واحدا كله بل هو عدة جبال كبار
وصغار وقبل الدخول في دار اباديما ينقطع الجبل وتبقى ارض
سهلة يسكنها الفلان حتى انهم يقربون من المساليط من
جهة المغرب ويليهم بنو حلبة والمسيرية الزرق وجميع ما
ذكرناه غير البدو الحافين بها من شمالها وشرقها وجنوبها
وغير المولدين من القبائل والفور يسمونهم الداراوية اي المنسوبين
للدار فانهم في الوسط لا يعتبرون بقبيلة وان اردت ان
ابين لك كيفية دار الفور ووضع منازل هذه القبائل والاعراب
المحتفين بها فها انا ارسم لك ما هو على هيئة الجدول تقريبا
للفهم وهو هذا فنفرض ان هذه الجهة هي جـــــهة

الجنوب

الجنوب

هذا وان كنت لم ابيّن في هذا الجدول البيان الشافي لعدم
معرفتي بالرسم ولضيق الورق فهي في نفسها كذلك لكن الماهر
يستنتج منها صورة حسنة ثم اعلم ان اعمر البلاد من جهة
الشمال بلاد البرقي والزغاوه لكثرة ما فيها من العالم وانظر
حكمة الله فان القبيلتين في خط واحد لكن البرقي ارق قلوبا
واحسن وجوها واجمل نسآء والزغاوه بالعكس كما ان الداجو
والبيقو في خط واحد وبنات البيقو اجمل من بنات الداجو واما
البِرْقِد والتُنْجُور فيوجد في كل منهما المليح والقبيح لكن البرقد
خائنون سُرّاق ليلا ونهارا لايخافون الله ولا رسوله والتنجور
معهم بعض دين وبعض عقل يمنعهم واما اهل الجبل فكلهم
على حد في الوحاشة والوخاشة لكن متى جئت في دار ابا ديما
تجد الرجال والنسآء حسانا فسبحان من هذا صُنْعُهُ واما
المَسَاليط فنساؤهم يسبين العقل ويذهبن باللب واجمل
النسآء في دار الفور على الاطلاق نسآء العرب بل ورجالهم
كذلك وبين الوَادَاي ودار فور لا يوجد ساكن البتة ماعدا
اهل جبل تامَا الذي سنتحدث عنه أنّ السلطان صَابُونْ
وهو سلطان الوادای غزاه واستولى على أهله واعلم ان جميع

الجنوب

هذا وان كنت لم ابيّن في هذا الجدول البيان الشافي لعدم
معرفتي بالرسم ولضيق الورق فهي في نفسها كذلك لكن الماهر
يستنتج منها صورة حسنة ثم اعلم ان اعمر البلاد من جهة
الشمال بلاد البرقي والزغاوة لكثرة ما فيها من العالم وانظر
حكمة الله فان القبيلتين في خط واحد لكن البرقي ارق قلوبا
واحسن وجوها واجمل نسآء والزغاوة بالعكس كما ان الداجو
والبيقو في خط واحد وبنات البيقو اجمل من بنات الداجو واما
البرقد والتنجور فيوجد في كل منهما المليح والقبيح لكن البرقد
خائنون سُرّاق ليلا ونهارا لا يخافون الله ولا رسوله والتنجور
معهم بعض دين وبعض عقل يمنعهم واما اهل الجبل فكلهم
على حد في الوحاشة والوخاشة لكن متى جئت في دار ابا ديما
تجد الرجال والنسآء حسان فسبحان من هذا صُنْعُهُ واما
المَسَاليط فنساؤهم يسبين العقل ويذهبن باللب واجمل
النسآء في دار الفور على الاطلاق نسآء العرب بل ورجالهم
كذلك وبين الوادای ودار فور لا يوجد ساكن البتة ما عدا
اهل جبل تاما الذي سنتحدث عنه أنّ السلطان صابون
وهو سلطان الوادای غزاه واستولى على أهله واعلم ان جميع

البلاد التي في دار فور مقسومة على اكابر الدولة فكل منهم له فيها
على قدر منصبه وحاله فاوسعهم دار أَبَادِيمَا و التِّكِنْيَاوِي لان
كلا منهما تحت يده اثنا عشر مَلِكًا لكل ملك منهم عمل مستقل
ويسمون ذلك الملك شَرْتَاي فاباديما يحكم على التامُورْكَه
والتكنياوى يحكم على دار الزَّغاوَة والبِرْتِي وما والاهما وأَبَاأُومَا وسَاعِي
الكامنة يحكم على اربعة ملوك من المَسَالِيط وفُورْكْ أَبَا يحكم على
اربعة ملوك من الكَرَاكِرِيتْ والأَرْنْدُلْنْ وهو وجه السلطان
يحكم على اربعة ملوك من بلاد البِرْقِد والاب الشيخ يحكم على
اربعة ملوك ايضا ووَرْنَكْ ابا يحكم على مَلِكَيْنِ وهذه البلاد غير بلاد
الامنآء والاشراف والفقهآء العظام والقضاة وليس للسلطان
بلاد خالصة له الا بيوت ابائه واجداده مثل قِرْلِي ورِيل وتَنْدَلْتِي
وغيرها ومحل حكم الاب الشيخ من ابى الجُدُول الى الجنوب حتى ياخذ
ايضا قطعة عظيمة من بلاد البِرْقِد والامنآء يحكمون على جهة مرة
واما السلاطين الصغار فان كل سلطان منهم يحكم على بلاد جماعته
كالبِرْقُو والمِيمَة والتُّنْجُور والدَّاجُو والبِيقُو والزَّغاوة وهولآء
السلاطين لهم اقطاع يتعيشون منها وان كانت المملكة لها
حاكم غيره فمثلا سلطان زَغَاوَة حاكم على جماعته مع انه فى دار

التكنياوى

التكنياوى لكن له اقطاع من زمن اجداده لا يتعرض لها التكنياوى
وبقية البلاد ياخذ التكنياوى خيراتها وهكذا لغيره من السلاطين
الصغار وبقية الاقاليم غير الستة المذكورة حكامها ملوك واما
عرض دارفور فانه من الخلا الكائن بينه وبين دار صليح اى دار
وادای الى اخر الطويشة اى لاول الخلا الكائن بينه وبين كردفال
نحو ثمانية عشر يوما وهذا الاقليم نصفه سهل ارض مرملة قليلا
والاخر من الشرق فانه كثير من الرمل ولذلك يسمى بالقوز
واما اراضى جبل مرة فهى طين اسود وهو جبل يشق دارالفور
من اولها الى اخرها حتى قيل انه متصل بالمقطم المطل على القاهرة
لكنه ليس قطعة واحدة بل هو متقطع من عدة اماكن وله طرق
عديدة وفى هذا الجبل امم وعالم لا يحصى كثرة وفيهم القبيلة المعروفة
بالكنجارة التى ينتسب اليها سلطان دارفور وفى هذا الجبل
كهوف عديدة تحبس فيها اولاد الملوك واخرون لحبس الوزراء
وفيه من الخيرات شى كثير وذلك ان فيه من البقر والغنم ما لا
يوجد فى غيره من الاماكن ومن العجيب ان جميع مواشيهم
ترعى وحدها بدون راع ولا يخشون عليها سارقا ولا سبعا ولا
ذئبا ولقد استاذنت السلطان محمد فضل سنه ١٢٢٠ فى التوجه

الى جبل مرة للفرجة فتوقف اولًا فى الاذن خوفا على من غائلة اهل
الجبل ثم اذن لى وعيّن معى خدّاما وكتب لى فرمانا الى جميع عمال
الجبل يقول فيه من حضرة السلطان الاعظم والخاقان
الكرم سلطان العرب والعجم الواثق بعناية الملك العدل الصبور
السلطان محمد فضل المنصور الى جميع ملوك جبل مرة اما بعد
فان السيد الشريف محمد التونسى بن الشريف العلامة السيد
عمر التونسى التمس منا اذنا فى ان يرى الجبل وما فيه ويختبر ظاهره
وخافيه وقد اذناه بذلك فلا يمنع من محل يريد النظر اليه وأمر
كل ملك نزل به ان يكرمه ويعظم ملقاه وقد اصحبته بفلقناويين
من خواص فلاقنتى ليكونا واسطة بينكم وبينه فى تبليغ الكلام
ونيل المرام والسلام فتوجهت صحبة الفلقناويين وعبدين
لى ورجل من اهل البلدة التى انا فيها فسافرنا يومين وفى اليوم
الثالث اتينا اطراف الجبل فنزلنا فى بلد يقال لها نمليه ولها رئيس
يقال له الفقيه نمر وله ولد يقال له الفقيه محمد واخر يقال له سليمان
فنزلنا فى بيت رئيس البلدة وحضر هو واولاده واستقبلونا بسعة
رحب فاخبرناهم بمقصدنا واظهرنا لهم امر السلطان فاهتموا
حينئذ بشانى واعطوا ضيافتى فبتنا ليلتنا تلك ومن الغد

توجهوا

توجهوا بي الى سوق نُمْلَيه وهو سوق يعمر في كل يوم اثنين يحضره
جميع اهل الجبل رجالا ونسآء يقضون مصالحهم فرايتُ اناسًا
شديدين السواد حمر الاعين والاسنان وحين راوني اجتمعوا
عليَّ متعجبين من احمرار لوني واتوا الي افواجا افواجا لانهم لم
يقع لهم روية عربي قبل ذلك وارادوا قتلي علي سبيل الاستهزآء
وكنت اذ ذاك لا اعرف من لغة الفور شيئا فما راعني الا اني رايت
من معي من الناس اختطفوا سلاحهم وجردوه في وجوه القوم وحالوا
بيني وبين القوم فسالتُ عن السبب فقالوا لي انهم يريدون
الفتك بك فقلت لماذا فقالوا لقلة عقولهم لانهم يقولون ان
هذا لم ينضج في بطن امه وبعضهم يقول لو نزلتْ عليه ذبابة
لاخْرجت دمه فقال احدهم اصبروا وانا اطعنه بحربة وانظر ما
مقدار ما ينزل منه من الدم وحين سمعنا منهم ذلك خفنا عليك
واحطنا بك ثم ان الجماعة اخرجوني من السوق فتبعني خلق
كثيرون فطردوهم عني بكل جهد ثم ذهبوا بي الى واد هناك فرايت
فيه نخيلا واشجار موز وبعض اشجار من الليمون ورايت قد زرع
في ذلك الوادي من البصل والثوم والفلفل الاحمر وهو قرون
صغيرة رفيعة اكبر من حب الشعير بقليل والكمون والكسبرة

والحلبة والقثاء والقرع شي كثير وكان ذلك في ايام الخريف وقد
احمر البلح فقطعوا لي عرجونين من البلح احمر واصفر واهدوا لي
جُنْبَة عسل لم ار نظيرة حسنا وطعما ولذة وبتنا في اكرم
ضيافة والذعيش ولما اصبح الصباح طلبتُ التفرج فاخذوني
ودخلنا الاودية فصرنا نقطع واد بعد واد وبين كل واديين
اقل من ميل مسافة وفي كل واد زرع عجيب وماء يتدفق على رمل
كالفضة وقد احاط الشجر به سياجا من حافتيه يتمنى الناظر ان
لا يفارقه فجلسنا على شاطي الوادي في ظل شجرة هناك وذبح
لنا كبش سمين وحُنِّذ فاكلنا منه ارادتنا ثم ذهبنا لبلد تحت
الجبل فبتنا فيها في اكرم ضيافة ولما اصبحنا صعدنا الجبل فمكثنا
صاعدين نحو ثلاث ساعات حتى علوناه فراينا فيه امما كثيرة
وبلادا متفرقة فادخلونا على شيخ الجبل وكان يسمى ابابكر وهو
جالس في خلوته فلما دخلنا عليه وجدناه رجلا مسنا قد ناهز
الستين واثر فيه الكبر فسلمنا عليه فرحب بنا واجلسنا
لطيفة هذا الجبل لا يرتفع عنه السحاب في السنة الا اياما قلائل
ولكثرة المطر يزرعون القمح وينبت عندهم قمح لا يوجد نظيره الا
في بلاد المغرب او في بلاد اُوروبّا لانه حسن جدا وبقية دار فور

لا ينبت عندهم قمح لعدم الارض الصالحة ولعدم الامطار الا ما
قل كارض كُوبَيْه وكَبْكَابِيَة فانه يزرع فيها القمح ويسقى بماء الابار
حتى يتم نضجه ولزيارة الشيخ المذكور يوم معلوم من السنة
تذهب اليه الناس من كل جانب ويقول لهم ما يحصل في جميع
العام من قحط ومطر وحرب وسلم ورخاء وشدة ومرض وصحة
والناس يعتقدون حقيقة ذلك فاختلف اهل دارفور في ذلك
فمن قائل انه من طريق الكشف وان كل من تولى شيخا يكون وليا
وما يقوله للناس من طريق الكشف وهذا قول اهل العلم ومن قائل
ان الجان يخبره بجميع ما يحصل وهو يقول للناس وكلا القولين لا
اعرف صحتهما بل قد تقولت عنه امور كثيرة وحصل ضدها ثم
فابرزنا فرمان السلطان وقراه عليه الفقيه محمد فرجب واكرم
ودعى لنا بطعام ثم ضرب طبلا يقال له التنبل فجاء اناس كثيرون
فانتخب من شبابهم نحو مائة نفر وآراس عليهم رجلا من ذوي قرابته
يعرف بالشجاعة يقال له الفقيه زيد وامره ان يكون معي هو والجماعة
وان يكونوا على اهبة وحذر من جهال اهل الجبل ثم ركبنا وتوجهنا
الى مكان هناك فيه جبل صغير وهو المسمى مَرَّة وسمي الجبل كله
باسم ذلك المحل فراينا فيه مكانا اشبه بمعبد جميع اهل الجبل

يعتقدون تعظيمه ويرون ان حرمته كحرمة المساجد فدخلنا فيه
وقد اظلته شجرة كبيرة بحيث صار لا تراه الشمس فجلسنا فيه
قليلا ورأينا فيه خدما لتنظيفه واستقبال النذور ممن ياتي
بها ثم انتقلنا من ذلك المكان ومشى العسكر امامنا فلحق بنا
عالم كثير نساء ورجالا وجعلوني اعجوبة وتكالبوا وازدحموا علي
واراد العسكر تفرقهم فما امكن ذلك حتى قال بعضهم ان
السلطان ارسل لاهل الجبل رجلا لم ينضج في بطن امه ضيافة
لهم فقال بعضهم هو ادمي وقال اخرون هو ليس بادمي بل هو
حيوان ماكول اللحم على هيئة الادمي لانهم ينكرون ان يكون للادمي
لون ابيض او احمر وهولاء القوم لا يعرفون من اللغة العربية الا
كلمتي الشهادة ويقولونها مقطعتين مع العجمة القبيحة ولما
عجز من معي من الدفع عني جاءني الفقيه زيد وامرني ان استر وجهي
بلثام لا يظهر منه الا الحدقتان فتلثمت واحتاط بي العسكر
وحين راى السودان اني تلثمت اختلط عليهم الامر وسالوا اين
الاحمر قالوا ذهب الى السلطان فانكفوا قليلا وثم توجهنا الى
محل الحبس اي الكهوف التي فيها المحبوسون من اولاد الملوك
والوزراء فمنعنا الحرس من الوصول اليها وكاد ان يقع بينهم وبين

جماعتنا

جاءتنا شرفتلا في الفقيه زيد الامر واخذ مني الفرمان وذهب
الى رئيس الحرس وقراه عليه وعند ذلك امتثل وقال ان كان ولا
بد فليات المامور له بالتفرج وحده وجميع من معه يجلس على
بعد حتى يقضي شانه ويرجع اليهم فجاءني واخبرني بذلك فابيت
ذلك وادركني خوف عظيم فنأيت عن الدخول الى الكهوف وطلبت
الرجوع فرجعنا ومن غرائب عوائدهم ان الرجل لا يتزوج المرأة
حتى يصاحبها مدة وتحمل منه مرة او مرتين وح يقال انها ولود
فيقعد عليها ويعاشرها ومن عوائدهم ايضا ان النساء لا
يحتجبن عن الرجال حتى ان الرجل يدخل داره فيجد امراته مختلية مع
اخر فلا يكترث ولا يغتم الا اذا وجده عليها ومن طبيعتهم
الجفاء وسوء الخلق خصوصا اذا كانوا سكارى ومن طبيعتهم
ايضا البخل الزائد لا يقرون ضيفا الا اذا كان من ذوي قرابتهم
اولهم به علقة او كان انسانا يخافون منه ومن عوائدهم ان
الصبيان والبنات الصغار لا يستترون الا بعد البلوغ فيلبس
الصبي قميصا وتنشد الانثى وسطها بمئزل ويبقى ما زاد عن
السرة الى وجهها بارزا ومن عاداتهم عدم الترفه والتفنن في
الماكل بل كلما وجدوه اكلوه لا يانفون طعاما مرا كان او نتنا بل

ربما احبوا اكل الطعام المر واللحم النتن واستحسنوه عن غيره
ومن عادتهم ان الشباب لهم في كل بلدة رئيس وكذلك النسا
لهن رئيسة فرئيس الرجال يسمى الوُرْناك ورئيس النسا تسمى
المِيرَم فاذا كان في الافراح والاعياد والمواسم يجمع الرئيس اصحابه
ويجلس بهم في محل وتاتي الرئيسة وصواحبها فيجلسن امامهم
على حدة فينفرد الوُرْناك ويدنو من المِيرَم ويخاطبها بكلام يعرفه
هو وهي فتامر المِيرَم جماعتها ان يتفرقن على جماعة الوُرْناك
فياخذ كل فتى فتاة ويذهبان الى محل ينامان فيه الى الصباح ولا
عار في ذلك على احدى منهن وليعلم ان الرجال في دارفور لا يستقلون
بامر البتّة الا الحرب فليس للنساء دخل فيه وما سوى ذلك فهم
والنساء سواء بل اكثر الاشغال واشقها على النساء وللرجال
اختلاط عجيب بهن بالليل والنهار في جميع الاعمال ومن العجب
في اهل جبل مرة انهم لا ياكلون من القمح الذي يزرعونه بل يبيعونه
ويستبدلون بثمنه دخنا واعجب من ذلك غلظ قلوبهم
وجفاوتهم مع انهم ممتزجون بالنساء امتزاجا كليا وهذا
خلاف المشاع على السنة جميع اهل بلاد أوروبّا من ان الرجال
اذا امتزجوا بالنساء تذهب غلاظة قلوبهم ويكتسبون

الرقة

× les fêtes annuelles
× s'approcher
× jeune homme
faire exclusivement
exception
× tout à fait
× les plus pénibles
× mélange
grossièreté
cruauté
× mélangés
× De ce qui est répandu

الرقة وحسن الطبع ومن غلاظة طبعهم ان الرجل يسافر الفراسخ
العديدة راجلا ويكون معه حمار فيسوقه امامه ولا يركبه وان
سئل يقول إنْ ركبتُه ابطأَ بى واما لغتهم فهى لغة فيها حماس
الفاظها تتشبه الفاظ اللغة التركية لانهم اذا دعوا انسانا يقولون
له كَلا والترك يقولون كَال وقولى تتشبه اللغة التركية ليس
معناه انهما متقاربتى المعنى بل وجه الشبه فى مجرد الالفاظ
وان اختلف موضوع معنى كل منهما وذلك ان الغور يقولون
للفرس يا مُورْتَا وعند الترك هو اسم للبيض والقبيح عند الفور
اسمه كِتِّى وعند الترك فعل ماض بمعنى ذهب ولم اسمع
لغة انقص من لغتهم لان العدد بلغتهم ينتهى الى ستة ويُكمّل
بالعربى فيقولون دِيكْ واحد أوْ اثنان إيشْ ثلاثة أوكَّار اربعة
أوسْ خمسة أوصَانْدِيكْ ستة ثم يقولون بالعربى سبعة ثمانية
تسعة ثم يقولون وُأيَّهْ وهو لفظ يدل على عشر الاعداد لطيفة
من العجب ما سمعته بجبل مرة ان الجن ترعى مواشيهم التى ترعى
فى الكلأ بدون راع معهم ولقد اخبرنى عدة رجال ممن يظن
صدْقها ان الانسان اذا مر بمواشيهم وراى ان لا راع لها ربما
طمع فاخذ منها شاة او بقرة او غير ذلك فان ذبحها تلتصق يده

بالسكين على منحرها ويعجز عن فكاكها حتى تاتى ارباب الماشية فيقبضون عليه ويغرمونه ثمنها باغلا قيمة بعد اهانتهم له وضربهم اياه الضرب المولم ولقد تكرر علىّ سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر مع انى لا اصدّقه وحين كنت فى جبل مرة توجهت الى دار رجل منهم فى تملية اسال عنه فما رايت فى داره احدا لكن سمعت داخل الدار صوتا غليظا مرعبا اقشعرّ منه جلدى يقول لى أُكِّيا يعنى انه ليس هنا وفى ذلك الوقت اردت ان اتقدم واسال اين ذهب فمرّ بى انسان وجذبنى وقال ارجع فان الذى يخاطبك غير ادمى فقلت وما هو فقال هذا الحارس الجنى لان لكل انسان منا حارسا من الجن ويسمى بلغة الفور دَامْزُوقَةْ فخفت ورجعتُ من حيث اتيت ولما رجعت من هذه السفرة وتوجهت الى الفاشر اجتمعت مع الشريف احمد بدوى الذى اخذنى من مصر وذهب بى الى دار فور فاخبرته القصة فقال صَدَق واسمعنى اعجب من ذلك وقال لى يا ولدى اعلم انى كنت فى اول امرى اسمع ان الدَمَازِيقْ تُبَاع وتشترى ومن اراد منها دَمْزُوقًا يذهب الى من يعلم ان عنده دَمازيق فيشترى منه واحدا بما يرضيه ثم ياتى بقرعة فيها لبن ويدفعها الى رب المنزل فياخذها ويدخل

الى

الى المحل الذى هن فيه فيسلم عليهن ويعلّق القرعة التى فيها
اللبن فى علاقة فى البيت ثم يقول لهن ان صاحبى فلانا عنده
مال كثير وخائف عليه من السرقة واراد منى حارسا فهل احدى
منكن تذهب الى داره لان عنده لبنا كثيرا وخيرا عزيزا وقد اتى
بهذه القرعة مملوءة لبنا فيتمنّعن اولا ويقلن لا احد يذهب
معه فيتحنن لهن ويتملق حتى يرضين فيقول من اراد الذهاب
منكن فلينزل فى القرعة ويبعد عنهن قليلا وحين يسمع بصوت
وقوعه فى اللبن يغطى القرعة بطبق من سعف وياخذها من علاقتها
مغطاة ويدفعها لصاحبه المشترى فياخذها ويذهب بها
الى داره ويعلقها فى بيته ويوكل بالقرعة جارية او امراة تاتى كل يوم
على الصباح وتاخذ القرعة وتريق ما فيها من اللبن وتغسلها جيدا
ثم تضع فيها لبنا اخر محلوبا فى ساعته وتعلقها و[يا]من الانسان
على ماله من السرقة والضياع وكنت اكذب ذلك حتى كثر مالى
وصارت العبيد والخدم يسرقونه فاحتلت على منع السرقة
بكل حيلة فلم يمكننى ذلك وشكوت لبعض اصحابى فامرنى ان
اشترى دمزوقة وانى اكفى شر السرقة فحدانى حب المال ان
توجهت الى رجل سمعت ان عنده دمازيق وقلت له اعطنى

- et ce que
+ te défendit
× s'allèrent lui
×× en jeter
× crochet
+ être en sureté
+ huit
× s'industriai
× je me plaignais
× j'aurais de la pensée
conduisit
حدا
… en chantant

دمزوقة تحرس لى مالى واعطيته ما طلبه فقال لى اذهب واملا
قرعة من لبن حليب وهاتها ففعلتُ واتيته بالقرعة مملوءة لبنا
فاخذها وذهب وبعد ساعة جائنى والقرعة مغطاة وقال لى
علقها حيث مالك مخزون وعرفنى ماينبغى ان يفعل كل يوم من
غسل الانية وتجديد اللبن ففعلتُ ذلك ووكلتُ جارية بذلك
وامنت على مالى حتى انى كنت اترك بيت مالى مفتوحا ولا يقدر احد
على الوصول اليه وفيه من العين والامتعة شى كثير وكل من رام اخذ
شى بغير اذنى تُكسر رقبته فقتل لى عدة عبيد وعشتُ امنا على
مالى مدة حتى كبر لى ولد كان اسمه محمد فلما شب واحتلم تعلقت
اماله بالبنات واراد يهاديهن ببعض خرز وحلى فترقب غفلتى يوما
واخذ المفاتيح وفتح خزينة الامتعة واراد ان يدخل فكسر الدمزوقة
رقبته ومات فى الحال وكنت احبه حبا شديدا فلما أُخبرتُ بموته
جزعت عليه جزعا عظيما وسالت عن سبب ذلك وأُخبرتُ انه
اراد ان ياخذ شيا من الامتعة فقتله الدمزوقة فحلفت يمينا
ان الدمزوقة لاتجلس فى بيتى واردتُ اخراجه فاعجزنى وشكوت
لبعض احبابى فاشار علىّ ان اصنع وليمة واجمع فيها اناسا كثيرين
يكون مع كل واحد منهم بندقية وبارود وياتون كلهم دفعة واحدة

يطلقون

x ... cet sens
x renouvellement
x monnaie xx marchandises
x vouloir
s'attacher
des désirs
x inattention
محسن شعر
délicieux
فاخر
بارود
charger de poudre
حزر المدفع
انطلق المدفع

يطلقون البنادق ويصيحون بصوت واحد بكلام الفور دمْزُوقَه
أَيْئِيَهْ ومعناه اين الشيطان ويكررون الطلق ويرفعون اصواتهم
بذلك حتى يدخلون الى المحل الذي فيه المال فربما خاف وهرب منه
فعلت ذلك ففر ولله الحمد وخلصت من معاشرة الدمازيق
اى الشياطين ولقد اخبرنى عدة رجال ان النقاقير التى فى بيت
السلطان فيها واحدة تسمى منصورة متملكها الشياطين
وانها ربما ضربت بغير ضارب فاذا وقع ذلك يحدث فى دار فور امر
عظيم اما حرب عدو لهم او حرب بينهم وسياتى لهذا مزيد توضيح
حين نتكلم على عوائد الملوك واما عوايد القبايل الاخر كالبرقد
والداجو والبيقو والزغاوه والبرقو والمية وغيرهم فان بعضها
يقرب من عوايد اهل الجبل وبعضها يخالفها اما المخالفة فبعض
هذه القبايل فيه كرم ونجدة ورقة طبع وذلك لمخالطتهم
للعرب اهل البادية وللتجار الذين يذهبون من ارض مصر
وغيرها فتراهم اذا راوا ضيفا فاقسموا عليهم واحسنوا
ضيافتهم وان راوا غريبا اكرموه وذلك بخلاف الفور الاعجام
كاهل جبل مرة وتُمُرْكَة فانهم لا يكرمون الضيف ولا يألفونه
ولا ينزل الضيف عندهم الا قهرا عنهم انتهى

ارفع صوتك
élève la voix

الفصل الثاني في عوايد ملوك الفور

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلايق بقدرته وميزهم بحكمته وجعل اختلاف عوايدهم واحوالهم عبرةً لاولي الابصار وتذكرةً لذوي الاستبصار ليعلم العاقل اذا تامل في احوال الممالك واختلاف عوايدها وطبايعها المتنوعة وفوايدها ان القادر الخالق الاكبر جلت قدرته وعظمت ارادته انما نوّع احوال هذا العالم وخص كل قوم بمزيّة لا توجد في غيرهم ليعلم عظم قهره وحكمته كما انه اذا نظر في اختلاف السنتهم والوانهم وزيهم ومعاشهم علم انها اية كبرى كما قال تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار واختلاف السنتكم والوانكم ثم ان الله جعل لكل اقليم طبيعة فمن الاقاليم الحار ومنها البارد ومنها المتوسط بين الحرارة والبرودة وذلك بحسب قرب الاقليم من خط الاستوآء وبعده عنه فسبحانه الفعال لما يريد ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكن بالاختلاف تظهر المزايا وتشتاق النفس الى معرفة ما لم تعرفه ولولا ذلك لما ساحت السواح وما بذلت في الاسفار الاموال والارواح واذا تقرر ذلك فنقول عادة ملوك الفور مخالفة لعوايد غيرهم من الملوك ولملكهم السلطنة التامة عليهم فاذا قتل منهم الوفا لا يسئل لما ذا وان عزل ذا منصب لا

يسئل

يسئل لماذا فهو تام التصرف فى كل امر يريده واذا امر بامر لا يراجع
فيه ولو كان منكرا الامن قبيل الشفاعة ولا ترد له كلمة لكنه
اذا فعل مالا يليق من الظلم والعسف تحصل له بغضا فى قلوبهم
ولا يقدرون له على شئ فاول عوايدهم ان الملك لا يكون الامن
بيت الملك اى من سلالتهم ولا يمكن تولية اجنبى منهم ولو شرفا
وتحقق نسبه عندهم وثانيها ان الملك اذا تولى يجلس فى بيته
سبعة ايام لا يامر ولا ينهى ولا تقوم بين يديه دعوة وكلهم على ذلك
الا السلطان عبد الرحمن فانه خرق عادتهم كامر عند الكلام على
توليته وثالثها ان لهم عجائز تسمى الحبوبات وهن طائفة عظيمة
ولهن رئيسة تسمى
ملكة الحبوبات فعند
خروج السلطان يوم الثامن
يجتمعن ويأتين اليه وكل واحدة
منهن بيديها اربع قطع من الحديد
تسمى القطعة منها كرباجا وصورتها اما هكذا او هكذا او هكذا
وفى كل يد كرباجان يضربنها على بعضها فيحصل منها صوت وبيد
احداهن قبضة من سعف ابيض ومعها ماء اختلوا اهل دارفور

في ما تركبّ منه فتبل العجوز السعو من ذلك الماء وترش به على
السلطان مع قول كلام لا يعقله الا هن وياخذن السلطان
في وسطهن ويطفن به البيت ويتوجهن الى دار النحاس وهو
المحل الذي فيه النقاقير وهو طبول السلطان فيدخلن البيت
وياتين الى النقارية المسماة بالمنصورة فيقفن حلقة ويجعلنها
في الوسط والسلطان وحده معهن ويضربن الكرابيج على
بعضها ويقلن من كلامهن ثم يرجعن بالسلطان الى كرسي
مملكته وبعد جلوسه ذاك تدخل اليه الدعاوى ويتناول
الاحكام ومن عاداتهم ان السلطان لا يسلم على غيره الا بترجمان
صغيرا كان او كبيرا عظيما او حقيرا وكيفية ذلك ان اذا دخل عليه
أناس يجثون على ركبهم ثم يتقدم الترجمان ويسميهم واحدا بعد
واحد الى اخرهم وهو انه يقول إنو تورا فلانْ دُوكَهْ كَنِيجِي دَارِي
ومعناه ان هنا برا فلان سلام يعطي طاعة فاذا تم اسماء
الجالسين قال كِيكِينْ دُقُلَهْ كرِكَهْ ومعناه معهم اولاد وراهم
حتى اتباعهم وخدمهم فتقول العبيد الواقفون خلف السلطان
المسمون كُورْكُوا وقد تقدم ذكرهم دُونْكَرَايْ دُوكَهْ دُونْكَرَايْ
دُوكَهْ ومعناه سلام سلام سلام سلام فان كان في ديوان

حلقة

حفل

حفل ضرب اذ ذاك طبل يقال له
دنقار وهو طبل عظيم من خشب
مجلد من جهة واحدة اهراى
الشكل مقلوب هكذا

له صوت عال وان لم يكن ديوانا لا يكون ذلك ثم من شدة
تعظيمهم للسلطان ان السلطان اذا بصق في الارض يمسحه
بيده واحد من الخادمين القاعدين امامه المتطلعين دايما للسلطان
ولافعاله ولحركاته واذا تنحنح قالوا كلهم تس تس يعني يلفظون
بتاء مدغمة في سين من غير حركات يكون اللسان ضاربا للسنخ
العلوي للاسنان واذا عطس لفظوا بحروف لا يلفظ بها الا
الوزغ او من يسوق دابة واذا جلس واطال المجلس روحوا عليه
بمراوح من ريش النعام وان خرج الى الصيد يظللونه بشمسية
واربع مراوح كبار من ريش النعام مغلفات بجوخ احمر وهذه المراوح
تسمى
بالريش
وصورته
هكذا

فيقفون بالشمسية على راس السلطان ويجعلون المراوح
اثنين عن اليمين واثنين عن اليسار فيصير على السلطان ظل
واسع وللشمسية المذكورة والريش ملك مخصوص واعوان
يتداولونها نوبة فنوبة ماشيين على اقدامهم ومن عادة السلطان
اذا ركب ان ترفع امامه السجادة ولها ملك مخصوص واعوان
يتداولونها ايضا ومن تعظيم السلطان انه اذا ركض جواده وعثر
الجواد فرماه او وقع من شدة الركض انهم يرمون انفسهم جميعا
من على ظهور الخيل ولا يمكن ان يثبت احد منهم على ظهر
فرسه بعد وقوع السلطان بل ان راى الخدمة احدا
ثابتا على ظهر جواده ولم يرم نفسه يرمونه الى الارض ويضربونه
ضربا مولما وان كان عظيما لما يرون ان ثباته احتقارا بامر
السلطان واذا جلس السلطان للحكم في ديوانه لا يكلم
الناس مباشرة بل بواسطة ترجمان ان لم يكن ديوانا عاما
فان كان ديوانا عاما كانت سبعة المترجمون اولهم
عند السلطان واخرهم عند الناس اصحاب الدعوى
والمترجمون في الوسط والعساكر حوله والكوركوا خلفه
والعلماء والاشراف جالسون وهيئة ديوانه

هكذا

كُوزْكُوا

محل السلطان

وزير

وزير

خادم

خادم

عساكر

عساكر

عساكر

عساكر

هكذا

اصحاب الدعوى

الناس

مُوجَنَه

عساكر

عساكر

والناس جاثون على ركبهم امامه واضعين ايديهم على التراب والمُوجَنَه واقفون دايما وسنذكر تعريفهم فاذا سلم السلطان عليهم مسحوا التراب بايديهم واذا تكلم احد في مجلسه لا يبدا الكلام الا بقوله سلم على سيدنا ان كان عربيا وان كان فوراويا قال أَبَاكُورِي دُوكَّا جَنِي ومعناه ذلك واذا كان السلطان هو المتكلم يقول نسلم عليه اذا يتكلم بالعربي فالترجمان يقول دُوكَّاى دَايِك سِيدِي واذا كان بالفوراوية يقول دُوكَّا جَنِي ان كان عجميا وان

كان عربيا يقول سلم عليه ولاخصوصية لمجلس السلطان
فى ذلك بل كل مجلس تعمل فيه دعوى يقال ذلك حتى فى مجلس القاضى
ومشايخ البلاد ولا يمكن ان تعمل دعوى بغير دُوكَاجنى ويلزم لذلك
ان الكلام يطول وان كان قصيرا لتكرير هذه الكلمة بعد كل كلمة
اوكلمتين واذا افتتح احد دعوى بغير ذلك يعيبون عليه ويرون
انه غير متمدن بل اذا كان فى مجلس حاكم يؤدّب بالزجر ما لم يكن
غريبا فيُعذَر ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهى عادة لا
توجد فى غير دارفور وتجليد النحاس هو تغير جلود الطبول المساة
فى اقليم مصر بالنقاقير وهذا التجليد يعظمونه ويجعلون له
موسما فى السنة ومدته سبعة ايام وكيفية ذلك ان
السلطان يامر بنزع جلود الطبول كلها فى يوم واحد فتُنزع ثم
يوتى باثوار خضر اللون فيذبحونها وياخذون من جلودها
ويجلّدون بها تلك الطبول لكن اهل دارفور يقولون فى ذلك
كلاما لا يقبله عقل العاقل ممارس للكتب ولكنهم مُطْبِقون
على ذلك فانهم يزعمون ان هذه الاثوار من نوع بقر معروف
عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها بدون من يمسكها
ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون ان الجن هو الذى

يمسكها

نم على جنبك
couchez-vous sur le côté

+ blamer
× civilisé, éduqué
×× est châtié
× réprimandé

عمل لى ترجمان
servir d'interprète à moi
(fête annuelle)
× tambour

يا سيدى من انت
mon maître
× bœuf
× tanneur

بلا كافية بلا قافية
sans rime
× qui pratique beaucoup
× consentent
× d'elle-même, seule

قولك ما يقبله العقل

ce que vous dites n'est pas admissible

يمسكها ويميها ثم ياخذون لحومها ويجعل في خوابي ويترك ستة
ايام مع الملح وفي اليوم السابع ياتون ببقر كثيرة واغنام وتذبح كلها
ويطبخون لحومها وفي حال الطبخ ياخذون اللحم الذي في الخوابي
ويقطعونه قطعا صغيرة ويجعلون في كل قدر منه قطعا تخلط
باللحم الجديد ثم تفرق الموائد للملوك واولاد الملوك والوزراء على
حسب طبقاتهم ويقف على كل مائدة منها حارس من طرف
السلطان ينظر من ياكل ومن لم ياكل فاذا اخبر السلطان بان
فلانا لم ياكل امر بالقبض عليه في الحال لانهم يقولون ان من كان
في قلبه خيانة للسلطان او غدر لا يمكن ان ياكل من هذا اللحم
وان تعلل احد بانه مريض او لا يقدر على حضور ارسلت اليه
اواني منه مع حارس امين ينظر هل ياكل اولا فان ابى يقبض عليه
الا اذا كان معذورا بقوة مرضه وبعض اهل دارفور يقولون
انه يوتى بغلام وصبية لم يبلغا الحنث ويذبحان سرا ويقطع
لحمهما ويجعل في القدور مع لحم الحيوانات المذبوحة وبعض الناس
يقول لا بد وان يكون اسم الغلام محمدا واسم الصبية فاطمة
وان صح هذا فهو غاية الكفر بالله ورسوله ولكني لم اشاهد
ذلك ولم اقف عليه لاني غريب والاغراب لا اطلاع لهم على مثل

خابية grand vase; pot en cuivre; ×× mêler; × marmite; × tables servies di[illegible]; × rang; × justice; × [illegible]; ou plats [illegible] ou vaisselle اواني; × refuser; × excusé; × atteindre; péché; bestiaux; × [illegible]; il n'y a rien [illegible]

هذا الامر ابدًا لكني سمعته من الناس كثيرين يحلفون لي بايمان
مغلظة ان هذا الكلام صحيح لا ريب فيه وقبل اخراج الطعام تحضر
العساكر كلها ويقفون في بطحاء واسعة امام دار السلطان ثم
يخرج السلطان عليهم في زينته وأبهته فتعرض عليه الجيوش كل
ملك باتباعه واحد بعد واحد وكيفية العرض ان الملك ياخذ
اتباعه ويركض حتى يصل الى محل السلطان فان كان من العظماء
برز السلطان من جماعته الى ملاقاته مقدار خطوتين او ثلاثة وان
كان غير عظيم ثبت السلطان في موضعه فيرجع الملك وجماعته
ويفعل ذلك ثلاث مرات وفي الثالثة يعرضون على السلطان
ثم يرجعون الى محل وقوفهم فيخرج ملك اخر بجيشه ويفعل كذلك
وهلم جرًا فاذا تم العرض خرج السلطان راكضا وتتبع الملوك
وذهب اولًا الى اعظمهم ثم الى مثله والى اقل منه فهكذا حتى يمر
عليهم اجمعين جبرا لخاطرهم وكلما اتى قوما صاحوا في وجهه بكلام
يعظمونه به وهو انهم يقولون له بصوت عالٍ برنس رحم السلاطين
جنزير الملوك اداب العاصي فرتاك الجبال بلا ديوان وغير ذلك
فاذا تم العرض دخل السلطان داره ودخل وراءه جميع ارباب
المناصب من الوزراء والملوك واولاد السلاطين فيدخل السلطان

الدار

plaine
parure
sont présentées à lui
galoppe
rencontre

الى دار النحاس ويأخذ قضيبا ويضرب به النقارية المسماة
بالمنصورة ثلاث ضربات والعجايز
الى الحبوبات مُحدقات به بايديهن
الكرابيج يضربنها على بعضها كما
تقدم ثم يمشين زوجا زوجا هكذا
والسلطان بين الزوج الاخير حتى
يدخلن بالسلطان الى محل جلوسه
وانا شاهدت ذلك ثم تفرق

السلطان

كوزكوا كوزكوا

الاطعمة كما ذكرنا واذا كان بعض
القواد او الوزراء غائبا عن الفاشر في وقت تجليد النحاس ثم جاء
بعد ذلك واُتّهم بغدر او خيانة يُسقى من ماء كيلي وهو ماء ينقع
فيه ثمر شجرة مسماة بكيلي وثمره كالجوز تقول اهل دارفور ان
المتهوم بشيء اذا شرب منه ان كان بريئا يتقاياه في الحال وان
لم يكن بريئا يشرب منه حتى يمتلأ بطنه ولا يتقايا حتى انه ربما شرب
ملء خابية انا شاهدت لكن في تُهمة سرقة ولعل هذا من خواص
النباتات لان النبات في دارفور له خواص عجيبة سنذكرها بعد
ان شاء الله تعالى ومن عادة الفور ان السلطان له مزرعة معلومة

يزرعها لنفسه في كل سنة وفي يوم بذر الحب فيها بعد الامطار
يخرج في مهرجان عظيم ويخرج معه من البنات الجميلات المتجملات
بالحلي والحلل ما ينوف عن مائة صبية من محاظيه الخاصة حاملات
على رووسهن انية فيها الماكل الفاخرة وهذه الاواني تسمى
بالعُمار مفردها عُمرة فيمشين ورآء جواد السلطان صحبة العبيد
الصغار الحاملين للحراب المسميين كوركوا واصحاب الصفافير وهذه
يغنون بغنآء حال تصفيرهم وكوركوا الحاملون للحراب يغنون معهم
فحين تخرج البنات مع السلطان تغنين معهم ايضا فيبقى لجمعهم صوت
جميل جدا وحين ما يصل السلطان الى المزرعة ينزل عن جواده وياخذ
البذر وياتي احد عبيده يحفر الارض بمسحاة معه ويرمي السلطان
البذر وهو اول بذر يقع في الارض في الجهة التي فيها السلطان
فعند ذلك تتبعه الملوك والوزرآء والقواد فيبذرون الحب
ويزرعون المزرعة في اسرع وقت وبعد تمام زرع المزرعة يحضر
الطعام المحمول على رووس البنات المذكورة فيوضع امام السلطان
فياكل منه هو ووزراؤه ثم يركب في مهرجانه حتى يصل الى دار ملكه
وهذا اليوم من الايام المشهورة في دارفور

الفصل الثالث في مناصب الملوك في الفور

ومل‍ابسهم

وملابسهم وكيفية مجلس السلطان
وغير ذلك اعلم ان واجب الوجود تقدست ذاته
عن المعين لما كان منفردا بالقدرة المطلقة والارادة التامة المتصرفة
احوج الملوك الى الوزرآء والمدبرين والمعينين ليعلم عجزهم عن
الاستقلال في تدبير ممالكهم ومصالحهم ولولا ذلك الاحتياج
لطغوا وبغوا اكثر ماهم فيه من الطغيان بل ربما ادّعوا الالوهية
التي لا تليق الا بذاته العلية لكن خص كل اقليم بترتيب وتنظيم
فلهذا تجد اسماء مناصب الوزرآء الخلفا كانت مغايرة لاسماء
مناصب وزرآء الملوك الآن واسمآء مناصب وزرآء ملوك هذا
الزمن متخالفة ايضا ففي مملكة آل عثمان اسماء المناصب
الوزير الاعظم والكتخدا والخازندار والسلاح دار والمهردار والديوت
دار وخوجه دار وسر بوابين وقابجي باشي وغير ذلك من تتونجي
باشي وشربتجي باشي وقهوجي باشي وقفطان اغاسي وبشكير اغاسي
وباشات وامرآء الالوية وامرآء الايالات واما اهل دار فور فانهم
لتعظيمهم للسلطان لم ينتبهوا الا الى جسم السلطان فسموا
المناصب باسماء اعضائه فاول مناصبهم أُرُونْدُولُوكْ وهو
منصب عظيم القدر صاحبه يكنّى براس السلطان ولهذا

المنصب اقطاع عظيمة وبلاد وصاحبه لا يسلم عليه الا بذوكارا
دوكا وترفع السجادة امامه كالسلطان وصاحب هذا المنصب
اذا كان السلطان مسافرا او قانصا وظيفته ان يمشي بعساكره
امام الجيش كله لا يسبقه احد وثانيها منصب الكامنه وهو
في العظم والجلالة اعلا من أُرُونْدُولُوكْ ويكنّى عنه برقبة السلطان
لكن من عادة الفور ان السلطان اذا قتل في الحرب وسلم
الكامنه حتى رجع الى محل الامن يقتلونه لكن يخنقونه سرا ويولون
غيره للسلطان المتولي واذا مات السلطان على فراشه لا يقتل
الكامنه وهذا الكامنه يُسَمّى بلغة اعجام الفور ابا فوري ومعناه
ابو الفور ولصاحب هذا المنصب اقطاع جليلة وعساكر
كثيرة ويفعل مثلما يفعل السلطان ووظيفته ان يمشي خلف
جيش أُرُونْدُولُوكْ وثالثها أَبَا أُومَاكْ وهو قرين الكامنه في كل
شيء وهو كناية عن فقرات ظهر السلطان ووظيفته ان يمشي
خلف الجيوش بجيش لا يعقبه احد وان اعقب الجيش عدو ففيه
كفاية لدفعه والذب عن الجيش حتى يُدرك ويُمَدّ بالجيوش
ورابعها أَبَادِيمَا وهو اعظم من تقدم جلالةً وأُبّهةً وعساكرا
ويحكم على اثني عشر ملكا من ملوك الفور وله اقليم واسع يسمى

تُمُورْكَهْ

تموركه وله جميع ما للسلطان من الشارات والأبّهة ماعدا
النحاس فان طبله دِنقار وهو كناية عن ساعد السلطان
اليمين ووظيفته ان يمشي هو وعساكره عن يمين السلطان
وخامسها منصب التكنياوِى وهو قريب ابا ديا في كل شي
وهو كناية عن الساعد الايسر للسلطان ويحكم على اثنى عشر
ملكا ايضا من ملوك الجهة الشمالية وله اقليم واسع وسادسها
منصب الاب الشيخ وهو اعلا من جميع ما ذكر ولا فرق بينه
وبين السلطان واوامره تنفذ على جميع من ذكر وغيرهم وله
اقطاعات جليلة واقليم واسع وصاحب هذا المنصب مطلوق
السيف يقتل بغير اذن وجميع اهل المملكة تحت يده وهو كناية
عن عجيزة السلطان وقد تقدم بعض ذلك في حديث الاب الشيخ
محمد كرّا وسابعها مناصب الأُمَنا وهي اربعة كل واحد منهم
يدعى امينا واصحاب هذه المناصب لها اقطاع وعساكر وليس
لها من شارات الملك شي وهولاء الاربعة ملازمون لمجلس
السلطان وثامنها مناصب الكُورَايَاتْ وهي مناصب جليلة
القدر الا انها اقل من مناصب الأمنا رتبة ومناصب الكُورَايَاتْ
اربعة ايضا وتاسعها منصب سُومِنْدُقُلَّهْ وصاحبه

عظيم القدر ذو ابهة عظيمة واقطاع واموال وافرة ويليه منصب
كُورْكُوا واعلا من هذين منصب وَرَّيْبَايَهْ وهو منصب جليل
عظيم من عادة ملوك الفوران صاحب هذا المنصب لا يكون
الا خصيا لانه ينال منصب الابوّة بعد موت الشيخ وتقدم
لنا ان منصب الاب لا يتولاه الا خصى وصاحب هذا المنصب
يحكم على جميع الخصيان الموكّلين بحريم السلطان وهو ايضا صاحب
غضب السلطان وتحت يده الحبس فكلما غضب السلطان
على انسان اعطاه له فيسجنه في سجنه وتحت يده عساكر
كثيرة ومعنى وَرَّيْبَايَهْ بالفوراوية باب الحريم وصاحب هذا
المنصب تحت امر الاب الشيخ ويليه منصب ملك وَرَّادَيْنَهْ
ومعناه ملك باب الرجال ولكل بيت من بيوت الملوك والوزراء
بابان احدهما للرجال والثاني للنسآء فباب الرجال يسمى وَرَّادَيْنَهْ
وباب النسآء يسمى وَرَّيْبَايَهْ ويليهما منصب ملك العَبِيدِيَّة
وهو منصب جليل القدر صاحبه يحكم على جميع عبيد السلطان
الخارجين عن داره الذين في البلاد بنسائهم واولادهم وكذلك
تحت يده مواشي السلطان وآلات السفر من خيم وقرب
وغير ذلك ويليه منصب ملك القَوَّارِين اى المكّاسين وهو

منصب

منصب جليل صاحبه يحكم على جميع المكاسين وجميع الجلابة
وله اقطاع وعساكر عظيمة واعلا منه منصب ملك الجبابين
وصاحبه في ابهة عظيمة ومُلْك كبير وهو ملك الجبايين اى الذين
يجبون الغلال من البلاد ومعنى الجباية انهم ياخذون عشر ما
يخرج من الحبوب ويجعلونها في مطامير لاحتياج السلطان
وبعد ذلك ملوك كثيرة فحكّام الاقاليم عندهم يسمون الشَراتى
واحده شَرْتَاى وحكام القبايل يسمون دَمَالِج واحده دُمْلُج
ولكل من الشَرَاتى عساكر كثيرة ولكل من الدمالج اعوان وهولاء
خلاف السلاطين الصغار الذين ذكرناهم سابقا ثم اعلم ان
جميع من ذكر من ارباب المناصب لا يعطيهم السلطان
راتبا ولا مرتّب لهم عنده بل كل ذى منصب له اقطاع ياخذ
منها اموالا وما ياخذه من الاموال يشترى به خيلا وسلاحا
ودروعا ولبوسا ويفرقها في العساكر وكيفية ما ياخذه هو
ان زكاة الحبوب كلها للسلطان كزكاة الماشية فلا ينالون
منها شيا وانما لكل ملك منهم افدنة كثيرة يزرعها دخنا وذرة
وسمسما وفولا وقطنا تزرعها الرعايا وتحصدها وتدرسها
له قهرا عليهم وله الهامل وهو الضال من رقيق وبقر وغنم

وحمير يبيعونها له ويأخذ ثمنها وله التقادم وهي الهدايا التي
يقدّمونها له حين التولية والقدوم على البلاد وله الخطية وهي
في عرفهم اموال يدفعها الجاني للحاكم ويسمى عندهم بالحكم اذا
شجّ انسان اخر يوخذ من الشاجّ مال ويدفع للحاكم واذا أحبل
رجل امراةً في الحرام يوخذ من كلٍّ منهما مال على قدر حاليهما ايضا
وله الدم وهو في عرفهم اذا قُتِل قتيل ووُدي يشارك الحاكم
اقارب القتيل في الدية سواء كانت دية العمد او دية الخطاء
وذلك خلاف المظالم التي ياخذونها بغير حق وخلاف الاعمال
الشاقة التي يكلفونهم بها لانهم يبنون لهم بيوتهم ويسخّرونهم
في جميع اعمالهم ومن مناصب الفور ملك الموجبة واما
اخرناه لطول الكلام عليه وغرابته وغرابة المنصب وغرابة
افعال اهله وهو عندهم ادنى المناصب واقلها رتبة لكن
الكلام عليه يحتاج الى تمهيد وهو ان صاحب الحكمة الأزلية
والسلطنة الابدية واهب العقل ومانح الفضل وهب لكل
انسان عقلا يميز به الخير ليتبعه من المكروه ليحذره واودع
في كل انسان حب راي نفسه وعقله بحيث يرى ان عقله أتمّ
من عقل غيره ورايه احسن من راي غيره الا من بصّره الله بعيوبه

وعلمه بعجز نفسه عن تدبير جلب مصالحها ودفع مضارها
واذا تقرر ذلك فنقول من طبيعة بلاد الفور الميل الى اللهو والالتذاذ
واللعب والطرب يستفزهم ادنى مطرب فتراهم لا تخلو اوقاتهم
عن مطرب ملوكا كانوا او سوقة ولذلك استحضروا جميع ما
يمكنهم من الات الطرب فتجد كل ملك له غلمان صغار حسان
الاصوات وهم المسمون كوركوا ومعهم صفافير يصفرون بها
صفيرا هو في نفس الامر غناء مع حسن اصوات الصفافير
وحسن اصوات الغلمان فيسمع من جميع ذلك صوت
حسن وكيفية ذلك ان الملك ان كان عنده من الغلمان
عشرة مثلا يكون منهم ارباب الصفافير اثنين او ثلاثة والرابع
بيده قرعة جافة خاوية الباطن
مستطيلة احد طرفيها غليظ
والطرف الثاني رقيق يقبض عليه
باليد صورتها هكذا
فيجعلون فيها بعض حصيا
ويقبضها الغلام بشرط ان
يكون فمها منسدا بالقار ويهزها فيسمع للحصى فيها

صوت يوفّق على اصوات الصفافير والستة الباقون يغنون
وربما اخرج السلطان بعض جواريه مزينات حاملات لاواني
من الاطعمة للسلطان ماشيات خلفه صحبة الغلمان
فيغنين مع الغلمان والصفافير
وربما زادوا معهما طبلا من خشب
مستطيل كالطبلة المسماة في
عُرْف مصر بالدَرَابكَّة ويسمى عندهم
تَكْجَلْ وصورته هكذا
وله علاقة كما في الصورة فيُدخل
الضارب يده من العلاقة ويضع
العلاقة على كتفه ويصير الطبل تحت ابطه ويضرب عليه بكلتا
يديه نقرات محكمة على صوت الصفافير وما يغنونه يكون
بلسان الفور ولهم معلمون يعلمونهم التصفير والغناء والضرب
على الطبل المذكور والمشاة الذين يمشون امامه وبين يديه يغنون
غناءً وحدهم وكيفية ذلك انهم يكونوا كراديس كراديس يغني
من كل كردوس واحد والباقي يرد عليه بصوت عال ولذلك اذا
ركب السلطان تضرب الطبول وتغني جميع الناس مشاة وركبانا

فيسمع

حسن acquérir

usage

+ des premiers

eux seuls

فيسمع لذلك ضجة عظيمة مع اصوات الصفافير وغناء الغلمان
يخشى الانسان على سمعه منه لقوته وهذه الصفافير تسمى
طير الصعيد وذلك ان ببلاد صعيدهم طيور لها اصوات حسان
فاخترعوا هذه الصفافير على شكل اصواتها وينضم لتلك الاصوات
اصوات الموجية وهذا اللفظ في لغة الفور يطلق على الواحد والجمع
وهم طايفة عظيمة لها ملك مخصوص وهو في عرف الفور كالخلبوص
او المسخرة في عرف اهل مصر او كالسوتري في عرف الترك لكن
الموجيه يخالو ما ذكر لانه يتولى قتل من يامر السلطان بقتله
وصفة الموجيه ان يلبس على راسه عصابة فيها صفيحة من
حديد مستديرة الشكل مع التجويف وفي العصابة المذكورة
قطعة من حديد ايضا كالسمار معلقة بخيط محررة على التجويف
الذي في الصفيحة بحيث اذا هز راسه تضرب التجويف المذكور
ويسمع لها رنة عليه واعلا
منها في العصابة ريشة او
ريشتان من ريش النعام
وصورتها هكذا
وعلى الطرطور ودع وخرز معلق

à la manière
x se réunissent
et s'entre...
x inventer
ornement
trompe
costume
+ bandeau
xx bande en plaque
creux
rivgé
x contre le creux
coquillage
verroterie

ايضا وفي رجله اليمنى خلخالان من الحديد وفي اليسرى خلخال
واحد وتحت ابطه جراب صغير مستطيل
اذا حل عصابته وطرطوره يضعهما فيه
وبيده عصى معوج اعلاها هكذا
معلق فيه جلاجل فيقف بين يدى السلطان
من الموجيه اثنان او ثلاثة ان كان
السلطان في ديوانه وان كان في
سفر او قنص مشى امامه اربعة او خمسة وكل منهم يغني ويرقص
ويقول كلاما مضحكا يضحك منه سامعه ويحاكي نباح الكلب
وصوت الهر وغناؤه بكلام الفور لا بالعربي وليس في رقصه
تكسّر بل يهز راسه يمنةً ويسرةً ويضرب احدى ساقيه
بالاخرى فترن الحديدة التي في العصابة على راسه وترن الخلخال
التي في ساقيه واذا كان السلطان مسافرا او قانصا لا يغنون
بل يصيحون جميعا صيحة واحدة بقوة اصواتهم يقولون يا يا
وهكذا ما دام السلطان راكبا ولا خصوصية في ذلك
للسلطان بل كل ملك من ملوك الفور الكبار له موجيه يقف
امامه في ديوانه ويمشي قدامه في سفره والموجيه لا يخشون

باس

باس السلطان ولا غضبه ولهم جراءة عظيمة على السلطان
فمن دونه لا يكتمون السلطان امرا بحيث انهم اذا سمعوا امرا
فظيعا يقولونه في محفله وينسبون الكلام لقائله حقيرا
كان او جليلا لا يخافون لومة لائم واذا اراد السلطان اشاعة
امر او اعلان حكم امر الموجيه ان ينادي به فينادي به الموجيه
بعد المغرب وقبل العشاء نداء يسمعه الخاص والعام ومما اتفق
ان السلطان عبد الرحمن كان يحب العلماء ويكثر الجلوس معهم
في ليله ونهاره وقلما يجلس مجلسا الا ومعه عالم او اثنان
فاغتاظ الوزراء منه وقالوا كيف يتركنا ويجلس مع هولاء
لكن ان مات هذا السلطان لا نولي علينا بعده رجلا يقرأ ابدا
فسمع ذلك احد الموجيه فامهلهم حتى جلس السلطان في
ديوانه وحضر اوليك الوزراء فجاء الموجيه وقال بلسان الفور
كلاما معناه نحن ما بقينا نولي علينا من يعرف القراءة والكتابة
فالتفت اليه السلطان وقال لم ذلك قال لانك تترك الوزراء
وتجلس مع العلماء فاغتاظ السلطان لذلك ونظر اليه نظرة
الغضب فخاف الموجيه ان يسطو عليه فقال ما ذنبي انا سمعت
هولاء واشار الى الوزراء يقولون ذلك فقلته فالتفت السلطان

اليهم ووبخهم على ذلك واراد القبض عليهم فما خلصوا منه الا
بجهد ومشقة قلت والجاهلون لاهل العلم اعدآء ومن
ذلك ما حكاه لي بعض الثقات بدارفور ان السلطان تيراب السالف
الذكر صنع وليمة لام نسيته وحين حضر الطعام تتبعه لينظر
اى الطعام احسن فجآء الى طعام صنعته اياكري كنانة وكنشوعنه
فاعجبه فامر به للعلمآء فابت عليه وقالت انا عندك بهذه
المنزلة تعطي طعامي للمشايخ وطعام غيري للوزرآء والملوك فقال
انما امرت به للمشايخ لحسنه ولتحصل لك بركتهم فقالت دع
طعامي تاكله الوزرآء والملوك ولا حاجة لي ببركتهم فقال لا ياكله غير
العلماء فقالت لا وحياتك لا تاكله العلماء وغلبت عليه حتى
ارسله للملوك واختار من طعام غيرها للعلما وطايفة الموجيه
من افقر اهل دارفور لانهم ليس لهم حرفة الا السوال فانهم دايما
يقصدون الامرآء ويتكففون الناس وتخاف الامرآء منهم ويكرمونهم
لانهم لا يكتمون حديثا ان احسن اليهم احد اثنوا عليه واشاعوا
الذكر بكرمه وان احرمهم احد ذموه واشاعوا ذمه فهم في ذلك
كالشعرآء من اعطاهم مدحوه ومن منعهم هجوه ومن مناصب
الفور منصب اياكري وقد اسلفنا ذكره ومنصب الحبوبات وقد

ذكرناه

ذكرناه ايضا وان كان للسلطان المتولي ام فلها منصب وان كان
جدة فلها منصب ايضا لكن هذان المنصبان ليسا مقررين
بل يطرأن عند وجودهما ولقد رايت ام السلطان محمد فضل وهي
جارية وحشنا لو بيعت في دار فور لما كانت تساوي عشرة من
الفرانسا ورايت جدته وهي عجوز وحشنا من اقبح ما يرى في عجايز
السودان وكانت ناقصة العقل ومن نقص عقلها كانت تجلس
على كرسي وتحملها الرجال على اعناقهم للسفر البعيد ومعها من
العساكر خلق كثير ووشى اليها بعض الناس بان اهل دار فور
يقولون ان هذه الخادم قد طغت وبغت فحين سمعت ذلك
جلست في ديوانها واحضرت جميع اتباعها وقالت انا الحادم
الحادم جاب الفضة وجاب الفضة الذهب وقولها انا الحادم
بالحاء المهملة ومرادها الخادم بالمعجمة الا انها لا تقدر على النطق
بالخا المعجمة لعجمتها وهناك مناصب أخر اعرضنا عن ذكرها
لحقارتها واما كيفية مجلس السلطان فاعلم ان بيت سلطان
الفور في وسط بلده المسماة بالفاشر والناس حوله ولهذا جعل
لبيته بابان احدها وهو الاعظم هو المسمى وَرَّيدَيَا معناه باب
الرجال والثاني هو المسمى وَرَّيبايا ومعناه باب النسآء وفي كل منهما له

مجلس فمجلس وَرِّيذَيَا هو الديوان الاكبر وهو بعد ان يدخل
الداخل من الباب الاول وهذا المجلس واسع ولا يجلس فيه
السلطان الا في الايام العظيمة او للاحوال المهمة وقد نذكر ان
بناء الفور كله بقصب الدخن
او المرْهَبَيْبْ ومحل الديوان
يسمى لِقْدَابَه او رَاكُوبَة وصورتها
هي ان يوتي باخشاب ملسا
طويلة في اخر كل خشبة شعبتان
هكذا
فيحفرون في الارض حُفَرا متساوية
العمق ويجعلون الاخشاب
متساوية الطول ويجعلون
الحفر سطورا متقابلة لا يختل
سطر منها عن الاخر بحيث
انها تكون هكذا
لكن تكون كلها على نمط واحد
وخط واحد فيدخلون في كل

حفرة

حفرة خشبية من الاخشاب ويجعلون شعاب كل صو متجهة
لجهة واحدة ويضعون عليها خشبة طويلة تسمى بلدايا اى
يضعونها بين شعاب الصو فاذا كمل على تلك الهيئة ياتون بفروع
رفيعة تسمى مطارق فيجمعون منها كل اربعة اوخمسة سواء
ويربطونها بلحاء الشجر حتى تصير حزمة ويوصلونها بغيرها
وهكذا حتى تصير طول اللقداية
المذكورة ويجعلون من الفروع
جملة على هذا النمط ويرتبونها
كلها مربعا واحدا مستطيلا
فى وسطه مربعات فتكون
صورتها هكذا
ويضعونها فوق البلدايات المذكورة ثم يضعون البوص عليها
وهو مجعول حزما ويربطونها مع الفروع باللحاء فيتكون من
ذلك سقف جميل بالنسبة لبنائهم ففى وريديا يكون هذا المحل
واسعا وعلى هذه الصفة عالى السقف بحيث يمر تحته الراكب على
الهجين ولا يمس السقف راسه وكان قبل ذلك دانى السقف لا يمر
تحته الا الفارس فاتفق ان حضر عند السلطان رجلان ممن اتقن

ركوب الابل وادعى كل واحد منهما انه افرس من صاحبه فى ركوب
الابل وتشاجرا ثم اتفق رايهما على ان يركبا ويمرا ببعيريهما من تحت
اللقداية فتراهنا على ذلك وخرج السلطان والناس من اللقداية
وركبا وجآ راكضين فلما وصلا الى اللقداية احدهما نفز فصار على
ظهر اللقداية وترك بعيره وجرى مسرعا فصادف بعيره وهو
خارج من تحت السقف فركبه ومر سريعا لم يعقه شى والثانى
حين وصل الى اللقداية مال الى جانب بعيره ومسكه بيديه حتى
خرج من تحت اللقداية فكل منهما جاء بشى غريب فاحسن اليهما
السلطان واعترف الناس لهما بصناعة الركوب وانهما كفرقدى
سمآء وشذ بعض فادعى ان الذى ترك بعيره وجرى على ظهر
اللقداية اصنع وشذ اخرون فادعوا ان الذى مال فى جنب
البعير اصنع وحكم له السلطان ومن ذلك الوقت زيد فى
علو اللقداية ثم ان السلطان ان
جلس فى هذا الديوان يجلس
فى وسطه ولذلك بنوا له فيه
محلا عاليا لكن مركزه اعلا من
جانبيه هكذا

فالمحل

مُسْقَف profonne

étoiles

art

comme

nolet, avait une opinion à part

فالمحل العالى المتوسط هو محل جلوس السلطان والذى اقل منه
من جهة اليمين هو محل جلوس العلماء والذى عن يساره هو محل
جلوس الاشراف والفقهاء وعظماء الناس وامامه رحبة واسعة
فاذا اراد السلطان الجلوس لديوان عام او ملاقات بعض رسل
الملوك او يوم فرح وسرور زيّن محل جلوسه بالزرخانات المقصبة
ووضعوا فى المحل المذكور كرسيا وعليه مرتبة من الحرير فجلس السلطان
فى ابهته وجلس العلماء والفقهاء والاشراف حوله ووقف وزيراه
بين يديه وهما المسميان بالامينين ووقف رئيس تراجمته امامه
قريبا منه ووقف التراجمة الستة امام الترجمان الاول بين كل
ترجمانين مسافة قليلة بحيث كل ترجمان يسمع من يليه سمعا
جيدا ووقف الكوركوا بالصفافير خلفه وصاحب الدنقار معهم ووقف
عبيد السلطان واصحاب سجنه وغضبه وراء الناس وجلس الناس
الباقيون كل واحد فى المحل اللايق به ووقف ملك الموجيه قريبا
من الترجمان الاول وقد انتظم المجلس وقد رسمنا كيفيته فى باب
عوائد الفور فراجعه ان شئت وأما ان جلس السلطان
فى ورتيبايا فان مجلسه يكون مختصرا وهو اشبه بمجلس سرلان
اللقداية التى يجلس فيها صغيرة وح لا يقف امام السلطان الا

si tu veux retourne ... abrégé

ترجمان واحد وموجيه واحد او اثنان وان كثروا فثلاثة والسلطان
قد يكون جالسا واكثر ما يكون جالسا بالليل وقد يكون راكبا
واكثر ما يكون ذلك بالنهار وان جلس ففي محل عال لكنه غير مزيّن
ولا فرش له حتى الا سجادة واحدة وبازائها مخدّة وقد ذكرنا سابقا
ان من العوائد ان السلطان لا يسلّم عليه الا بدوكراى دوكا وانه
اذا بصق مسح التراب الذى بصق عليه فى الحال واذا تنحنح قالوا
صوتا كصوت الوزغ وبيناه هناك اتم تبيين فلا فائدة فى الاعادة
هذه كيفية مجلس سلطان الفور واما كيفية مجلس سلطان
الواداى فتختلف فاننا نذكر ان الواداى دائما يحجبون السلطان عن
اعين الناس ويشددون فى ذلك فلا يتمكن احد من رؤيته
جيدا ولا تجتمع عليه الملوك كما تجتمع على سلطان الفور لانهم
يرون ان عدم اجتماع الناس عليه اهيب له وانفذ لكلمته ولما
كان الامر كذلك وخيف من وقوع ظلم واجحاف رُسم ان يجلس
السلطان للمظالم فى يوم الاثنين والخميس وجعلوا الجلوسه
ذلك كيفية مخصوصة تقام فيها نواميس الملك وينزجر الظالم
وينتصف المظلوم ورتبوا له مجلسا بحيث يحصل المقصود من
غير اختلاط بالعالم وسنذكر ان بناء الواداى قد يخالف بناء الفور

فان

وان الفور لا يبنون باللبن الا قليلا وان الوادى اكثر بنائهم
باللبن فجعلوا المجلس المعد لذلك عاليا يجلس فيه السلطان
مع بعض خواصه في يوم الاثنين والخميس ولا تراه الناس وانما
يعرف جلوسه فيه براية يبرزونها من طاق في المجلس الذى هو فيه
وبصوت البردية فمهما برزت الراية وضربت البردية وهي طبل
كالكوبة المسماة في مصر بالدربكة لكن صوتها عال شديد
فيسمع الكبرتو فيبوقون بالبوقات ويضربون بالنحاس فتسمع
الناس خصوصا وان من كانت له دعوة يترقب ذلك اليوم فيجلس
كلهم في الفاشر وان الكماكلة دائما جالسون في الفاشر لسماع
الدعاوى وان ارباب المناصب والمراتب يترقبون في ذلك اليوم
جلوس السلطان في الديوان فتحضر التراجمة المسمون بخشم
الكلام والعقدة والملوك على طبقاتهم ويحضر القاضي واشراف
الناس والعلماء فيجلسون في ظل شجر في الفاشر يسمى ذلك الشجر
بالسيال فمتى اخرجت الراية من الطاق وضربت البردية دخل خشم
الكلام ورقي من سلم في داخل البيت وخرج من طاق لمصطبة
معدة لجلوسه بحيث يصير قريبا بمسمع السلطان ووقف
هناك واصطفت العساكر وجلس القاضي والعلماء في مراتبهم

faire sortir
briques
prière
fenêtre
timbale
trompettes
sonnent
attend
procès
rangs
arbres
à un étage
escalier
met
sont au leurs

وكذلك الاشراف والتجار وجا من له دعوة رفعها الى السلطان
وذلك بعدان يقول خشم الكلام السلطان يسلم عليكم يا اهل
الفاشر السلطان يسلم عليك يا قاضي السلطان يسلم عليكم
يا علماء وهكذا كما يفعل في يوم الجمعة ولنرجع الى ما نحن بذكر الفور
فنذكر نبذة في صفات تندلتي فاشر السلطان وفي بيته وصفة كل
منهما حسب الامكان فنقول وتندلتي فهي الآن قاعدة مملكة
الفور واول من نزلها وخطها من الملوك السلطان عبد الرحمن
سنة ١٢٠٦ من الهجرة واما صفة ارضها فرملية كاحد الاقواز يشقها
واد بالعرض وهذا الوادي رجل من الوادي الاكبر المسمى الكوع ففي
ايام الخريف يمتلاه ذلك الوادي ماء فلا يعبره عابر الا من محل بعيد
من جهة المشرق وفي وقت نضوب المياه وذلك تارة في اخر الشتا
وتارة في اول الصيف يحفرون فيه الابار ومنها تشرب اهل الفاشر
كلها والسلطان لخوفه من السحر يشرب منه تارة وتارة ياتون
له بماء من جديد السيل لانه قريب من تندلتي من جهة الشرق
بنحو فرسخ وبناء الفور كله من قصب الدخن وحيطان بيوتهم
الخارجية كلها بالشوك ويسمون الحائط الخارجي زريبة والحائط
الداخلي صريفا والبيوت اعني المساكن كلها على هيئة قبة الخيمة

فيكون

فيكون الصريو لها كالطرز لكن البيوت اصناف في البناء بيوت
المساكين وهي مساكن عندهم تسمى بالبيوت وهي من قصب الدخن
وبيوت الامراء والملوك وهي مبنية من الرهبيب كما سنذكر ذلك
ومنها ما يسمى سكتاية ومنها ما
يسمى تكلتي ومنها ما يسمى كرنك فاما
السكتاية فصورتها هــــكذا
فهي كقبة الخيمة الا انها طويلة رفيعة
من اعلا وياتون ببيض النعام فيثقبونه
كل بيضة ثقبين من محوريها ويدخلون
في الثقب عودا فيجعلون في العود ثلاث بيضات او اربعا بينها كرة من فخار
احمر اما اسفل ذلك او اسفل ابريق من
صناعة كيري وينصبونه على قمة القبة
واما التكلتي فهو بيت شكله هــكذا
من اعلا نصف كرة وقائم على درزويتين واما الكرنك فهو مثله الا انه قائم
على اربع درزويات والسلطان يضع بيض النعام على سكاتيه وتكاليه وكرانكه
ويكسو اعلاها ثيابا حمراء وبيضاء هكذا ▬ ليتميز بها عن غيره
واسفل دائرة سكتايات السلطان والايا كري والسراري وكبار الدولة

مبنى من الطين واما اعلاها ففى المرهبيب وهو عزيز الوجود وهذه
الداير تسمى دُرْدُرْ قطره كقطر الخيمة المعتادة واعلم ان اهل
الفاشر منقسمون الى قسمين احدهما اهل وَرَّيْدَيَا والثانى اهل
وَرَّيْبَايَا وبيت السلطان بينهما فاهل وريديا يسكنون جهة
باب الرجال المسمى بوريديا واهل وريبايا يسكنون جهة الباب
المسمى وريبايا فزريبة السلطان موضوعة على شفير الوادى فى
العلو الكائن هناك فهى شمال الوادى وليس بينها وبينه الاخطوات
قليلة وممتدة الى جهة الشمال مسافة بعيدة وباب الرجال يفتح
جهة الشمال امام الفضاء المسمى بالفاشر وهو متسع عظيم يكاد
ان يكون ثلثى داير ونذكر الان صفة زريبة السلطان وبيوته
اما الزريبة فهى من شوك الكِتِر والحَشَاب ثلاثة صفوف بين
كل صفين جذوع من خشب فيها بعض تفاريع محفور لها فى الارض
حفر عميقة والشوك من امامها وخلفها كالبنيان المرصوص
علوه اطول من قامة والجذوع بارزة منه وفى كل سنة يجدد ما
حصل فيه خلل وبين الشوك وبين المساكن مسافة
نحو اربعين خطوة ولوَرَّيْدَيَا اربعة ابواب كل باب عليه بوابون
يتناوبون حفظه والابواب ليست كالابواب المعهودة اعنى

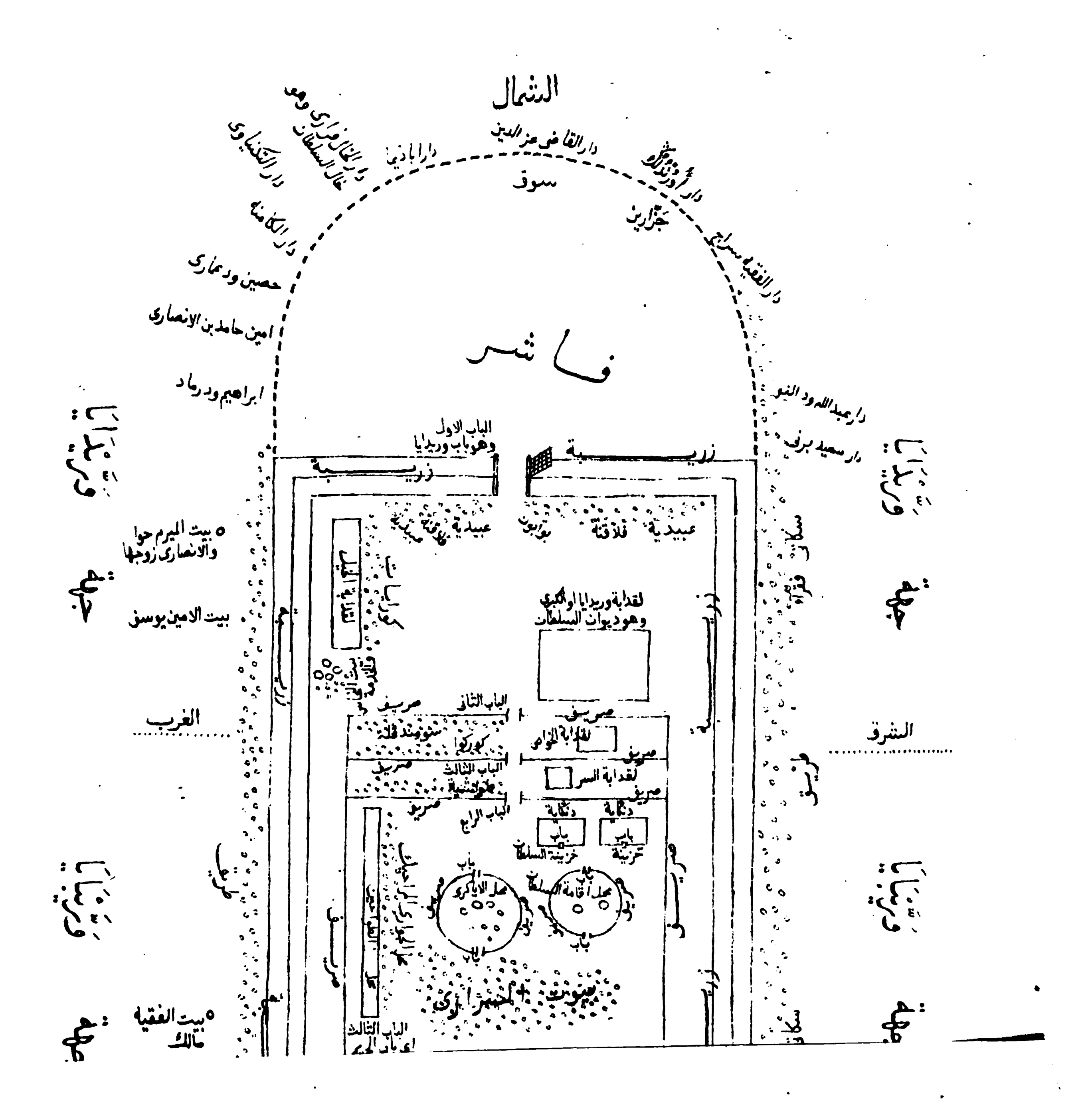
انها

انها من الواح الخشب بل
هى اعواد مربطة بالقد النيء
اعنى غير المدبوغ على هيئة
شباك هكذا

وقد جعل فيه سلسلة من
حديد وكل فجوة باب مجعول فى حافتها اعواد كثيرة من
خشب فتجعل السلسلة فى عود منها ويدخل فى
الحلقتين قفل كاقفال الصناديق ومسكن البوابين
قريب من الباب فاذا دخل الداخل فى وَرَّيْدَايا من
اول باب يجد داخل الباب فضاء واسعا وفى اخره اللقداية
الكبرى التى هى ديوان السلطان فتكون على يسار الداخل
وقد ذكرناها سابقا ورسمنا صورتها فلا اعادة وعلى
يمين الداخل محل الكُورَايَات وهم فى عرفنا سُوّاس الخيل
والأصابل قريبة منهم وهى لقداية طويلة قليلة العرض
مربوط فيها خيول الملك وبعد الاصابل بيت النحاس
وبيوت خدمته قريبة منه والباب الثانى لسُومِنْدُقُلَة
والباب الثالث لكُوزكُوا والباب الرابع للطوانشية وبين

كل باب بين فضاء وصريف حاجز وعليه مركب الباب وايضا
داخل الباب الثانى لقداية اخرى يجلس فى هذه اللقداية
السلطان مع خواصه وداخل الباب الثالث لقداية
ثالثة صغيرة يجلس فيها السلطان مع خواص خواصه
وداخل الباب الرابع الحرم والجوار ومحل سكنى السلطان
كما سنبينه بالرسم ان شاء الله واما وَرَّيبَايَا فهو
باب يدخل منه الى فضاء طوله اكثر من عرضه وفى اخره
لقداية كبيرة تكون مثل ثلث اللقداية الكبرى التى فى
وَرَّيْدَايَا وهذه اللقداية عن يسار الداخل وعن يمينه
من بعد ابنية للفلاقنة وللبوابين وداخل الباب الثانى
لقداية اخرى اصغر منها يكون فيها السلطان بالليل
مع من يحب من خواصه وعن يسار هذه اللقداية
الباب الثالث وهو كانه فى ركن وقد رسمنا هنا
صورة الزريبة السلطانية والبيوت كما ترى فى الصحيفة
الاتية بعد هذه لانك تعرف ما ذكرناه فى ذلك مفصلا
وتكون كانك قد شاهدت ذلك عيانا وهذه الصورة
فيها صفة دار السلطان فى الجملة

الشمال



الشمال
دار القاضي عز الدين
سوق
جزارين
فاشر
ابراهيم ودرماد
امين حامد بن الانصاري
حصين ود عماري
زريبة
الباب الاول
وهو باب وريدايا
عبيدية
قلاقلة
لقداية وريدايا او الكبرى
وهو ديوان السلطان
بيت الميرم حوا
والانصاري زوجها
بيت الامين يوسف
الغرب
الشرق
صريف
الباب الثاني
الباب الثالث
لقداية الخواص
لقداية السر
الباب الرابع
دكانة
باب
خزينة السلطان
محل اقامة السلطان
بيت الفقيه
مالك
الباب الثالث

واعلم ان اهل الفاشر سواء كانوا اهل وَرَّيْدَايَا او اهل وريبايا
كل منهم يحافظ على محل سكناه خَلَفًا عن سَلَفٍ فكل من تولى
منصبا يبني بيته في محل صاحب المنصب الاول او قريب منه فمن
كان من اهل وريدايا لا يسكن في وريبايا وكذلك العكس ولا
خصوصية للاقامة في ذلك لانهم يحافظون على اماكنهم ولو
في السفر فلو انتقل السلطان بعساكره مسافرا متى ما
نُصِبَتْ خيمته في بقعة نصب العساكر حسب ذلك
كل منهم في محله المعلوم بحيث لا يكون بين الدينة في الاقامة
وبين المنزلة في السفر فرق الا كبر المنازل واتساع البيوت
واما الجهات فكل منهم يعرف محل البعض فكانهم في المدينة
ومن ذلك ان السلطان ياتي بالليل الى المنزلة فيعرف
محل سكناه من غير سوال وكذا اتباعه كل وزير وامير يعرف
منزله وما ذاك الا من المحافظة على المنازل وفي ذلك فوايد
منها انه لو ارسل السلطان لانسان يطلبه بالليل لا يسئل
المرسل احدا بل يعرف ان منزلة فلان في الجهة الفلانية فيذهب
اليه من غير سوال احد وكذا لو ارسل بعض الوزراء او الملوك
لبعضهم حيث ان المنازل محفوظة لهم لا يتعب رسلهم بل

كل منهم يعرف منزل صاحبه وهذا من اغرب ما يكون **واما زيهم في الملابس** فاعلم ان بلادهم في الحرارة بمكان عظيم ولشدة حرها لا يمكنهم ان يلبسوا الا الثياب الخفيفة لكن يتفاوتون في ذلك فالاغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جدا بيضاء كانت او سودا واما الفقرآء فانهم يلبسون ثيابا خشنة واما السلطان والوزرآء والملوك فان كل واحد منهم يلبس ثوبين كالاقمصة رفيعين جدا إمّا ما يجلب لهم من مصر او مما يعمل في دارفور لكن ان كانا من البيض فانهما يكونان في غاية من البياض والنظافة وان كانا من السود يكونان نظيفين ايضا ولا يتميز السلطان عن غيره في ذلك الا بما يلبسه زيادة على القميصين وذلك انه يضع على راسه كشميرا وهم لا يمكنهم ذلك والسلطان يتلثم بشاش ابيض يضع على راسه منه طيات وعلى فمه وانفه لثام منه وعلى جبينه ايضا بحيث لا يظهر منه الا الاحداق لكن اللثام يشارك فيه أُورُونْدُلُك والكامنه فانهما يتلثمان كالسلطان وكذلك السلاطين الصغار يتلثمون ايضا لكنه يتميز بالسيف المذهب والحجاب الذهب وبالظلة ان كان راكبا وبالريش وبالسروج المذهبة

والركاب

والركاب وعدة الجواد التي لا يمكن سواه ان يجعلها على جواده وان
كان في محل جلوسه لا يتلثم الا هو وحده ومن ذكر لا يمكنهم
ان يتلثموا بحضرته الا ان كانوا راكبين معه او كان كل منهم
في محل حكمه وديوانه وانواع ما تلبسه اهل دارفور الاغنياء من
الملابس من المجلوب الشاش والبفت الانجليزي والثياب الحرير
في يوم المهرجانات كيوم العيد ويوم تجليد النحاس ولهم ملاحف
يتلفعون بها وهي كالملاءة التي يتلفع بها في اقليم مصر وهي إما
من الالاجة او من الشاش لكن يكون لها هُدْب طويل وهذه الملحفة
يتوشح بها او توضع على الصدر والاكتاف واذا حضر لابسها
امام السلطان يشد بها وسطه وذلك من كمال الادب عندهم
وان كان من غير المجلوب فالكُلْكُو وهو ثوب من قطن بغزله
رفيع جدا طوله عشرون ذراعا وعرضه ذراع واحد ومتوسطهم
يلبس من المجلوب الشَنْوَتَر وهو كناية عن العبك المصبوغ
ازرق ويجلب لهم بعض قماش من المغرب اي من بلاد الوَدَاي
والبرنو والباقرمه يسمى التيكو والقُدَاني لكنها غير عريضة
لان عرض الشقة قيراطان لا غير فيتعبون في خياطتها والتيكو
والقُدَاني المذكورات سود لكن القُدَاني مع انه اسود يرى في لونه

كل منهم يعرف منزل صاحبه وهذا من اغرب ما يكون **واما**
زيهم في الملابس فاعلم ان بلادهم في الحرارة بمكان
عظيم ولشدة حرها لا يمكنهم ان يلبسوا الا الثياب الخفيفة
لكن يتفاوتون في ذلك فالاغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جدا
بيضاء كانت او سودا واما الفقرآء فانهم يلبسون ثيابا خشنة
واما السلطان والوزرآء والملوك فان كل واحد منهم يلبس
ثوبين كالاقمصة رفيعين جدا إمّا ما يجلب لهم من مصر او
ما يعمل في دارفور لكن ان كانا من البيض فانهما يكونان في
غاية من البياض والنظافة وان كانا من السود يكونان نظيفين
ايضا ولا يتميز السلطان عن غيره في ذلك الا بما يلبسه زيادة
على القميصين وذلك انه يضع على راسه كشميرا وهم لا يمكنهم
ذلك والسلطان يتلثم بشاش ابيض يضع على راسه منه
طيات وعلى فمه وانفه لثام منه وعلى جبينه ايضا بحيث لا
يظهر منه الا الاحداق لكن اللثام يشارك فيه أُورُونْدُلْك
والكامنه فانهما يتلثمان كالسلطان وكذلك السلاطين
الصغار يتلثمون ايضا لكنه يتميز بالسيف المذهب والحجاب
المذهب وبالمظلة ان كان راكبا وبالريش وبالسروج المذهبة

والركاب

والركاب وعدة الجواد التي لايمكن سواه ان يجعلها على جواده وان
كان في محل جلوسه لا يتلثم الا هو وحده ومن ذكر لا يمكنهم
ان يتلثموا بحضرته الا ان كانوا راكبين معه اوكان كل منهم
في محل حكمه وديوانه وانواع ماتلبسه اهل دارفور الاغنيآ من
الملابس من المجلوب الشاش والبفت الإنجليزي والثياب الحرير
في يوم المهرجات كيوم العيد ويوم تجليد النحاس ولهم ملاحف
يتلفعون بها وهي كالملاءة التي يتلفع بها في اقليم مصر وهي إما
من الالاجة اومن الشاش لكن يكون لها هُدْب طويل وهذه الملحفة
يتوشح بها او توضع على الصدر والاكتاف واذا حضر لابسها
امام السلطان يشد بها وسطه وذلك من كمال الادب عندهم
وان كان من غير المجلوب فالكلكف وهو ثوب من قطن غزله
رفيع جدا طوله عشرون ذراعا وعرضه ذراع واحد ومتوسطهم
يلبس من المجلوب النشوتر وهو كناية عن العيك المصبوغ
ازرق ويجلب لهم بعض قماش من الغرب اي من بلاد الودّاي
والبرنو والباقرمه يسمى التيكو والقُدَاني لكنها غير عريضة
لان عرض الشقة قيراطان لاغير فيتعبون في خياطتها والتيكو
والقُدَاني المذكوران سود لكن القُدَاني مع انه اسود يرى في لونه

188

بعض حمرة فهو كلون رقاب الحمام السود ومن عجيب ما رايته
في ذلك ان لابسه اذا تنخم خرجت النخامة من صدره سودا
وذلك ان النيلة تدخل في مسام جسمه حتى تؤثر في صدره
وبالجملة فالغني سلطانا كان او وزيرا او ملكا يلبس ثوبين
وسراويل وعلى راسه طربوش وباقي الناس لا يلبسون
الا ثوبا واحدا وسراويل وملحفة ان تكن وعلى راسه طاقية
بيضا او سودا واكثرهم يكون راسه عريانا واما نساؤهم
فانهن يلبسن مئزرا في اوساطهن يسمى في عرفهم الفردة
ثم الابكار يلبسن فوطة صغيرة على صدورهن يقال لها الدرّاعة
وهي لبنات الاغنياء تكون من حرير او ألاجة او بفت ولبنات
الفقراء تكون من التكاكي ويربطن في اوساطهن الشرطة
يجعلن فيها الكنافيس والكنفوس عندهن عبارة عن
منسوج عرضه اربع قراريط طوله نحو من ثلاثة اذرع تاخذه
الواحدة منهن وتدخل طرفه من الامام في الشريط التي في
وسطها وتفوت الطرف الاخر بين فخذيها وتشبكه في
الشريط من الخلف وهو كالحفاظ عند نساء المدن في ايام
الحيض الا ان الكنفوس عند نساء الفور لا يلبسنه لاجل الحيض

بل

بل يلبسنه مطلقا واذا تزوجت البكر لبست ازارا كبيرا
يسمى في عرفهم الثوب وهو عبارة عن ملاءة تلتف فيها
المرأة ثم هو على قدر مقامات الناس في الغنى والفقر فنسا
الفقراء اثوابهن من النَّكَاكِي والاغنياء من النشوتر او الكلكف
او التيكو او القُدَاني او البفت ولا يكون من حرير ولا من
الاجلة واما حُلِي النسا عندهم فانهن يلبسن الخُزام وهو
للاغنيآء من الذهب وللمتوسطين من الفضة وللفقرآء من
النحاس وهو على نوعين حلقي وشوكي فالحلقي عبارة عن
حلقة فيها ثلم وهذا الثلم تجعل
فيه مرجانة وهذه صورتـــه
والشوكي عبارة عن حلقة نصفها
غليظ ونصفها رفيع كالشوكة يجعلن فيه اربع مرجانات
بينها حبة من ذهب او ثلاث حبات احداها ذهب وراس
طرفه الغليظ كحبة مربعة الاسطحة
وصورته هـــكذا
ويلبسن في اذانهن اخراصا كبارا
من فضة يزن الخرص منهن نصف رطل ولئلا يضر اذانهن

يربطنه بعلاقة في روسهن تحمل ثقله عن الاذن وهو عبارة
عن حلقة واسعة احد طرفيها شوكي والاخر كالحبة المربعة
الاسطحية كالخزام ومن لم تجد خزاما ولاخرصا تسد ثقب
انفها بمرجانة اوحبة خرز مستطيلة وتسد ثقب اذنيها
بقطعة من لب بوص الدخن اوالذرة او قطعة من خشب
ويجعلن في اجيادهن عقودا من انواع الخرز كالمَنْصُوص وهو
عندهم عبارة عن خرز اصفر من كهربا وهو نوعان كروي
ومفرطح وتختلف افراد كل منهما في الصفر والكبر والرِّيش وهو
عندهم عبارة عن خرز مستطيل ابيض فيه خطوط حلقية
ابيض منه وخطوط سمر وهو على انواع احسنها المسمى عندهم
بالسُومِيت وكله جامد صلب كانه من رخام يجلب من
الهند وهو خرز رفيع مستطيل كثير الخطوط فيه سمرة م
والعَقِيق وهو عبارة عن خرز احمر كروي كله يتفاوت في الكبر
والصغر وهو من عقيق والمرجان وهو نوعان نوع يسمى
القَصّ وهو خرز اسطواني مستطيل قليلا ونوع يسمى
المُدَرْدَم وهو خرز كروي ودَمّ الرُعَاف وهو نوع خرز احمر
داكن منه ما هو اسطواني ومنه ما هو كروي وهو من زجاج

يجلب

يجلب من بلاد اوربا والفاو وهو مرجان صناعي كروي
وطويل كله فيعملون من جميع ذلك عقودا ويلبسنها
كل منهن على قدر حالها في اليسار وعدمه فترى منهن
من يكون لها عقد واحد ومن
يكون لها اثنان هكذا
ومن يكون لها ثلاثة واغناهن
لا تزيد على اربعة عقود هكذا
ويرتبن الخرز المذكور فيها ترتيبا
حسنا بحيث يألفه النظر ويميل للابسه القلب ويضعن
على روسهن تمايم من حب نبات يسمى الشوش وهو
حب صغير احمر كالجلنار وفي جانب كل حبة منه نكتة سودا
وهذا الحب رويته مفرحة جدا وودع وفول وهذا الفول
عندهم ذو الوان منه ما هو احمر ناصع الحمرة ومنه ما هو تبني
اللون ومنه ما هو اسود ومنه عسلي فينقبن الشوش
والودع والفول وينظمن الشوش وحده تمايم لكن يجعلن
في اسفل كل تميمة اما جلجلا او ودعة ويجعلنها
عناقيد هكذا

لكن يفصلن بين كل تعريجة بخرز ازرق ويلبسن في
اوساطهن خرزا على انواع فنسآء الاغنيآء يلبسن خرزا كبيرا
مثل الجوز يسمى عندهم رُقاد الفاقه ونسآء المتوسطين
يلبسن المنجُور ونسآء الفقرآء يلبسن اما الحَرِش واما الخدُّور
وجميع ما ذكر يعمل في الخليل من بر الشام لكن رُقاد الفاقه
املس جدا وهو ما بين اخضر وازرق واصفر ومشاهرة
وهو خرز اسود منقط بنقط بيض والمنجور كذلك في الالوان
الا انه اصغر حجما منه وفيه خُروشة وعدم اتقان في صناعته
والحَرِش في لونهما لكنه صغير كحب السبحة مع الخروشة
الكلية وله غضون واما الخدُّور فانه حب اسطواني وهو
اما احمر او ابيض ويلبسن في اذرعتهن عقدا يسمى المذرعة في
المفصل بين الزند والساعد وهو عقد مركب من خرز اسطواني
طول الخرزة من نحو قيراطين وهو اما ابيض او اسود ويسمى
الشُنُوُور فينظمن خرزة بيضا وخرزة سودا ويفصلن بين
كل خرزتين بحبة اما من المرجان الاحمر او من المرجان الطبيعي او
الصناعي او من حب الرعاف وذلك على قدر حالهن في الفقر
والغنآء ومن حليهن اللدّاى وهو سلك غليظ من الفضة

نصف

نصف دايرة فى طرفيه اعوجاج كالسنّارة فيوخذ سلك رفيع من
النحاس وينظم فيه منصوص ومرجان وعقيق ويربط طرفاه
فى الاعوجاج الذى كالسنارة من
الطرفين فيكون السلك الرفيع وما
هو منظوم فيه كالوتر للقوس وصورته هكذا
فيجعلن الوتر قريبا من جباههن ويشبكن السلك الغليظ
فى شعورهن ويلبسن فى اياديهن اساورا من عاج او من قرن
فاذا كانت من قرن سميت بالكيم او من نحاس وبنات الاغنيا
من الفضة والعاج معا وفى ارجلهن الخلاخيل وهى من النحاس
للجميع لكن بنات الفقرآء من النحاس الاحمر وبنات الاغنياء من
النحاس المخلوط بالتوتيا فرارا من حمرة النحاس المعروفة الى الاصفرار
القريب للون الذهب ويجعلن من انواع الخرز الرفيع الملوّن
عصابة على جباههن وفى اياديهن واما طيبهن فهو السُنبُل
والحَلَب وكعب الطيب وهو المسمى بعرق الفور عرق أمّ ابيض
لسبب لونه الابيض بشئ اسمر واصفر وبعرف مصر عرق
بنفسيج بسبب رايحته وخشب الصندل وشئ كالمحار
الصغير يقال له الظُفر وهو اسمر الى سواد والشَيبة والمرسين

وبعض الاكابر يتطيبون بالجلاد وهو جلد نوافخ المسك وعندهم
ثمر شجر ذكى الرايحة يسمى الدايوق وهو حب احمر يميل الى الصفرة
يسحقنه النسآء ويخلطنه بطيبهن ومن عادتهن ان يكتحلن
بالاثمد لكن لا يضعن الكحل فى اعينهن بل يجعلنه على الاجفان
السفلى والعليا من الخارج فيلتصق عليها بواسطة الدهن
ويكحلن عشا قهن كذلك فترى الشباب والشابات كلها
متكحلة كذلك ومن عادتهم ان العاشق ياخذ من محبوبته شياً
من حليها المعروف ويلبسه افتخارا له وتذكارا لاسمها واذا
اصابه مهمّ اوعثر يقول انا اخو فلانة وهى تقول كذلك ايضا
واكثرهم لا غيرة له على عرضه فربما دخل الرجل داره فوجد امراته
مع غيره فى خلوة فلا يغضب ان لم يجده على صدرها واما اذا
دخل ووجد ابنته او اخته مع اجنبىّ لا يسوءه ذلك بل ربما سُرّ
به وظن ان ذلك يكون سببا لزواجها ومن عادتهم
ان البنت اذا طعن ثديها يفردون لها محلا تبيت فيه
وياتيها من يحبها فيه وتبيت معه ومن ذلك يقع الحبل
باكثر بناتهم ولا عار عليهم فى ذلك وولد زنا عندهم
ينسب لخاله وكذلك البنات فالبنت التى تكون من هذا

القبيل

القبيل يزوّجها خالها وياكل من صداقها مالاً لاسيما ان كانت
جميلة وبالجملة لا يمكن في دار الفوران تمتنع النسآء عن الرجال
ولا الرجال عن النسآء بل لا يمكن الرجل ان يحرز ابنته تحت كنفه
ولو كان عظيما اما ان كان فقيرا فانه يهاب ويوذى وربما قتل ومن
ذلك ما اتفق ان رجلا كانت له ابنة وكان يغار عليها ولا يرضى
ان يكلمها اجنبي ومن شدة خوفه عليها كان يقهرها على
البيات معه في المحل الذي هو فيه وكانت من الجمال بمكان فكان
الشباب ياتون على عادتهم الى بيت ابيها فاذا حس بهم
زجرهم ولعنهم وطردهم فلما اعياهم امره احتالوا عليه واخذوا
قرعة مستطيلة قليلا تقرب من الشكل البيضي تنتهي بعنق
وفتحوها من اعلا واخرجوا لبها وملؤها غائطا وبولا وحركوه حتى
امتزج ببعضه وتوجهوا الى منزله ليلا ونادوه يا والدنا مُرْ
فلانة تاتي لنتحدث معها فقام على عادته ولعن وسب وزجر
فما افاد ذلك بل قالوا له نحن لا نبرح حتى تخرجها لنا فاغتاظ
منهم وخرج قاصدا طردهم ومن عادتهم انهم كانوا اذا سمعوا انه
خارج اليهم يفرون منه لهيبته الا في تلك الليلة فانهم ثبتوا
ومسك احدهم القرعة من عنقها وكمن له حتى اخرج راسه

من باب البيت ثم رفع يده بقوة وضرب بها راس الرجل
بالقرعة فانكسرت على راسه وسال الخبث الذي فيها على
راسه وثيابه ووجهه فلما شم الرايحة الكريهة صاح يشتم
فقالوا له اسكت هذه الليلة فعلنا هذا معك والليلة القابلة
ان عارضتنا قتلناك فايقظ الرجل اهله وجاؤوه بمآء فاغتسل
وتطيّب ونام وخاف منهم فلما اصبح افرد لابنته حجرة لنومها
فهراعنه وجرت عليها عادتهم وإن كان غنيا صاحب
حشمة وابّهة وعبيد وخدم يتحيلون في الدخول الى الحريم
بالليل ولو على زي النسآء ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اكابر
الناس له سبعة اولاد ذكورا وله بنت واحدة وكانت فريدة
حسن وقد خطبها منه اناس كثيرون فابى عليهم فحين
طال الامد على البنت تحيلت وادخلت شابا لطيفا من
الشجاعة بمكان فمكث عندها ما شآء الله ان يمكث
وافتقده اهله فلم يعرفوا له جهة فاتفق انه أُتِيَ بشراب
فشرب ولما اخذته النشوة طلب الخروج فقالت له البنت
أصبر الى الليل فابى وقال لا اخرج الا الآن وغلب عليها وخرج
وكان ابوها واخوتها جالسين على باب بيتهم فاشعروا

بالشاب

بالشاب الا وهو خارج فصاح ابوهم على بواب البيت اقفل
الباب فلما قفل الباب امر العبيد بالقبض عليه فاجتمعت
العبيد ليقبضوا عليه فجرح منهم اناسا وامتنع عليهم فخرج
الاولاد السبعة مجردين السلاح عليه قاصدين قتله
فناشدهم الله الا ابعدوا عنه وتركوه ان يمضي الى سبيله فابوا
وتراموا عليه ففر منهم ورماهم بالحراب فقتل واحدا منهم
فكبر عليهم ذلك ورموه بالسلاح يرومون قتله فصار
يذب عن نفسه ويرميهم حتى قتل من الاولاد ستة وجرح
السابع جرحا خفيفا فحين راى والدهم ذلك نادى يا غلام
افتح له الباب ففتح له وخرج ولم يكن به جرح ولم يعرف من هو
لانه كان متنقبا وكانت ابنته سببا في خراب بيته وقتل
اولاده ووقايع كثيرة من هذا القبيل تذهب الدماء فيها
هدرا لان البنت التي يكون هذا الامر من شانها لا تخبر
الناس باسم القاتل ولا من هو بل قصارى امرها اذا سئلت
عمن فعل هذا الفعل ان تقول لا اعلم ولا يسلم من هذا الامر
بيت فيه انثى الا اذا كانت وخشا او بها عاهة تنفر الناس عنها
وقد اجتهد السلطان عبد الرحمن في منع ذلك فلم يمكنه ذلك

حتى انه جعل فى السوق خصيانا كثيرين يمنعون النسآء من
مخاطبة الرجال والاختلاط بهم فاحتالوا فى ذلك حيلا عجيبة
منها ان الرجل كان يمر بالبنت التى تعجبه فيقول لها يا بنية
مَا لُهْ راسك شَيْنْ مِثْل دِيكْ السُوكْتَايَهْ وما لهْ اعنى لاى
سبب وشين بعرفهم غير جميل فتقول هى وَيْنُو السوكتايه
الشين المثل راسى ووَيْنُو بمعنى واين هو فيقول دَيْكَا اى
ذاك وينعتها لها باصبعه فتعرفها وبعد المسآء تذهب
اليه فتبيت عنده ولم ينفع الحرس بشئ كما انه اجتهد فى
منع شرب الخمر فما امكنه واحتالت الناس حيلا عظيمة
حتى كانوا ياتون لبيوت الخمارين ويشترون منهم الخمر
ويورون لمن يراهم انهم يشترون خبزا فكانوا يقولون
بلغتهم تُقْرُوبَا يِنْسَا اوخبز كُمْ عند هل اى هل عندكم خبز
فان خافوا ان يكونوا جواسيس طردوهم بقولهم أَكِبَا يعنى
ما عندنا وان عرفوا انهم اغراب يدخلونهم داخل الدار ويعطوهم
ما يريدون وكان السلطان فى اثنآء ذلك يامر بشم افواه من
حضر مجلسه من اكابر الدولة وهم اكثر الناس ادمانا على
الخمر فاستعملوا لازالة الرايحة مضغ فروع شجر يقال له الشغلو

فكانوا

فكانوا يشربون كفايتهم ثم يمضغون منه فلا تشم من افواههم
رايحة الخمر البتة وهذه عوايد ارتكزت في طبايعهم و امتزجت
بدمهم ولحمهم فصارت سُنّةً متّبعةً وان كانت في الاسلام
محرمة ومن عوائدهم ان الرجل اذا تزوج وكان فقيرا ولم يواسوه
اهله الاغنياء وجاء يوم الوليمة يعمد الى مرعى المواشي حتى يجد
ماشية اقرب الناس اليه فيعقر منها ما يكفيه لوليمته ثورا
او ثورين او بعيرا ان كان صاحب ابل وان لم يكن شيء من ذلك
ذبح اكباشا على قدر كفايته فان فطن رب المال له ومنعه قبل
العقر ربما قاتله الا ان يغلب وان شح وطلبه للقاضي يُلزِمُه
القيمةَ فيدفعها له على التدريج ان لم يكن متيسّر الحال ومن
عادتهم ان الغلام اذا اختتن يجتمع عليه في ثالث يوم ختنه
الى سابع يوم جميع غلمان البلد وغيرهم ممن له بهم قرابة او معرفة
ويأخذون السفاريك ويخرجون في بلدهم والبلاد القريبة منها
فلا يرون دجاجة الا قتلوها وان قدروا على ضبطها بالحياة
اخذوها حتى يجتمع عندهم دجاج كثير ولا يقدر احد من الناس
يعارضهم في ذلك وكل من عارضهم ضربوه وهم صغار لا تقام
عليهم شريعة ومن عادتهم ختن البنات لكنهم في ذلك على

اقسام فمنهم من لا يرى ذلك ابدا وهم اعجام الغور ومنهم من
يخفض خفضا خفيفا كعادة اهل مصر وهم اكابر الناس ومنهم
من ينهك الخفاض حتى يلتحم المحل ببعضه ويجعلون لمسلك
البول ماسورة من صفيح وهولآء اذا زوّجوا ابنتهم لا يقدر
الرجل على افتضاضها حتى يشقون له المحل بالموسى وهنالك
نسآء لهذا المعنى وفي وقت الولادة كذلك ايضا وهولآء
اكثر بنات الفقرا المنهمكات مع الرجال دايما ويفعلون ذلك
خوف الافتضاض بالزنا ومع ذلك يقع الحبل فيهن وهن على
تلك الحالة وفي خفاض البنات يعملون افراحا عظيمة ويولمون
الولائم العظيمة ومن عادتهم ان اقارب البنت المخفوضة من
الرجال يقفون خارج المحل الذي تخفض فيه البنت والنسآء يكن
عندها فان صوتت وقت الخفاض وصاحت لعنوها وتركوها
وان صبرت وهبها كل من اقاربها على قدر حاله وقرابته فمنهم
من يهب لها بقرة ومنهم من يهب بقرات ومنهم من يهب
لها رقيقا ومنهم من يهب لها شاة اوشيا هّا حتى تصير
من ربات الثروة وابوها وامها يهبان لها اكثر من جميع
الناس ان كانوا اغنيآء ومن عادتهم ان يثقلوا مهور البنات

فربما

فربما تزوجت البنت الوسيمة من الفقرآء بعشرين بقرة وجارية وعبد فياخذ الاب والام جميع ذلك ويعقدون العقد على جذعة من البقر ولذلك يفرحون بولادة الاناث اكثر من ولادة الذكور ويقولون ان الانثى تملا الزريبة خيرا والذكر يخربها ومن عادتهم ان البنت اذا تزوجت تمكث بعد الدخول بها فى بيت ابيها سنة او سنتين ولا يمكن خروجها لبيت زوجها الا بعد جهد جهيد والنفقة فى تلك المدة على ابيها وما ياتى به الرجل فى تلك المدة يكون على سبيل الهدية ومن عادتهم ان الرجل اذا خطب بنتا وكان قبل ذلك له اختلاط بابيها وامها وكانت لها اختلاط بابيه وامه ايضا تذهب تلك المخالطة بمجرد الخطبة ويستوحش كل منهم فبعد ذلك اذا راى الرجل ابا البنت المخطوبة له او امها يفر من الطريق التى هو عليها وهما كذلك وكذلك البنت تفر مهما رات اباه او امه وفى اثنا ذلك اذا دخل الرجل البيت يرسل السلام لام البنت اما مع البنت او اختها او جارية فى البيت ونحو ذلك وهى ترسل له السلام ايضا ولا يتلاقيان ولا يزالون كذلك حتى يبنى بها فعند سابع يوم من البناء يخرج ويقبل راس حماه وحماته ويجتمع عليهما وكذلك البنت ومن عادتهم ان كلا من

الزوج والزوجة يرى اقارب زوجه كاقاربه فيحترم الرجل حماه
ويخاطبه يا ابتي وام امراته يخاطبها بامي واختها باختي وهي
كذلك ويرون ذلك من آكد الحقوق عليهم **فصل**
في اصطلاح تزويج الفور لما كان المتوحد في ذاته
وصفاته وافعاله غنيا عن الزوج والولد ما انفصل عن احد
ولا ينفصل عنه احد اذ لا يحتاج لما ذكر الا الحادث المسكين الذي
لا سند له الا الله ولا معين وهو سبحانه وتعالى حي قيوم لا
تاخذه سِنَةٌ ولا نوم واحدٌ أَحَد فَرْد صَمَد لم يتخذ صاحبةً
ولا ولد ولم يكن له شريك في المُلْكِ ولم يكن له كفوا احد
خلق ادم ابا البشر من التراب وخلق حوّآء زوجه من اقصر
ضِلَع من الجهة اليسرى على الصواب ولما كان سِرُّ خَلْقِهِ ان
يكون خليفة في الارض ويملأ من نسله طولها والعرض ركّب
فيهما الشهوة البشرية ليحصل التناسل وِفْقَ الارادة السنية
وكان ادم حين خُلقت حواء في سِنَة من النوم ولما افاق
رءاها امامه على ترتيب منظوم فوَقَعت منه موقعَ الاعجاب
وقال لها من أنْت يا اعز الاحباب قالت انا حواء وقد خلقني
الله من اجلك يا ادم وقدّر ذلك من أَزَلٍ تقادمَ فقال لها هلم

الى

اليّ فقالت بل انت تعالى اليّ فقام ادم اليها فصارت عادة الرجال
الذهاب الى النسآء ولما ان جلس معها ومس بيديه جسمها
دبّت فيه الشهوة الانسانية واراد مواقعتها كما هو مقتضى
الحيوانية قيل له مه يا ادم لا تحلّ حواء الا بصداق وعقد نكاح
ثم ان الله سبحانه وتعالى خطب خطبة نكاحهما بكلامه القديم
فقال الحمد لعزتي والعظمة هيبتي والخلق كلهم عبيدي واني
أُشهدكم يا ملائكتي وسكان سمواتي انى زوجت بديعة فطرتي
حواء أمتي لادم خليفتي على صداق ان يسبّحني ويهللني فكان
ذلك سنّة لاولاده لكن لما اختلفت الاقاليم واللغات وتعددت
القبائل والاصطلاحات كان اصطلاح كل قوم مباينا لاصطلاح
اخرين وإنّ كان العقد والمهر واحدا فمن اصطلاح الفوران
الشبان اناثا وذكرانا ينشؤن جميعا ففي صغرهم يرعون
الاغنام ولا حجاب بينهم على الدوام فربما اصطحب الشاب
والصبية من ذلك الحين وانعقدت بينهما المودة التى لا
تبلى على مر السنين فمتى احبها واحبته ركن اليها وصار يغار
عليها ولا يرضاها لحادث غيرة وح يرسل اباه او امّه او احد
اقاربه فيخطبها فاذا انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جعت

الناس للاملاك وحضر الشهود للملاك فيذكرون شروطا كثيرة
ويطلبون اموالا عزيزة وكلها ياخذها الاب والام او الخال او العم
ويعقدون لها على شيء قليل من ذلك المال الجزيل وكنا قد ذكرنا
نبذة من ذلك فلترجع هنالك ثم بعد تمام العقد يتركون الامر نسيا
منسيا مدة طويلة ثم يجتمعون فيما بينهم ويتشاورون
فينعقد رايهم على وقت فيه يزفون فان كان العروسان من
ذوي البيوت الفخام والمراتب العظام ابتدا اهلهما في تهيئة الذبايح
والشراب قبل العُرس بايام كثيرة ثم يرسلون الرسل الى احبابهم من
البلاد ويقولون العُرس في اليوم الفلاني المعتاد ويكونون قد حضروا
من المِزْر والنبيذ الاحمر المسمى عندهم بِأُم بُلْبُل ومن البقر والغنم
ما فيه كفاية فتاتي الناس في اليوم الموعود افواجا افواجا وهناك
نساء معهن طبول صغار وكبار كل امراة معها ثلاثة طبول
اثنان صغيران واخر كبير على هيئة الدَرَبُكَّة تضعها تحت
ابطها الايسر احدها وهو الكبير من اعلا والاثنان يحاذيان
اسفل الكبير وتضرب بيدها على الثلاثة ومجموعها يسمى
عندهم الدَلُّوكَة وكلما جاءت طائفة خرجت النساء
بالطبول ويضربنها ويقلن كلاما يمدحنها به منه قولهن

هي

هى بانى هى بنات
وبنين حسّن البنات
ياهزّازين القنا
أريت ما يجيكم فنا
عين الحسود بالعمى
ياهزّازين الجراب
أريت ما يجيكم خراب
عين الحسود فى التراب

وكلما قالت كلاما قالت قبل ان تقول غيره هى بانى هى بنات وبنين حسّن البنات انما هذا الكلام لا يعنى شيا بالحقيقة وكنت مرة جئت الى عرس فتعرضت لى امراة وقالت

الشريف جاى من السيد
الكتاب فى إيد
والسيف فى إيد
ومن قبل يجيب
البرقد عبيد

وكنت احفظ من كلامهن كثيرا نسيته فتخرج اصحاب العرس

ويتلقون القادمين وكل طائفة تاتى رجال ونسآء فيجعلون كل
طائفة فى محل وياتون لهم بالاطعمة والاشربة على حسب مقامهم
فمنهم ياتونهم بالعصائد والمِزر المسمى فى مصر بالبُوزة واللحم السليق
والشِوى ومنهم من ياتون له بالفطير والشراب الاحمر الذى كالنبيذ
المسمى عندهم بأُم بُلْبُل وان حضرهم جماعة من الفقهآء اتوهم بالعصائد
واللحوم وبالسُّوبْيا وتسمى عندهم دِينْزَايا ثم يقيلون فى اماكنهم
حتى يبرد الحر ويعظم الفئ فتخرج الشابات من النسآء صفوفًا
صفوفا وكل صفٍّ من النسآء يقابله صف من الشبات وتخرج النسآء
التى معهن الطبول فيضربن ويقلن من كلامهن فيبرز صف من
صفوف النسآء يمشين هونًا ويرقصن باكتافهن ويتقاصرن
الى الارض حتى يصلن الى صف الرجال فكل شابة تعمد شابا حتى تضع
وجهها فى وجهه وتهز راسها نحوه حتى تضربه بضفائرها فى
وجهه وضفائرها اذ ذاك مدهونة بالطيب وانواع ما يعرفونه
من العطر فيَهيج الشابُّ ويهز حربته على راسها ثم تلتفت
راجعة فيتبعها حتى الى مكانها الاول فيقف فيه الرجل وترجع
هى القهقرى حتى تصل الى المحل الذى كان واقفا فيه الرجل فحق
من يتامل يجد صف النسآء ثبت فى مكان صف الرجال وبالعكس

واذا

واذا كان هناك بعض شبان لم يدخلوا في الصف واحدى
الصبايا تريد ان يقابلها واحد منهم تالفه تخرج من الصف
وتذهب اليه راقصة حتى تكب شعرها على انفه فيهيج ويصيح
ويهز جريته ويخرج وراءها وان لم يخرج كان ملوما وعليه وليمة
للخارجة له وبعد ان يثبت كل صف في مكان الاخر تخرج النسا راقصات
والرجال راقصين وكل منهم مقابل للاخر وكل شابة مقابلة لشاب
حتى يتلاقا الصفان في وسط المجال وكل شابة تكب راسها في
صدر ووجه الشاب المقابل لها والشاب يهز حربته على راسها
ويصيح صياح الفرح وهذا الصياح عندهم يسمى الزَقْرَقَة وكل من
النساء والرجال ثمل مما شرب ولا يزالون هكذا حتى ياتي الليل
فترجع كل طائفة الى مقرها ويوتى لها بالاطعمة والاشربة هذا
ولا يخطر ببالك انه ليس عندهم رقص الا هذا النوع وهو المسمى
برقص الدَلُّوكَة وهناك رقص اخر يسمى بالجيل واخر يسمى لَنْقي واخر
يسمى شَكَنْدَرِي ورقص العبيد والاماء يسمى تُوزِي ورقص
الفور يسمى تَنْدِكَا وهناك رقص اخر يسمى بَنْدَلَهْ وفي الاعراس
كل اناس يرقصون نوعا من هذه الانواع فالنساء الجميلات بنات
الاكابر يرقصن مع امثالهن من الشبان على الدلوكة واواسط

النسآء مع امثالهن من الشبان يرقصن الجيل ومن دونهم
يرقصن لنقي فاما رقص الجيل فتتقابل فيه النسآء مع الرجال يرقصن
باكتافهن ويضربن بارجلهن اليمنى على الارض والرجال كذلك
لكن في كل حلقة هناك نسآء يغنين والناس ترقص على غنائهن
وفي رقص اللنقي بعض النسآء يغنين والشابات والشبان يضربون
بارجلهم الارض ويرقص كل منهم برجليه اليمنى واليسرى لكن الشبان
يكرون كريرا معروفا لهم واما الشكنذري فيجتمع الشبان والشابات
وكل رجل ياخذ شابة امامه وتنحني هي ويمسك خصرها بيديه
حتى يكونوا كلهم كدائرة مسلسلة اعني الانثى تضع يديها على
حقوي الذكر الذي هو امامها والذكر يضع يديه على حقوي الانثى
التي هي امامه وكلهم منحنيون حتى يكونوا كدايرة تامة ويمشون
رويدا رويدا مع ضرب ارجلهم في الارض لاجل يسمع رنين خلاخيلهن
والبنات التي يغنين خارجات من الحلقة واما البندله فهي من
انواع رقص العبيد وهو ان العبد ياتي بالنارجيل المسمى عندهم
بالدليب ويثقبه وهو اكبر مثل كرة المدفع وينظم منه ثلاثا او
اربعا في خيط ويربطها في رجله كالخلخال في الرجل اليمنى وكل عبد
يفعل ذلك وتقف جارية من الجواري خلفه ويكونون كدايرة ولهم

كرير

كرير مخصوص فيخرج العبد منهم لاخر في وسط الدائرة ويتحاول
معه في اللعب وهذا اللعب مبني على القوة وخفة الجسم كما
يلعب البهلوان فبعد ان يتحاولا مليًّا يضرب احدهما صاحبه
برجله التي فيها النرجيل فلا يخلو اما ان يوقعه في الارض او لا
فالماهر هو الذي ان ضرب صاحبه اوقعه والباقي يرقصون رقصا
لا تكسر فيه وكلهم يردون على المغنيات وهذه المغنيات خارج
عن الحلقة واما التوزي فهو ان عبدا من العبيد يضرب على
طبل كبير والنسآء والرجال حوله حلقة وكل رجل واضع يديه على
حقوى امراة وكل امراة واضعة يديها على حقوى رجل لكن مع
الانتصاب والاعتدال لا مع الانحنا ويمشون رويدا والنسآء يضربن
ارجلهن ببعضها لترن الخلاخيل التي في ارجلهن ومشيهم
كلهم في الدايرة والمغنيات خارج الحلقة واما التندكا فهي لعب
البرقد والفور وهو اشبه بالتوزي وانما الفرق بينهما في
كون ان التوزي يمشون فيه رويدا والتندكا بحركات عنيفة
وبالحقيقة العبارة لا تفي بذلك لان المشاهدة شي اخر فربما
يرى المشاهد شيا لا يمكن التعبير عنه ولكل رقص من الارقاص
غناء مخصوص فاما غنآء الجيل فمنه قولهن

يوبالِى هِى يوبانِين

اللّيل بُوبِى يا لمُتقال

انا رَاسِى انْدار

اللّيلْ بُوبِى يا لمُتقال

انا رَاسِى انْدار

وهذه الكلمات يوبالى هى يوبانين لا تعنى شيئا لكن واحدة منهن تنشد وتقول الليل بوبى يا لمتقال فتقول النسآء الاخر انا راسى اندار ومنه قولهن

اللّيلْ بُوبِى

دَارْ فُورْجَقَه

انَا رَاسِى نُوى

ومنه قولهن

فُرَيْعَ الحَانِيَة

سَبّبْتُوا الجَانِيَه

ويا فُرَيْعًا الصَنْدَل

فى بُويْتنا قَامْ رَنْدَل

واما غنآء اللنقى فمنه قولهن

يَا عِيَالْ

جِيبُوا الْمَالْ

نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنِيَّة

صَبُّوا دَرِيزْ الْخَيْلْ فِي كَرِيُو

نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنِيَّة

واما غناء التندكا عند الغور فمنه قولهن

بَا سِي طَاهَرْ دُقُلَا

بِي لَبَا وَدُوِيكْ أُبَا

كِتَابْ مُصْحَفْ لَكْ حَلْفَيْنْفِيَا

تَرْيَنْدُو كُبِي رَايْلَا

تَازَكَّا مُدُو صَقَلْ جُوجِي

ولو تتبعنا غناء انواع الرقص لطال الحال فبعد ان ياكلوا ويشربوا يزفون العروس بالدلوكة ويلفون بها حول البلد وياتون بها للمحل الذى أعد للدخول عليها فيه ثم بعد العشآء بكثير تجتمع الشبان وياخذون العريس ويزفونه بالغناء والزقرقة حتى ياتون به الى المحل المعلوم فيجلسون خارجه وحج جميع الشابات مجتمعة مع العروس والشبان مجموعون عند العريس وقد

استوزر العريس اعز اخوانه لانه ح كالسلطان واستوزرت
العروس امراة وسموها ميرم فبعد ان يجلس الرجال مع عريسهم
يطلبون الميرم فلا تخرج لهم الا بعد نحو ساعتين فيتقدم لها الوزير
ويسلم عليها بلطف يلتمس منها حضور العروس فتقول لهم من
انتم ومن اين جئتم وما هي العروس التي تريدون فيقول الوزير اما
نحن فضيوف وقد جئنا من بلاد بعيدة ونريد الملكة تؤانس
ضيوفها فتقول له اما الملكة فمشغولة بشغل عظيم وها انا
وكيلتها في ضيافتكم وقراكم وما يلزم لكم فيقول الوزير نحن نعلم
ان فيك البركة والكفاية لكن لنا معها كلام لا يمكن افشاؤه لغيرها
فتقول له اذا كان كذلك فما ذا للملكة وما ذا لي لان عادتها ان لا
تبرز من حجابها ولا تاتي لطلابها الا بجعل فيقول لها المال والارواح
وكل ما طلبته فلا يزال يحاولها وتحاوله حتى يتراضيا وهذا كله
والعروسة قريبة منهم وراء ستارة لكنها لا تتكلم بشيء والعريس
ايضا ساكت كذلك والمحاورة بين الاثنين فاذا وقع التراضي رفعت
الستارة فتخرج العروس فيقول الوزير اما الملكة فللملك وما ذا
لنا نحن فتنادي الميرم للبنات التي مع العروس فيحضرن وتقول
لهن ايتها البنات اريد منكن في هذه الليلة ان تؤانسن

+ repas

× entretien

اضياف

اضياف الملكة فيقلن لها حبا وكرامة وهي تعلم كل صبية ومحبوبها فتقول يا فلانة كوني مع فلان وانت يا فلانة كوني مع فلان وهكذا حتى لا يبقى الا التي لا محبوب لها والذي لا محبوبة له فياخذ كل شاب محبوبته ويبيت معها ان وسعهم المحل الذي هم فيه وصورة ذلك ان يبيت العريس وعروسه والميرم والوزير وكل زوجين معا صفا او صفين على حسب سعة الموضع وان لم يسع المحل جميعهم بقي من وسعه المحل مع العروسين وذهب الباقي فكل شاب منهم ياخذ محبوبته ويتوجه بها الى بيتها او الى بيت بعض احبابها ولا يذهب بها الى بيته لانها لا ترضى ذلك لان عادتهم ان الشاب متى ما احب صبية وعلمت امها بذلك لا تقابله ابدا ولا يقابلها واذا راته في طريق ولم تر لها مخلصا منه بركت في الارض وسدلت ثوبها على راسها ووجهها حتى يمر وهو كذلك يفعل يعني ان راها وعرفها يرجع على عقبيه هاربا ان امكنه ذلك والا ادار وجهه لنحو حائط او شجرة حتى تمر ثم يرسل لها السلام ان كان معه احد وكذلك هي تفعل بعد مروره ان لم يكن معه احد ترسل له السلام ان كان معها احد وهذا كله عندهم من نوع الحياء والتعظيم وعندهم اهل الزوجة محترمون فامها

كامه بل اشد احتراما وابوها كابيه بل اشد واخوتها كاخوته
وهي مثله في ذلك اذا رات امه اواباه فرت وسلكت طريقا
غير طريقهما وترسل السلام اويرسل اليها ولا تواجه احدا منهم
وتعتبر اباه كابيها وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل ولذلك تذهب
مع محبوبها الى محل اخر ولا ترضى ان تذهب معه الى بيته بل
ان ضاقت الاماكن بكثرة الناس وليس هناك دار سوى
دار ابيه لا تذهب معه اليها بل يذهبان الى الخلاء ويبيتان
فيه واما دار ابيها من حيث ان لها محلا معدا لذلك يبيت
معها فيه من ارادت ولا يراها ابواها فان الرجل يذهب معها
اليه ويخرج عنه الفجر وابواها نائمان فلا يراه احد منهما ولنرجع
الى ما نحن بصدده فنقول ثم يبيتون تلك الليلة فاذا اصبح
الصباح قامت كل صبية وتوجهت الى بيت ابويها فتصلح شانها
اعني انها تغسل وجهها واطرافها بل ربما اغتسلت ثم تتطيب
وتكتحل وتجدد زينتها وكذلك العروس تدخل عند امها فتصلح
شانها وكذا الرجال يذهبون الى ديارهم ان كانت قريبة فان
كانت بعيدة كأن كانوا من بلد اخرى يذهب كل منهم الى دار
صاحب له فيصلح شانه هناك وكذلك النساء ان كانت

المراة

المراة من بلد اخرى تذهب الى دار حبيبة لها تصلح شانها فيها
لان الشابات اللائي حضرن للعرس مع كل شابة منهن كحلها
وعطرها وما تحتاج اليه فتصلح شانها ويجلسن حتى يقرب الضحى
فتاتي الميرم الى محل الزفاف والعريس غائب عنه اعني عند قيامه
لاصلاح شانه هو الاخر فتقمّه وتنظفه وتفرشه وتهيئ مجالسه
هي وبعض صواحبتها فياتي العريس فيجده نظيفا فيجلس هو
ووزيره وتنهال عليه الشبان فيجلسون معه ثم اصحاب العرس
بالخيار ان شاؤا جعلوا السبعة ايام كلها بالرقص والدلوكة
وان شاؤا اقتصروا على يوم واحد فان ظهر اقتصارهم جلس
الضيوف الى وقت الغذاء وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهم
الى بلده ولم يبق الا اهل البلد الذي هم فيه وان لم يروا الاقتصار
وعلموا ان اصحاب العرس يريدون ان يمتد عرسهم الى
السبعة ايام اقاموا ويظهر ذلك بتجدد الذبائح وعصر الخمور
والتهيئ تنبيه اعلم ان اهل كل بلد من البلاد الذين دعوا الى
مثل هذه الوليمة ياتون اما ببقرتين او ثورين او ثور او بقرة او
بشياه اعانة لصاحب الوليمة وان كان لهم اقارب خارجين
عن بلدتهم ودعوا ياتون باثوار او بقر غير ما تاتي به اهل بلدتهم

اهانة ثم يمكثون نهارهم كله في لعب وضحك وانشراح واكل
وشرب وطيب محادثة الى العصر فتضرب الطبول التي هي
الدلوكات ويفعلون مثل ما فعلوا في اليوم السابق حتى الى الليل
فياتيهم الطعام والشراب وبعد فراغهم من ذلك يجتمعون رجالا
ونساء في محل الزفاف فيتحادثون حتى الى نحو نصف الليل ثم ياخذ
كل شاب حبيبته ويبيت معها حيث باتا امسيهما ويبقون
على ذلك المدة المذكورة واذا أعوز الامر الى الذبايح بأن كان ما
أعِدّ للذبح لم يكف من حضر خرج ابو العروس او اخوها او احد اقاربها
الى المرعى فكلما وجده من البقر امامه عقر منها ثورا او ثورين او بقرة
او شياها وبعد العقر يرسل الجزارين فيذبحون العقير ويأتون
بلحمه الى الضيوف وهكذا فاذا بلغ الخبر صاحب البقر فلا يخلو إما
ان يطلب الثمن فيرضونه او يسكت حتى يبقى له عرس او لاحد
اقاربه فيعقر هو الآخر ما يريد من بقر من عقر بقره ودقة بدقة
ولذلك اذا عُمل عرس تخاف ارباب المواشي من العقر فيامرون
رعاتهم ان يُبعِدوا بها في الخلاء لانهم لا يعقرون الا من الاموال
القريبة المرعى وهذه سُنّة جارية فيهم وفي تلك المدة العروس
كالملكة وصواحباتها معها في لعب وانشراح والعريس كذلك ومن

عادتهم

عادتهم ان العريس لا يفتض عروسه الا بعد السبعة ايام
مع انهما يبيتان متعانقين لا حائل بينهما ويجعلون ذلك كرامة
لها ولابويها لانهم يقولون الليلة الاولى في كرامة ابيها والثانية
في كرامة امها والثالثة في كرامة اخيها ان كان او اختها وهكذا
حتى تتم السبعة ايام ومن استعجل وفض قبل تمام ذلك عُيِبَ
عليه وقالوا قد استعجل ولكن من المحال ان يفتضها قبل ثلاث
ليال **عجيبة** من عوائدهم ان المراة لا تاكل امام زوجها ولا
غيره من الرجال واذا دخل زوجها وهي تاكل قامت وفرت وهذا
عندهم من اكمل الحياء ويقبحون على المراة التي تاكل امام الرجل
وحين كنتُ هناك ورايتُ ذلك قلت لهم انستحي من الاكل مع
الرجل ولا تستحي من النوم معه وانه يدخل بين شعبها ويولج
فيها ويرى فرجها وما هي عليه قالوا ذلك لا ضرر فيه واما
تفتح فاها وتدخل فيه الطعام امام الرجل فهذا شيء قبيح اهـ
ومن عادتهم ان الرجل لا ياخذ عروسه ويبني بها في بيته بل في بيت
امها وابيها ولا تخرج معه حتى تلد ولدين او ثلاثة فان طلبها
للنقلة معه قبل ذلك ابت عليه وربما وقع الطلاق بينهما بسبب
ذلك ومن عادتهم انها لا تذكر اسمه على لسانها ابدا بل دائما

+ consommation du mariage

تقول قال لي كذا وكذا فاذا سئلت من الذي قال تقول هو حتى يولد
لهما فتى ولد لهما قالت ابو فلان او ابو فلانة باسم من يولد ان
كان ذكرا او انثى ومن عاداتهم ان الرجل لا ينفق على المراة بعد الزفاف
الا بعد سنة فان جاء بشيء قبل السنة جاء به على سبيل الهدية
مع انه لا ياكل الا اعز مما ياكلون فيمكن انهم طبخوا شيئا قبيحا لهم
من المآكل الرديئة ويذبحون له دجاجا او حماما او جديا ومن عوايدهم
ان الرجل مدة ما هو في بيت ابي زوجته يصنعون له طعاما جميلا
جدا غير العشآء يتناوله بالليل اما مرة او مرتين او ثلاث ويسمون
الاول بلغة الفور جُري جَراكْ والثاني تارْكا جيبسو والثالث
صُبحْ جَلُّو ومرادهم بذلك تقويته على الجماع واما اسمه بلغتهم
العربية ورّانية واكثر الاغنيآء ياكلون بعد اكلهم العشآء لانه ربما
جاءهم ضيف فلم يتمكن من الشبع لحيائه من الضيف او كان العشآء
غير جيد فلا بد له من ورّانية ومعنى قولهم جُري جَراكْ انزع القميص
فان جُري معناه قميص وجَراكْ معناه انزعْ وتارْكا جيبسو
معناه مَسْك الرِجْل فان تارْكا معناه رِجْل وجيبسو معناه
مَسْك وصُبحْ جَلُّو معناه طلوع الفجر واما الورانية فهي عربية
منسوبة لِوَرَاء ضد الامام لانه ياكلها وراء العشآء او بعدما

ياكل

ياكل العشاء ولهذا تجد بعض الناس اذا كان عنده من يعز عليه
من الاخوان وحضر العشاء معه واراد ان يقوم يمنعه حتى ينفض
المجلس ثم يدعو خادمه ويقول هل من شي يوكل فياتيه الخادم بالورانية
فياكلان معا وهذا لا يُفْعَل الا مع اعز الاصدقاء وهذه الورانية
تنفع احيانا للضيوف المُفَاجي بالليل الداجي وهذا كله ان كان عرسا
فان كان ختانا فعلوا ما ذكرناه من استحضار الاطعمة والمزر وام
بُلْبُل والدنزايا ودعوا الناس ورقصوا على الدلاليك وزفوا
المطاهر وجاء المزين فختنه وابوه واقف فان بكى المطاهر ففر اهله
منه وتركوه ومضوا وان صبر حال الختن ولم يبك قال ابوه اشهدوا
يا اهل المجلس اني اعطيت ولدي بقرة او ثورا او عبدا او امة
مما يقدر عليه وقالت امه كذلك وكل من حضر من اهله يهدي
له شيئا فان كان لهله اغنياء ناله منهم شي كثير فيصير غنيا
وذلك كله بحسب غناء اهله وفقرهم ثم يجتمع اترابه في
ثالث يوم الطهور ويأخذون السفاريك ويجوسون خلال
البلد يضربون الدجاج فيقتلون دجاجا كثيرا وفي رابع يوم
الى اليوم السابع يذهبون الى البلاد المجاورة لهم فلا يرون
دجاجة الا قتلوها وكل يوم يتوجهوا البلد يقتلون دجاجها

واصحاب الدجاج لايرون بذلك باسا ولو كان خفاضا فعلوا
فيه كل ما ذكرنا الا الدجاج فلا يقتلونه والخفاض لا يتغالون
فيه كالختان ومما ذكرناه يعلم الواقف على رحلتنا اننا استقصينا
جميع ذلك لتمام الفائدة وحسن العائدة واعلم ان اهل دار
فور لا يستقلون بشي في امورهم بدون النساء بل انهن
تشاركهم في جميع احوالهم الا في الحروب العظيمة ولذلك ان
عرسا لا يتم الا بهن او حزنا كذلك ولولاهن ما استقام لاهل
دارفور شي فترى النساء يحضرن في الامور المهمة ومن ذلك
الاذكار وهي على ضربين ضرب يفعله اهل البلاد المستعربون
اعني من ليسوا بعجم وضرب يفعله اعجام الفور فاما الاول فهو ما
كان على طريقة شيخ من الصوفية او ولي من الاولياء وعلى كل
فتحضر حلقة الذكر امراة تنشد لهم والنساء خلفها وقوف
لا يتكلمن بل ينظرن ازواجهن واقاربهن ليعلمن ايهم احسن
ذكرا وقد ينشد رجل والنساء يسمعن كبقية الرجال ومن
ذلك ما وقع ان تلميذ الشيخ دفع الله حضر حلقة ذكر تلاميذ
الشيخ يعقوب وبين تلاميذ الشيخين معاندة فلما حمي الذكر اراد
احد تلاميذ الشيخ يعقوب ان ينكت على تلميذ الشيخ دفع

الله

الله فقال

أَلْمَا عِنْدُو شَيْخًا فَرَاجَابَا

لَا يَدْخُلْ دَرَقَةْ وَنَشَّابَا

أَلْمَا عِنْدُو شَيْخْ مَهْيُوبْ

لَا يَدْخُلْ حَلَقَةْ يَعْقُوبْ

فسمع تلميذ الشيخ دفع الله وعلم انه عناه بذلك فقال

نَدْخُلْ وَنَمْرُقْ مَتَعَافِي

بِالْنِيَّةْ وَالْعَمَلْ أَلْصَافِي

دَفْعَ أَللهَ فَوْقِ طَوَّافِ

نادرة حضرت امراة فى حلقة ذكر وانشدت

نُصَفِّي لَكُمْ مَرِيسَةْ دُوَانِي

وَأَنَا عَزَبَا بَيْتِي طَرْفَانِي

يَا فُقَرَا مَا فِيكُمْ زَانِي

فسمعها الذاكرون وكان فيهم شاب فهم المعنى وكان يقول الله حيّ فصار يقول انا زاني انا زاني واما اعجام الفور فيقفون فى الذكر صفين او حلقة وكل رجل منهم خلفه صبية والنسآء ينشدن وهم يذكرون وذكرهم كرير فمن انشادهن قولهن

كُرُو كُرُّو يِنِ عَالِمَا نِمَا

صِحْ لَكْ كُوِيِ جَنَّهْ

صِحْ لَكْ كُوِيِ

ومعنى ذلك كُرُو معناها شجرة وكُرُّو معناها خضراء وعالِمَا نِمَا معناه ظلّ العلماء وصِحْ لَكْ كُوِيِ صِحْ لَكْ كُوِيِ معناه صحيح نمشي الى الجنة صحيح نمشي الى الجنة ومعناه ان الشجرة الخضراء ظل العلماء ونحن ندخل الجنة حقا ندخل الجنة حقا ومنه قولهن

جِبْرَايِيلَهْ مِيكَايِلِيَهْ

كُلُّ سِبَا مُلْكَا الْجَنَّهْ

ومعناه جبرائيل وميكائيل كل حسنة يملك بها الانسان الجنة ومن قولهن

لِلّٰهِ قُوِيَ لِلّٰهِ

شَهْرُ رَمَضَانْ اَللّٰه اَنْدَوَا

كَالْفَارِنْهِيَهْ

ومعناه لله يا إماء الله شهر رمضان دواء الله فافرحوا به اه

ومثل هذا كثير لو تتبعناه لخرجنا الى الاسهاب وجلبنا الملل لأولي الالباب وفيما ذكرناه كفاية لكن من حيث اننا تكلمنا في التزويج وما

يتعلق

يتعلق به من لنا أننا نذكر نبذة في حجاب النسآء وهم المسمون في مصر بالطواشية وبأغوات الحريم وبالتركية قزلراغالرلانهم امنآء على الحريم ونقول

فصل في الخصيان المعروفين في مصر بالطواشية

لما كان الحق سبحانه وتعالى غيورا على عباده ومحارمه منتقما ممن تعدا حدوده بارتكاب مآثمه وكانت الغيرة وصفا من اوصافه ولذا حرم الظلم على نفسه وخلافه جعل الغيرة مركوزة في طباع بني ادم من زمن سلف وتقدم واول من غار قابيل على اخته اقليما لما امر ادم ان يزوجها من هابيل ويزوجه من اخته ذميما فكان من الغيرة من امرها ما كان وقتل قابيل اخاه كما ورد بنص القران بل قد توجد الغيرة في غير بني ادم من الحيوانات فيغير الحيوان على انثاه وتحصل المعاركات سيما والنسآء اكثر شبقا وغلمة ولا مروة تمنعهن ولا همة وكان بعض الناس بلغ في الغيرة اعلاها وارتقى الى منتهاها حتى ان بعضهم لا يرون النسآء الا كالامآء ومنهم من هو كثير الغيرة حتى من الاخوان والابنآء بل منهم من بالغ في الغيرة فصار يغار عليهن من الليل والنهار ومنهم من يغار من عيون النرجس ان تراه كما قال الشاعر

من الكامل

غضّي جفونك يا عيون النرجس ... منك استحيت بان اقبّل مؤنسي
نام الحبيب تذبلت وجناته ... وعيونكن شواخص لم تنعس

وبالغ بعضهم حتى انه غار على المحبوب من نفسه ومن المحبوب ومن الزمان والمكان كما قال الشاعر

من الهزج

اغار عليك من عيني ومني ... ومنك ومن مكانك والزمان
ولو اني وضعتك في جفوني ... الى يوم القيامة ما كفاني

ومثله قوله

من الهزج

فلو امسي على تلفي مصرًّا ... لقلت معذّبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني ... اغار عليك منك فكيف مني

وارتقى بعضهم الى اعلا المبالغة فغار من الضمير حيث قال

من الطويل

اغار عليه من ضميري فيا له ... هوى رابني حتى اتهمت جوارحي

فتحيل الناس في حراسة الحريم لما عندهم من داء الغيرة المقعد المقيم فلم يروا احسن من حراسة انسان يكون مقطوع اعضاء التناسل وهو الذي تطمئن اليه النفوس في العاجل والآجل واكثر الناس احتياجا لذلك الملوك والامراء لان كل واحد منهم يجمع ما قدر عليه من النساء بلا مراء ولما كانت ملوك السودان اكثر الناس للنساء جمعا وابذلهم في ذلك وسعا كان يوجد عند الملك من الخصيان

عندي كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان دار الفور نحو الالف او
اكثر وعليهم ملك منهم وهم له كالعساكر وهو الذي يرتب في
بيت السلطان ما يلزم منهم للحراسة ويبقى عنده ما زاد الى وقت
الحاجة والخصيان مكرمون عند الاكابر خصوصا في دار الفور فان
لهم فيها سطوة واي سطوة والكلمة النافذة والقوة ومقام ومقال
وحال لا يماثله حال حتى ان لهم هناك منصبين جليلين لا يتولاهما
غير خصي احدهما منصب الابوة والثاني منصب الباب واقول
ان منصب الباب غير مختص بدار الفور بل في تونس وفي قسطنطينية
كذلك واصل الخصيان الذين في دار فور من بلد روكا يخصونهم
هناك وياتون بهم الى دار فور على سبيل الهدية لكنهم كثيرون
جدا ومنهم من يخصى في دار فور ولقد رايت حين كنت هناك
غلاما حسن الوجه جميل الصورة في نحو الثمانية عشر خصي
في دار فور وسببه انه كان من خدم السلطان محمد فضل
واحب غلمانه الذين ربوا في البيت وكان له سعد قائم بحبه
النساء لقضاء اوطارهن غير الجماع وكان اسمه سليمان تير فحسده
اقرانه ونموا عليه عند السلطان فغضب عليه واراد قتله
فاشار عليه بعض وزرائه بخصيه وقال له من حيث ان الامر

كذلك اقطع ما يوذيك به ولا تقتله فخصاه وعاش واجتمعت
عليه وكان ذا منصب جليل وابهة حسنة الا ان السلطان
كان لا يالفه لصلاحه ولما قيل فيه ولقد سمعت من ثقات انه
احبل امراة وظهر حملها فسئلت فقالت من سليمان تير فغضب
عليه السلطان وخصاه وبعد ان برئ اعطاه المراة وولدها
وقد ذكرنا سابقا ان الشيخ محمد كرا كان اتهم بما اتهم به سليمان
تير فخصى نفسه بيده دفعا للريب فحظي عند السلطان
وصار ما صار من امره **نكتة** مما وقع من عتوهم وتجبرهم
ان اجتمع بعض امراء الغور في محل انشراح ونزهة وانبساط
وكان فيهم خصي فجعلوا ياكلون ويشربون والخصي كواحد منهم
فاتفق ان واحدا من هولاء الامراء معه منديل من حرير فابرزه في
المجلس وقال هل تعلمون لماذا يصلح هذا المنديل فقال احدهم هو
يصلح لمسح العرق وقال الاخر هو يصلح للتجمل والزينة وقال الاخر
هو يصلح لان يجعل على صدر انثى جميلة وطفق كل واحد يقول
ما بدا له وصاحب المنديل يقول لا ولما اعياهم امره قيل له قل
لنا انت لماذا يصلح فقال هذا يصلح للمسح بعد الجماع فاستحسنوا
قوله وسكتوا فما راعهم الا ان قام الخصي من بينهم صالتا

سيفه

سيفه يروم قتل صاحب المنديل وقال له أتعرض بي الى مقطوع
لابد من قتلك فقاموا اليه وتلطفوا به وهو لا يرجع عن قوله
حتى ارضوه بخيولهم كلها وكان الخصي للخليفة ابن السلطان تيراب
الذين اسلفنا ذكرهما ومن عتوهم ان الشيخ محمد أورزدكان كان
في ايام السلطان تيراب في منصب الابوة ومن عادة الاب ان
يتوجه لبلاده ومحل حكمه في كل سنة في فصل الربيع ويجمع اهل
البلاد في يوم واحد ويعرض الرجال ويرى العساكر فاتفق انه جمعهم
في يوم شديد الحر في رحبة واسعة امام داره ولم يخرج لهم حتى
فاتت القائلة فخرج في ابهته راكبا جواده والعبيد يظللونه من
حر الشمس ويجلبون له الهوا بالمراوح وخرج العسكر وصفوا
الناس صفوفا كدايرة وهو واقف ينظرهم وقد اشتد الحر وامر
الناس بالجثي على ركبهم وسلاحهم ودرقهم في ايديهم فكان الانسان
منهم لا يستطيع الجثي لشدة حر الرمضا وسال العرق وكثر
القلق ومكث مليا لا يامر بامر ولا ينهى عن شي وعطش
الناس واخذ منهم حر الشمس اكبر ماخذ وهم صابرون على
ما قضاه الله عليهم حتى مات بعضهم من العطش ولما راى
قلق العالم وتحيرهم اعجبه ذلك وضحك وقال بلسان الفور

نتو ننتو نتويونا عموسنا قطريا اوكررها مرتين او ثلاثا وكان
العالم المجتمع في تلك الجلد كالى العرض ما ينوف عن زهاء عشرين
الفا وكان فيهم رجل صالح يقال له الشيخ حسن الكوفيري وقال
باعلا صوته اسكت يا كافر ثلاثا فاخذه الرعب من الشيخ
المذكور وولى هاربا ورفع الشيخ يديه الى السماء وقال اللهم ارحم
عبادك فما تم كلامه حتى ارتفع السحاب مثل الجبال ونزل المطر وتفرق
الناس وكان يوما مشهورا وسبب غضب الشيخ انه مثل
نفسه بالاله ومثل عرض الناس عليه بعرضهم للحساب ومثل
شدة حر الشمس بشدة حر يوم القيامة ولذلك استشهد بقوله
نتو بالاية الكريمة ون بمعنى هذا وتو بمعنى يوم والباقي هو نص الاية
الكريمة نادرة حكي ان الشيخ محمد اوردكا المذكور كان قليل
العقل ومن قلة عقله انه لما تولى منصب الابوة اي السلطنة
تيراه (?) ان يتعلم القراءة والكتابة فاحضر فقيها يعلمه
فكتب له حروف الهجاء وصار يقرء عليه في كل يوم واستمر
على ذلك مدة ايام ثم انه ذات يوم طلب المصحف فجيء به اليه
فتصفحه ونظر في السطور فراى واوا مفردة فعرفها وقال
للفقيه انماك (?) واو يعني اليس هذه واو فقال الفقيه نعم فقال قد

ختمت

لعمت في الحجرات وامر بذبح الذبائح وضرب الطبول وصنع
وليمة عظيمة فعدت هذه من طيشه وخفة عقله ام
ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ومع كثرة الخصيان في دار
السلطان لم يسلم من الدنس لان النسا شياطين لا يغلبهن
شي ابهن شيئا وقد قام عذرهن بداعي كثرتهن في بيت السلطان
وهن في سن الشباب والراحة وحسن الماكل والملبس
المشتهية فيهن نصيب اوفر ولما سجن في هذا السجن
تحيلن على دخول الرجال بكل حيلة فمنهن من تصاحب من
الرجال من الخدمة الذين بالباب ومنهن من لها جارية تاتيها
بالرجال بحيلة وهي ان العجوز تتامل في الفتيان حتى ترى الشاب
الجميل الذي لا نبات بعارضيه فتتحيل عليه بلطف حتى تاخذه
الى دارها ومن المعلوم ان شبان السودان لا يحلقون
رووسهم بل يوفرونها فتصير الوفرة لهم كشعر النساء
وتجعل وفرته ظفائر كظفائر النسا وتلبسه حليا كحليهن
من عقود وتمائم ومدارع وبخور وتلبسه دراعة وفردة وثوبا
بحيث لا يشك رائيه انه امراة وتدخله دار السلطان
بين نساء فتى ولج ذهب خوفها وسلمته لمن ادخلته برسمها

فيمكث ما شاء الله ان يمكث فان ستر الله عليه خرج كما دخل
وان عثر عليه قتل ولا يعثر عليه الا باسباب منها ان تعلم امرة
احدى ضرائرها فتطلبه منها فتابى هي بخلاً به او لا يرضى هو ان
يذهب ثم يحملها الغيظ على ان تفتن عليه فيعثر عليه ومنها
ان السلطان يامر بالتفتيش فيحضر الطواشية كلهم ويفتش
معهم البيوت ومن وجدوه قتلوه ومنها انه يزهق من طول
المكث فيخرج وحده فيعثر عليه البوابون وهو خارج فيقتلونه
وان ستر الله عليه خرج واغلب من يدخل بالصفة التي ذكرناها
لا يخرج الا بالليل او مع نسآء كثيرة وهو في وسطهن ومن العجائز
من يتحيل في خروج النسآء من بيت السلطان بان ينكرن
المراة منهن بثياب مهنة قذرة ويخرجنها امام الناس جهاراً
فاذا اعترضها البواب او احد الخصيان قيل له هذه امراة مسكينة
كانت دخلت معنا تلتمس معروفاً ومنهن من يدلس
عليها الخصيان وذلك لا يكون الا اذا علم الخصي انه ان عرض
انفتح له مهوى فيتلف فيه ثم يسكت قهراً عنه وتدخل
المراة وتخرج وتدخل من شاءت ولم تخش باساً ومن ذلك
ما وقع من بعض محاظي السلطان صابون مع ترقنك محمد

ابن عمها وسنذكر ذلك في سيرة السلطان صابون سلطان
دار الوداي ان شاء الله تعالى واعلم ان نساء السودان كثيرات
الشبق والغلمة اكثر من غيرهن لامور الاول لفرط حرارة الاقليم
الثاني لكثرة مخالطتهن للرجال الثالث لعدم صونهن واستقرارهن
في البيوت فمن ذلك ترى المراة منهن لا تقنع بزوج ولا بخليل واحد
على حد قول الشاعر

من الهزج

ايا من ليس يرضيها خليل ولا الفا خليل كل عام
اراكِ بقيةً من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

الرابع لعدم اقتصار ازواجهن عليهن لان الرجل منهم ان كان ذا
قدرة نكح من الحرائر اربعا وتسرّى بغيرهن من السراري وكل ذلك
على قدر حاله والنساء شقايق الرجال والنفس واحدة في الشهوة
والطبع خصوصا وعندهن من الغيرة ما لا مزيد عليه فيتحيلن
على الاجتماع بغير زوجهن وياخذ كل منهن في ضروب من الحيل
تتوصل بذلك الى مرغوبها وان كان لا يقدر على التسري طمح نظره
الى غير امراته فمتى علمت امراته بذلك حداها حادي الغيرة على الاجتماع
بغيره الخامس العادة لانهن من صغرهن قد تعودن الاجتماع
مع اترابهن من الذكور حتى كبرن على ذلك والعادة اذا استحكمت

صارت طبعا فلذلك اذا تزوجت لا يمكنها الاقتصار على زوج واحد
الا من رحم الله ومن حيث ان هذا الطبع مركوز فيهن يصدر منهن
ما يصدر فلذلك لا يرى منهن من اقتصرت على بعلها الا القليل
وكلما تقادم الزمن كلما كثر الفساد عندهم **نادرة** ومن المجرب
في دارفور ان النار اذا اشتعلت في دور واشتد وقدها وعجزوا عنه
نادوا هل من طاهرة فتاتي امرأة عجوز لم تزن قط فتخرج كنفوسها
وتشير به للنار فتطفى بارادة الله تعالى وهذا من مجرباتهم وحين
كنت هناك وقع حريق في بيت جدة السلطان واشتد وحضر
السلطان بنفسه وارباب دولته فما امكنهم اطفاؤه ونادى منادي
السلطان هل من طاهرة وتكرر الندا في البلد فما قدرت امرأة تاتي
لذلك الحريق ومن هنا يعلم انه لا يوجد الآن فيهن طاهرة لكن
سمعت بان ذلك قد يوجد في نساء اعراب باديتهم واما نساء
السودان فقل ان يوجد فيهن طاهرة لان المرأة منهم حيث لا
عقل يردعها ولا خوف يزجرها ولا دين تراعيه تفعل ما ارادت بل قد
تفتخر بكثرة الاصحاب وتقول لو كنت قبيحة ما جاءني احد ولولا اني
من الحسن بمكان ما الفني الرجال وارتكبوا من بشاني الاهوال ومن
العجيب ان في بلاد العرب اذا اسنت المرأة او كان لها ولد جليل ذو

شهرة

شهرة يمنعها ذلك عن ارتكاب الزنا وعن التطلع للرجال إما لعلمها
بعدم الرغبة فيها ان كانت مسنة او لخوفها على مقام ولدها
وجلالة قدره الا نساء السودان فقد حكى لي من هو اعز اصحابي
وصنو الصحبة لا اذكر اسمه ان خال السلطان محمد فضل المسمى محمد
تيتل زوجته اخته وهي أمبوسن ام السلطان وعمرها بنحو خمس وثلاثين
سنة بامراة من بيتها وصنعت له مهرجانا عظيما هرع الناس للفرجة
عليه فاخبرني انه كان من جملة المتفرجين قال بينما انا واقف اذ جاءت
ام السلطان ومعها سرب من النساء كانهن الغزلان وهي تمشي
امامهن وهن خلفها وهي كانت جارية بشعة المنظر مشوهة
الخلق دنية الاصل لانه لا يوجد في سكان دار الفور ادنى اصلا من
البيقو الذين هي منهم فصار كل من الواقفين يتعجب من صنع الله تعالى
ان قدم هذه المراة مع ما هي عليه من قبح الذات والاصل على من هن
احسن وجها واصلا وذاتا وبهاء وجمالا قال فدخلت على اخيها
تيتل وكان وقت بنائه بعرسه فمكثت عنده برهة ثم خرجت قال
فلم نشعر الا برنين الخلاخل والحلي وعبق الطيب فعلمنا انها خارجة
فوقفنا صفا حتى اذا خرجت لم اشعر بها الا وقد قبضت على يدي
وجذبتني للذهاب معها فاردت الامتناع وكاني تعاصيت فدفعني

النسآء اللائى خلفها وكرهتُ ان يشعر الناس بذلك فمشيت معها
محاذيا لها وهى بجانبى قابضة على فلما كنا فى اثناء الطريق قالت انا
تعبت مع انه لم يكن بين بيت اخيها وبيتها اكثر من مائة خطوة وقد
بلغنى انها قبل اتصالها بالسلطان كانت من اقل الجوارى المبتذلات
للمهنة فكانت تاتى بالمآء والحطب على راسها من الخلاء والآن تتعب
من مشى مائة خطوة قال فقلت لها من كثرة ما عانيت فى هذا اليوم
قال ثم دخلنا الدار والخصيان واقفون على الباب لا يجترى احد منهم
ان يتكلم وقد عرفونى معها فلما وصلتُ الى حجرتها دخلت فدخلت
معها فاطلقتْ يدى فجلستُ على فراش هناك وانطرحتْ هى
على سريرها تتقلب يمنة ويسرة وتهز منجورها بيديها ثم قالت
لى ان بى صداعا فقلت لها لا باس عليك قالت فاقرا لى عليه
لعله يذهب فجئت اليها وقد علمتُ ان ذلك حيلة منها المقصودها
وان الكبر يمنعها ان تقول لى هيت لك مع ان جميع من كان معها
من النسآء ذهب ولم يبق الا انا وهى وهنالك جارية جالسة
خارج الباب ان احتاجت الى شىء دعتها له قال فلما اكثرت من
التقلب ولم ترمنى ميلا اليها دعتنى لاقرأ على صدغها فجئت
وضعتُ يدى على صدغها وابتدات القراءة ارتعشتْ تحت

يدى

يدى وصارت تضطرب اضطراب المذبوح وتتاوّه فشممت منها
رائحة الطيب فانعشتنى واخذنى ما ياخذ الرجل من النشاط فهممت
ان اعلوها فادركنى خوف من ابنها السلطان لانه متى وجد مع امه
احدا قتله وقد تكرر منه ذلك مرارا ويهجم عليها بغير استئذان لكنها
قد رصدت له اناسا يخبرونها بمجيئه فان كان عندها احد تحيلت
فى اخراجه قال وخفت ايضا لولانى كنت سمعت انها مصابة بداء
الحصر وهو المعبر به عند الحكماء بالسيلان الابيض اعنى ان كل من
واقعها ابتلى به سيما وقد شاهدت من مرض به منها قال فحين
ادركنى الخوف من هاتين الجهتين برد ما بى قليلا وكانت قد اطلعت
على حالى اولا فلما رات منى الفتور ظنت انى جائع فدعت بجارية لها
اسمها ذراع القادر وقالت لها ائت بطعام جميل فاتت الجارية
باناءين فى احدهما حمام مقلوّ فى السمن وفى الاخر فطير بالعسل
وقالت لى كل قال فابيت واعتذرت بانى غير جائع فحلفت علىّ
فتناولت من الطعام واعجبنى وكنت فى تلك الليلة محتاجا وبينما
انا اكل اذ سمعت حركات عنيفة وكركبة وجاء الخدم يهرعون ويقولون
ان السلطان قد اتى فقالت خذوا هذا واخرجوه من الباب الثانى
فاخذنى الجوارى واسرعوا فى المشى حتى اخرجونى من الزريبة ومن لطف

الله تعالى ان السلطان لم يدخل عليها من الباب الذي عادته الدخول منه بل الى الباب المذكور ولو تحقق عليه خرجنا ودار حتى اتى للباب الذي خرجت منه لاتى بعد خروجي وانفصالي عن الباب رايت نواحي الخيل قد اقبلت فوقفت حتى بعد اري ما يكون فسمعته يقول للبوابين من خرج الآن من هنا فقالوا لا احد فقال احد الفرسان انا رايت انسانا انفصل من هنا واظنه كان هنا فقال جميعهم ما راينا احدا كل ذلك وانا واقف اسمع وحمدت الله الذي اخرجني قبل وصولهم والا لو وصلوا الى الباب قبل خروجي كنت اول قتيل فلما سمعت منه هذه القضية تعجبت غاية العجب وعلمت ان الخصيان لا ينفعون الا مع عدم غرض النساء ومتى كان للمراة غرض لا يقدر الخصي ان يصنع شيا فانظر يا اخي كيف وقعت هذه القضية من هذه المراة مع انها ام ملك ولو وقعت من غيرها كان الكلام فيها مجال فكيف بهذه وبالجملة فالنساء لا خير فيهن الا من حفظها الله ورحم الله من قال

من الطويل

فمنهن من تسوى ثمانين بكرة ... ومنهن من تغلو بجلد حمارة
ومنهن من تاتي الفتى وهو معسر ... فيضحى وكل الخير في صحن داره
ومنهن من تاتي الفتى وهو موسر ... فيصبح لم يملك جليق حماره

وفيهن

وفيهن من لم يستر الله عرضها اذا غاب عنها الزوج راحت لجاره

فلا يرحم الرحمن خائنة النسا ولاحرق كل الخائنات بناره

وليعلم ان كل مصيبة تقع اصلها النسا فكم بسببهن قتلت ملوك وخربت ممالك وسفكت دما فهن لنا شياطين على حد قول الشاعر

ان النسا شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

غريبة مقتضى انهم جعلوا الخصيان لصيانة الحريم عن الرجال ان الخصيان امنا عليهن من طرف السيد والامر بخلاف ذلك فقد رايناً منهم من عنده عدة نسا يتمتع بهن واول من رايت عنده ذلك محمد كرّا الذي اسلفنا ذكره وحكى لي من أثق به انه لما راى الغلب عليه في قتال السلطان محمد فضل كان عنده امراة من اجمل النسا فذبحها بالليل قبل موته لئلا يحظى بها غيره وهذه نهاية الغيرة ورايت في دارفور وفي الوادي كثيرا من الخصيان كل منهم حائز نسا عديدة وسالت من اهل الخبرة ما يصنعون بهن وهم كهن من حيث ان اعضاء التناسل مفقودة فقيل لي انهم يساحقون النسا ويشتد بهم الحال وقت المساحقة حتى انه يعض الانثى وقت الانزال عضا مولما وكنت اذ ذلك لجهلي بعلم الطب أصدّق ذلك لكن الان لا

اي مناقضة هنا

اصدقه لان وظيفة العضو قد فقدت بفقده والعلة تدور مع
المعلول وجودا وعدما وكنت سالت اهل الخبرة من كيفية
الخصي فاخبرني بعضهم انه يوتى بمن يراد الفعل به فيضبط ضبطا
جيدا وتمسك المذاكير وتستاصل بموسى حاد ويوضع في ثقب
مجرى البول انبوبة صغيرة من صفيح لئلا ينسد ويكون قد
سخن السمن على النار تسخينا جيدا حتى غلى ثم يكوى به محل القطع
وبعد ان يكون محل القطع جرحا حديثا ينقلب جرحا ناريا ثم
يداوى بالتغيير عليه بالتفتيك والاربطة حتى يشفى او يموت ولا
يشفى منه الا القليل فان قيل ان في هذا لتعذيبا للحيوان
الناطق وقطعا للتناسل المامور بكثرته شرعا فهو حرام قلت
نعم قد صرح غير واحد من العلماء بحرمته خصوصا جلال الدين
السيوطي رحمه الله فانه صرح بالتحريم في كتابه الذي الفه في حرمة
خدمة الخصيان لضريح سيد ولد عدنان لكن الحرمة على
الفاعل وانما يخصي الخصيان قوم من المجوس وياتون بهم الى
بلاد الاسلام فيبيعونهم ويهادون بهم ولا يخصى على يد
المسلمين منهم الا القليل النادر واما استخدامهم بعد الخصي
فلا ضرر فيه بل فيه ثواب عظيم لانهم لو لم يستخدموا لحصل

لهم

لهم الضرر من وجهين الاول مما وقع عليهم من الخصى الموجب
لفقد اللذة العظيمة وقطع التناسل والثانى من ضيق المعيشة
فان قيل اذا كان الامرآء كالملوك ومن يجرى مجراهم يجمعون كثيرا من
النسآء فى دورهم وكلهن شابات ومن المعلوم ان الغيرة موجودة
فيهن كما هى موجودة فى الرجال لانهن شقائقهم فكيف يعاشرن
بعضهن خصوصا اذا احب الرجل واحدة منهن واعرض عن غيرها
قلت ان العداوة واقعة بينهن على قدر احوالهن فكل منهن تتمنى
ان يخلو لها وجه زوجها ولا يالو سواها لكن لما كن تحت قهر
الزوج خصوصا ان كان ملكا يخفين البغضآء ويظهرن المودّة
وهذه عادتهن فى اخفآء ما يبطنّ واظهار ضده ولا يظهر ما
اخفت المراة منهن الا اذا زاد خوفها وملكت رشدها وحتى تظهر
ما كان كامنا فى صدرها فان قيل ما رتبة نسآء السودان فى
الجمال قلت اعلم ان نسآء السودان على اقسام فى ذلك ومن
المعلوم ان كل قبيلة يوجد فيها الجميل والقبيح لكن هناك قبائل
يوجد فيها الجمال اكثر واخرى يوجد فيها النشوه اكثر واقل قبيلة
فى دار الفور بالجمال هم التمورگة لانهم وحشيون اهل جبال وسوء
معاش وكذا الكراكريت وقد ذكرنا سابقا ان قبيلة البرقى

والميدوب اجمل نسآء من غيرهما ويليهما قبيلة البيقو والبرقو
والميمة والتنجور واشوه قبائل الفور نسآء اعجام الفور ويليهم
الداجو والبرقد والمساليط كان في دار الوادائ قبيلتي أب
سنوت وملنقا ومننقا اجمل الوادای نسآء ويليهم الكوكة
والميمة وكشمرة واقبحها نسآء التاما ويليها البرقد والمساليط
والداجو ولا يقدر الانسان ان يساوى بين جمال اهل السودان
وغيرهم من اهل بلادنا لاختلاف اللون **تنبيه** اجمل اهل
بلاد السودان عموما من مشرقها لمغربها نسآء عفنو ويليهم
باقرمة وبرنو وسنار واوسطهم الوادای ويليهم الفور واقبحهم
التبو والكتكو وبالجملة فالجمال يوجد في كل قبيلة لكن قد يقل
في واحدة ويكثر في اخرى وسبحان من خص من شآء بما شآء
لا رب غيره ولا معبود سواه فما كل اسمر مسكا ولا كل احمر
ياقوتا ولا كل اسود زبادا ولا كل لماع ماسا وان شئت
قلت ما كل اسود فحما ولا كل احمر لحما ولا كل ابيض جيرا فقد
يوجد في الاسود والاسمر من الجمال ما لا يوجد في الابيض
الشاهق وكانى بقائل يقول وهل تستوى الظلمات والنور
او الظل والحرور لكن من الناس من تعشق في السمر حيث قال

وفي

من الطويل
وفي السمر معنى لو تأملت حسنه لما عشقت عيناك بيضا ولا حمرا

واحب بعضهم السواد وبالغ حتى قال

من الوافر
أحب لاجلها السودان حتى أحب لاجلها سود الكلاب

وكنت قديما مغرما بهذا المذهب فقلت

من الهزج
يلوموني على حبي لسودا وما علموا السيادة في السواد
فقلت لهم دعوني لا تلوموا فان السود سادوا بالسواد
وخال البيض لولا الحاجبان وخال الخد حالك في السواد
لما عشقوا ولا نظروا بعين ولكن الفضيلة في السواد

وفي الاول السواد بمعنى السودد وفي الثاني بمعنى المال وفي الثالث بمعنى السواد الحقيقي وفي الرابع العالم الكثير وقال بعضهم

من البسيط
قالوا تعشقتها سودا فقلت لهم لون الغوالي ولون المسك والعود
إني امرء ليس حب البيض مكرمة عندي ولو خلت الدنيا من السود

وقال الفاضل الشيخ عبد الرحمن الصفتي

من الكامل
بالروح اسمر نقطة من لونه تكسو البياض من الجمال شعارا
ولو استقل من البياض بمثلها لاعتاض من ثوب الملاحة عارا
ما من سلافته سكرت وانما تركت سوالفه العقول حيارا
حسد المحاسن بعضها حتى ابت كل المحاسن أن تكون عذارا

وكنت عارضته بقصيدة منها قولي

من الجزء والكامل احذ — الحق ابيض دع مقالة معشر قد عاندوا واستكبروا استكبارا

وقال الصفتي ايضا

من البسيط — قالوا تعشقتها سمرا فقلت لهم لون الغوالي ولون المسك والحدق

وما تركت بياض البيض عن غلط اني من الشيب والاكفان في فرق

وتغالى بعضهم في مدح البياض وذم السواد بكلام يطول وقال من عاند في ذلك عميت بصيرته عن قوله تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة ولكل وجهة هو موليها وللناس فيما يعشقون مذاهب

فصل في امراض السودان والماكولات وصحة الاقاليم والصيد وبعض الحيوانات

يجب على العبد ان يعلم ان الله خص كل اقليم بما لا يوجد في غيره وجعل في كل قبيلة خاصية لا توجد في غيرها ولذا اذا تغرب انسان من بلده لاخرى يكون هواؤها مخالف لهواء بلده تحصل له مشقات فيمرض حين يتغير عليه الهواء فربما مات وان لم يمت يطول مرضه ولا يصح جسمه حتى يعتاد بهواء البلد التي سكن فيها بعد طول المدة ولما كان الامر كذلك كان الاولاد الذين يتناسلون من ام واب فوراويين مثلا اطول اعمارا واقوى

بنية

بنية ولذلك ترى الرجل له عشرة من الولد واكثر أقوياء أصحاء
وكذا اعراب البادية هناك لايموت الرجل منهم حتى يرى من ولده
عددا كثيرا فلو انعكس الامر بان تزوج فوراوى عربية او عربى فوراوية
ترى سلالته ضعيفة نحيفة لا يعيش منها الا ما قل وندر
وهذا مما يدل على ان فى البلد والجنس خاصية لاتوجد فى غيرهما
لان كل ولد يوجد من ابوين من نوع واحد وبلد واحد كان اقوى
بنية واعدل صحة وترى من انعكس فيه الامر ضعيفا فاسد
اللون نحيفا ورايتهم فى دارفور ودار واداى يستعينون على
صحة الطفل باخذ الدم فياخذون الطفل حين يستكمل اربعين
يوما من ولادته ويشرطون بطنه من الجهتين اعنى اليمنى
واليسرى تشاريط كثيرة وينزل منه دم غزير وحين يستكمل
ثلاثة اشهر يفعلون به ذلك وان لم يفعل به ربما هاج عليه
الدم فقتله واكثر امراض الاطفال عندهم المرض المسمى ابو لسان
وهو داء يعترى الطفل فى غلصمته اى عند اللهات فتحدث له فيها
زائدة كلسان العصفور عند اصل
اللسان فيعالجونها بالقطع وصورة
الالة التى يقطعونها بها هكذا

وهي حديدة مركبة في يد من خشب ومعها قطعة خشبية ناعمة
فيدخل الطبيب الخشبة اولا حتى يوصلها الى المحل الذي فيه
الزائدة ويكون العليل قد ضبط ضبطا جيدا ثم يدخل الحديدة حتى
يصل راسها المعوج الى اصل الزائدة من الجهة الاخرى وتبقى الزائدة
بين الحديدة والخشبة ويتكأ عليهما معا فتنقطع الزائدة بينهما
فيخرج الحديدة والخشبة معا فيرى على الخشبة قطعة لحم صغيرة
ويكون قد استحضر على قليل من النطرون وسحق جيدا بين حجرين ثم
يبل الرجل اصبعه ويجعله على المسحوق فيلتصق به ويدخله في فم
العليل بعد ان يكون قد ادخل الخشبة ان كان الطفل قد أثغر لكن
لا يوصلها الى محل الالم بل حتى تتجاوز اسنان العليل ثم يدعك محل
القطع بالمسحوق الذي على اصبعه دعكا جيدا فيبرء العليل بذلك
واذا ترك ابو اللسان المذكور أنحل جسم الطفل ونشأ عنه اسهال
عجيب فيكون سببا في قتله ويليه مرض اخر يسمى عندهم أم صُقَّع
ولا يعتري الا الاطفال ايضا وهي استرخاء يقع في اللهاة وبثرة تحدث
فيها فلا يشرب العليل اللبن ولا ياكل ويصفر لونه فيدعون
له بالطبيب فياتي ويسحق النطرون كما تقدم ويضع الخشبة
وحدها في فم العليل ويدخل اصبعه فيرفع لهاته ويفقا

البثرة

البثرة التي توجد فينزل منها دم وقيح ثم يغمس اصبعه مبلولا
بريقه في النطرون ويحك به البثرة واللهاة لكن يفعل ذلك ثلاثة
ايام فيبرء العليل وقد يقع الاسهال المفرط لكن ينظر في الطفل فان
كان ابن سنين ووجدوا المقعدة تبرز من محلها حكوها بشقفة
حتى فقئوا ما فيها من البثور وينزل منها دم كثير وقللوا ماكله
فيبرأ وان كان صغيرا كابن سبعة اشهر او ثمانية او نحوها كووه
حول السرة اربع كيات هكذا
اعني تكون السرة في الوسط ويكون الكي اعلاها واسفلها وايمنها
وايسرها وقد يعتري الاطفال المرض المسمى بالغزيل وهو مرض
ناشئ عن اصابة في المخ يترك الطفل يعبث بيديه ورجليه على
غير الحالة المألوفة واهل مصر كاهل تونس يقولون انه من الجان
حين يترك الصبي وحده في محل يعتريه هذا الحادث فيقتل في
مصر وتونس وبلاد العرب اطفال كثيرة فاما اهل مصر يستعينون
في علاجه بالكتابات لاعتقادهم انه من الجان فياتون بمن له
شهرة في الرقى والعزائم والاقسام فيكتب العليل ويرقي
وهذا قد يصادف ان العليل يخذله وقد لا ينجع واما اهل
السودان فيعالجونه بالكي في الجبهة بان ياتوا بلب قصبة

من قصب الدخن ويلا مسوت بها النار حتى تاخذ فيها وتبقى
لها زهرة كزهرة الشمعة التى تقط فيكوون العليل بها فيبرء
لوقته ومن امراض الاطفال هناك أبو صفير وهو مرض يعترى
الطفل فيفسد لونه ويصفر صفرة ظاهرة وهو المسمى فى كتب
الطب بالبرقان الاصفر وهناك امراض عامة الصغير والكبير فيها
على حد سواء فمنها الوردة وهى الحمى ولا يكاد ينجو منها احد فى
كل سنة وتتسلط عندهم فى ايام الخريف واول الربيع المسمى
عندهم بالدرت وهو وقت خريفنا وتتنوع فمنها حمى الورد التى
تاتى فى كل يوم فى ساعة معينة ومنها حمى الغبت وهى التى تاتى يوما
ويغيب يوما ومنها حمى التثليث وهى التى تاتى بعد كل يومين
ومنها حمى الربع وهى التى تاتى بعد كل ثلاثة ايام وهى اقوى انواع الحمى
واقل منها بدرجة حمى التثليث ومنها الحمى المطبقة وهى التى لا
ترتفع عن صاحبها الا بالشفآء او بالموت وتسمى فى مصر بالنوشة
وهى فى عرف الاطبآء الآن التهاب معدى معوى وكلها عند اهل
السودان تسمى بالوردة لا يميزون فيها ومن الامراض العامة
الوبائية عندهم الجدرى وهو عندهم كالطاعون فى مصر
ويشتد خوفهم منه لانه قتال جدا وكل من مرض به منهم

اخرجوه

اخرجوه من البلد الى محل اخر في الخلآء وبنوا له عشة تسمى عندهم بالكرنابة وتركوا عنده من يخدمه ممن يكون قد مرض بالجدري وكلما مرض اخر نقلوه اليه وهكذا وهذا هو الكرنتينة بعينها

تنبيه اخوف اهل السودان من الجدري اعراب باديتهم لان الجدري ان دخل في حي من احيائهم افناه فلذلك تراهم اخوف الناس منه ولقد اخبرني رجل من اكابر البرقد يقال له عثمان ودملوانه كان مرض بالجدري وقاسى ما قاسى ثم شفاه الله فلما قشر جدريه وقبل ان يندمل صار يوذيه الذباب فكان يتلثم لاجل ذلك قال بينما انا ذات يوم متلثم واقف على باب داري اذ رايت اعرابيا قد جاء يمشي مشية الخائف فلما راني اقبل علي حتى دنا مني وسلم علي ثم قال أمانة عليك هل في حلتكم هذه جدري فقلت كفانا الله بخير الامانة ورفعت اللثام عن وجهي فحين راني صاح صيحة عظيمة وسقط الى الارض فجاء لصيحته اخوانه من الاعراب فرفعوه وذهبوا به وكنت انا حين جاء اخوانه فررت لئلا يقتلوني فبلغني بعد ذلك انه مات بعد ثلاثة ايام ومن خرافات اهل السودان انهم يقولون ان الجدري حيوان لا يشاهد الا اثره يعلق بالانسان فيقتله وسمعت من كثير منهم انه راى اثره

ويتواطئون على ذلك ويصدق بعضهم بعضا وسالتهم من اثره

كيف هو فقال اثره نكت مستديرة متوالية هكذا ..... على

سطر واحد فكل بيت اصبحنا ورأينا ذلك الاثر دخل فيه نجد اهله

قد اصيبوا عجيبة اخبرني القاضي الجليل قاضي القضاة بمملكة

الوادای حين جاء الى القاهرة سنة ١٢٥٧ ان المرض المسمى بالهيضة

واهل مصر سموه الهوا الاصفر الذى كان اتى الى مصر من الحجاز

سنة ١٢٤٧ ذهب الى بلادهم ولخربها وقتل منها عالما كثيرا وكنا نظن

انه لا يصل الى هناك فسبحان الفعال لما يريد لا معقب لحكمه

ومن الامراض العامة الكثيرة الحصول عندهم المرض الافرنجى ويسمى

عندهم بالجقيل وكثرته بينهم لكثرة الفساد وليس له عندهم

دواء الا الكى وصفة هذا الكى انهم ياتون بحديدة وهى المسماة عندهم

بالحشاشة وهذه الحديدة مستطيلة مفرطحة عرضها بنحو

قيراطين وطولها بنحو خمسة قراريط او ستة فيحموها بالنار حتى

تحمر ولها صورة انبوبة مركبة في وسطها عرضا فاذا احمرت الحديدة

اخرجوها من النار وصبوا على الانبوبة ماء قليلا ثم يدخلون في

تلك الانبوبة عودا يرفعونها به ويكوون به المحل الذى ظهر فيه

الداء من غير استثناء ومتى ما شهد هذا الداء على احد وله اهل

كووه

كووه ولو قهرا عنه وبهذه المعالجة نشفاه الله باقرب زمن وهذا
المرض فى كردفال اكثر من دارفور ودارفور اكثر من الوادای حتى انه فى
الوادای لا يسمع بانسان مرض بهذا الداء الا نادرًا وسبب كثرته
فى كردفال ان من اصيب منهم به يعتقد انه كلما اعدا غيره به يخف
عنه ماهو فيه ولم يدر انه لو اعدا مائة الف لم ينقص مما هو فيه
شئ فترى المريض منهم سواء كان امراة او رجلا يعدى خلقا كثيرا
فلذلك كثر عندهم وفى دارفور وان كان كثيرا لكنه لما كان منهم من
لا يستحى ان يراه الناس مريضا فيعدى غيره وهو قليل ومنهم من
يستحى من ذلك فيجلس فى بيته حتى يبرء وهو كثير فقل عندهم واما
فى الوادای كل من مرض به لزم محله حتى يبرء فكان وجوده نادرًا ومنه
الحَصَر وهو السيلان الابيض ومثله الهَبُوب وهو ريح ينعقد
فى البطن السفلى من المراة او الرجل واكثر ما يوجد فى النسآء
ويقولون انهما مُعْدِيَانِ ومن الامراض الفاشية عندهم الجُذَام
وهو تاكُل مارن الانف واطراف الاصابع وكذلك البَرَص الا انه
اقل ومنها ابو الصفوف وهو ذات الجَنْب وعلاجه عندهم
بالتشريط على الاضلاع فيشرطون اربعة صفوف او خمسة كل
صف اربع شرطات او خمس هكـــــذا

ويدعكون المحل بعد التشريط بمسحوق النطرون فينزل من الفتحات
دم كثير فيبرأ المصاب ومنها الفرنديت وهو كثير عندهم ويسمى
في مصر بالفرتيت وهو ورم يحدث في الساق او اليد او في محل اخر
فيتكون فيه قيح فينبعج ويخرج من محل البعج خيط ابيض طويل اشبه
بالعصب الا انه غير متين كالعصب والظاهر انه حيوان لانه
يخرج ويدخل وعلاجه البعج والتدفية بورق العشر المدهون بالسمن
المسخن على النار ومن الامراض العضوية عندهم السوتية وهي
مرض يخص الركبة وهو ورم كالفرنديت الا انه لا يظهر له خيط
ويتكون داخله قيح كثير ولا يبرأ حتى يبعج المحل بعجا غائرا ثلاثة
صفوف وفي كل صف ثلاث بعجات او اربع فينزل منها قيح كثير
وبالتدهين بالسمن والتدفية يبرأ العليل ومنها الذقري
وهو مرض يخص الساق على طولها وهو ورم كورم السوتية الا ان
هذا يمتد على قصبة الساق وذاك مقصور على الركبة وعلاجه
كعلاج السوتية الا ان البعج يكون صفين من وحشية الساق
وصفين من انسيتها ومن الامراض عندهم التي تصيب الاطفال
الحصبة والبرجك وهي القرمزية ومن الامراض العامة وجع
الطحال اعني كبره والاستسقاء بانواعه واغلب الامراض

عندهم

عندهم الا الطاعون والسل فلا يوجدان وان وجد السل
فنادر واما الجراحة فمتقدمة بينهم لكثرة الفتن والحروب
فتراهم يخيطون الجروح حتى ان من خرجت امعاؤه يردونها
ويخيطون عليها ويبرء وكذا يداوون الشجايج بانواع وهناك
ناس يسمون الشلاكين يعملون عملية الكتراتا من العين مع
المهارة التامة ولكن لا اعلم كيفية العملية ولا الالات المستعملة
عندهم لذلك واعرف منهم رجلا شهيرا يسمى الحاج نور غير انهم
لا يستعملون البتر ولا القطع ولا الاستئصال وامراض الادرة
قليلة عندهم هذا ما انتهى اليه علمي في ذلك واطباؤهم مسنونهم
فلا تجد فيهم طبيبا شابا الا نادرا ومن برع في صناعة الطب تهرع
اليه الناس ولو من مسافة ايام ويكرمونه اكراما تاما واكثر
علاجهم التشريط والكي ولا يستعملون من الباطن الا التمرهندي
والعسل النحل والسمن البقري عجيبة اخبرني شيخي الفقيه
مدني الفوتاوي عليه سحائب الرحمة انه كان اصيب بالنقرس
الذي هو وجع المفاصل وهو المسمى في كتب الطب بداء الملوك
وان اعرابيا من البادية وصف له الوقوف في السمن البقري فقال
امرتهم باحضار كثير من السمن البقري وسخن على النار حتى ذاب

دوبانا تاما فنزل من النار وترك الى ان هذا وصار يحمله الانسان
وربط لي حبل في سقف البيت وصارت طرفاه بيدي وافرغ السمن
في قصعة كبيرة وغسلت رجلي ووقفت في السمن ومسكت
الحبل المذكور فكان معينا لي على طول الوقوف قال فلم اشعر الا والسمن
يسري في جبتي كسريان السم غير انه اولا صعد الى ساقي ثم الى
ركبتي ثم الى الفخذي ثم سرى في النصف الاعلا فصرت احس به
يصعد في جسمي شيا فشيا حتى وصل الى عنقي فاخذني دوار وغشي
علي وكدت اسقط فتلقاني الخدم ودثروني في ثيابي واضجعوني
على فراشي وانا لا اشعر بشي من ذلك فقلت نهاري كله وليلي كذلك
ثم افقت عند الصباح وانا ناشط كانما حللت من عقال ورايت
انه خرج مني عرق كثير كريه الرايحة وبذلك شفاني الله واخبرني غير
واحد ان اهل البادية كذا يفعلون حتى بلغ هذا الخبر مبلغ التواتر
ولكونهم يتعاطون السحر كثيرا ينداوون بالكتابة وعندهم اناس
مشهورون بذلك واكثرهم شهرة فلانا وكيفية الولادة عندهم
انه اذا اخذ المراة الطلق اتاها بعض العجائز من النساء وربطوا لها
حبلا في سقف البيت فتمسكه وهي واقفة وتعتمد عليه كلما
اشتد بها الوجع وتفرج بين رجليها حتى يسقط المولود فتتلقاه

احدى

احدى النسآء الحاضرات وتقطع سُرّهُ و تَضجُعن النُفَسَآءَ على
فراشها فاذا تم للولد اسبوع عملوا له عقيقة كل انسان على
قدر حاله فتجتمع النساء عند النفساء والرجال مع الرجال ويكون قد
ذبح شاة فتاكل النساء والرجال لحم الشاة ويسمون المولودَ ثم
يتفرقون ويطعمون النفساء في ذلك الاسبوع عند الصباح العصيدة
وهي الحريرة بلغة اهل مصر والحَسُوُّ بلغة اهل المغرب والكريمْ
بلغة الافرنج وعند الظهر لحمَ دُجَاجة ان كانوا اغنياء فان كانوا
فقراء المديدة ايضًا وهي مركبة من دقيق الدُخْن ودقيق التبَلْدِي
او الهَجليج فان كانت من الهجليج كان بها مرار وان كانت من التبلدي
كانت حامضة فان تم للمولود شهران او ثلاثة حملته امه على
ظهرها وربطته بثوبها ويسمى ذلك الحمل قُوقُو فتحمله كذلك
وتذهب الى شؤونها من زرع وماء وحطب حتى يشب
ومن عادتهن انهن يُرضعن اولادهن حولين فاقل كالمسلمين
ولا يُزَوِّجْنَ بناتهم الا اذا بلغت البنت الحُلُمَ وعرفت منفعة
الرجل ولقد مكثتُ عندهم سبع سنين ما رايت عروسا
تزوجت قبل بلوغها وانْ عقد عقدها قبل البلوغ لا يبنى
بها الرجل الا بعد بلوغها لانه عادتهم ان الرجل يملك ويترك

مدة فمنهم من لا يبني بعرسه الا بعد سنتين ومنهم بعد ثلاث
والمستعجل منهم يبني بعد سنة لانهم لا يملكون عليها الا إذا
نهزت البلوغ هذا في البكر واما الثيب فيبني بها الرجل يوم
ملاكه او غده واما قراءة القران فمتاخرة جدا لانهم لا يقرؤون
القران الا بالليل في المكاتب فيكون الصبي في النهار سارحا بماشيته
من غنم وبقر وبعد ان يرجع في المساء ياخذ لوحه ويذهب الى
المكتب وعلى كل صبي الاتيان بالحطب يوما فيقيدون النار
ويحيطون بها فيستضيئون بضوئها وعلى ذلك الضوء يحفظون
ويكتبون وحفظهم غير جيد فلذلك قل من يحفظ القران منهم
حفظا جيدا واما قراءة العلوم فمتاخرة ايضا لعدم العلماء واكثر
قراءتهم للفقه والتوحيد واما المعقول فقليل جدا ومع قلته لا
يقرؤون الا قليلا من النحو واما المعاني والبيان والبديع والمنطق
والعروض فلا يعرفون منه الا الاسم ومن يعرفه منهم يكون
قد تغرب لبلد اخر كمصر وتلقاه فيه فاذا رجع الى بلده كان
هو العالم واكثر ما يعانونه الروحاني والسحر ويسمون علم
السحر علم الطب ومن مهر فيه سمي طبابي وهذا العلم يوجد
عند الفلاتة اكثر من غيرهم وقد نذكر ما وقع من الفقيه مالك

اولاد

اولاد السلاطين وسحره اياهم حتى رجعوا الى الفاشر بعدما
هربوا منه وما وقع من الفقيه تمرّو تنبيه اعلم ان دارفور
وان كانت كلها اقليما واحدا ومملكة واحدة هواؤها مختلف
واصحها القوز فلذلك تجد من فيه من اعراب البادية اقوياء
اجرياء لسلامة ارضه من العفونات والوخم لكن ماؤه قليل فقد
ذكرنا سابقا ان منهم من بينه وبين الماء مسافة يومين واكثر
ويليه في الصحة بلاد الزغاوة المسماة بدار الريح فلذلك تجد الزغاوة
والبديّات القاطنين بها في غاية القوة وسلامة الاعضاء
واردأها هواءً الصعيد لكثرة مياهها خصوصا جبل مرة ووخمها
وعفونتها لكن لا تكون ارضه وخيمة الا على من لم يعتدها واما
المولودون فيها تراهم اصحاء اقوياء لكن عندهم الحمى كثيرة واردى
من الصعيد المدن واقواها الفاشر ويليه كُوبَيْه وكَبْكابِيَه
واما سِلا وفَنْقَرُو وبِيكا وشالا فاوخم الاماكن كلها لكثرة الطوبة
عندهم واستمرار الامطار لانها لا تنقطع في السنة الا مدة شهرين
او ثلاثة ومع ما في دار الفور مما ذكرناه من الامراض كل منهم يحب
وطنه ويألف سكنه واذا تحول الى غيره يبكي عليه ويتمنى الرجوع
اليه وهذه غريزة جُبِل عليها الانسان وانطبع عليها الجنان

من قديم الزمان فلذلك كان المصطفى صم يحن الى مكة حنين
المشتاق ولولا ان الله امره بسكنى المدينة لاقام بمكة بعد الفتح
باتفاق لكن من حيث ان امراض بلاد السودان لم تكن وبائية قتالة
كانت اعمارهم اطول من اعمار غيرهم فلذلك تجد فيهم المسنين حتى تجد
من تجاوز المائة وعشرين واما ابناء السبعين والثمانين والتسعين
فلا يكاد ان يحصرهم العد ولا يوقف لكثرتهم على حد هذا مع ما
ابتليوا به من الفتن والحروب والمحن لان كل قبيلتين منهم بينهما
دم مسفوك وثار مطالب به غير متروك كما بين البرتي والزيادية
وبنى عمران والميمة وفلاتا والمسابيط والمسبيرية الحمر والرزيقات
والمجانين وبنى جرار والزغاوة والحامد مما لا يكاد يحصى هذا
خلاف فتن الملوك وخلاف ما يصير من القتل فى مجلس الشراب
او فى المعاندة على الكواعب الاتراب ولولا ذلك لكانوا فى الكثرة
كياجوج وماجوج وضاق بهم الفضآء والمروج فان قلت اذا كان
الامر كما ذكر فما بال النسآء العجايز قليلة مع انهن لا يقاتلن
ولا يحضرن حروبا فلو كان ما ذكر صحيحا فى عدم كثرة الرجال كان
وجود النسا المسنات كثيرا مع انهن مثلهم او اقل قلت لما
كن يجزن على من قتل لهن من الرجال ويتحملن بعدهم الضر والنكال

كن

كن عرضة للامراض المردية الجالبة للمنية بسبب ما يحصل
لهن من الانفعالات النفسانية ومع ذلك هن اكثر من الرجال
المسنين ولقد كنت في بلدة اقل عمارا وسكانا وهو ابو الجدول
ورايت فيها من المسنين والمسنات كثيرا وكلما دخلت حلة
ارى فيها اكثر من ذلك مع ان معيشتهم في غاية الانحطاط لو تناول
منها احد من اهل بلادنا مرة واحدة لذهب منه النشاط لان
اكثر ما كلهم اما مرة او متعفنة ويرون ان هذه هي النغمة المستحسنة
وكنت حين حللت ببلادهم ولم اعتد باعتيادهم صنعوا في الدار
وَيْكة ودعوني ان اكل منها فابيت ولما سمع والدي بذلك قال لي
حيث لم ترض ان تاكل من هذا الأُدْم لم جئت هنا وصار متحيرا
فكان يتكلف ويصنع لي ارزا بلبن ولما توجهت الى الفاشر ونزلت
في بيت الفقيه مالك الفوتاوي حضر العشاء فرايت الادم مرا
فسالت ما هذا فقيل لي هذه وَيْكة الهجليج فابيت ان اكل منها
فجاؤوني بادم اخر فشممت منه رائحة منتنة فقلت ما لهذا منتن
فقيل لي هذه ويكة الدَّوْدَرِي وهي جيدة عندهم فابيت ان اكل
منها فاخبر الفقيه مالك بذلك فارسل لي لبنا حليبا عليه عسل
فاكلت منه ولما حضر في ديوانه للسمر قال لي لم لم تاكل من وَيْكة

الملجليج او الدودري فقلت له احداهما مرة وثانيتهما متعفنة
فقال هذا هو الطعام الذي يصلح في بلادنا ومن لم ياكل هكذا
يخشى على نفسه من الامراض والدودري ويكة تتخذ من عظام
الغنم والبقر وسائر الحيوانات وهو انهم ياخذون عظم الركبة
وعظم الصدر ويجردون ما عليها من اللحم ثم يضعون العظام في
خابية ويتركونها اياما حتى تعفن فيخرجونها ويهرسونها في هاون
حتى ينهرس العظم في اللحم ويصنعونه كرات في جرم البرتقان
الكبير فاذا ارادوا الطبخ اخذوا قطعة من كرة وذوبوها في الماء
فان كان فيها قطع من عظم صفوها من مصفاة ثم صبوا ذلك
الماء في القدر ووضعوه على النار حتى يصير له قوام فياتون
بقدر صغير يقطعون فيه قليلا من البصل ويقلونه في قليل
من السمن ويضيفونه لذلك ويضعون فيه شيا من الملح
والفلفل والكمبا ان وجدت وهذا طعام لا يوجد الا في بيوت
امراء الفور واما ويكة الملجليج فلا يخلوا اما ان تكون من الورق
او من التمر فالتي من الورق هي انهم يجنون الوريقات الطرية الحديثة
ويدقونها وتوضع في القدر على النار وتحرك بالمسواط حتى تمتزج
مع ما فيه من الماء والدهن وان كانت من التمر فكيفيتها انهم

يأخذون

ياخذون الثمر وينقعونه فى الماء ثم يهرسونه باليد حتى يذهب لحمه كله فى الماء وياخذون ذلك الماء ويصفونه فى قدر فان كانوا فقراء وضعوا عليه قليلا من الشحم واكلوا وان كانوا اغنياء قادوا النار حتى يصير له قوام ثم عملوا تقلية كالتى ذكرناها فى الدودري واضافوا لها لحما مدقوقا من القديد وصبوا فيها الماء وتركوا الجميع على النار حتى يحصل الاستزاج التام فتنزل عن النار وهذه من اعظم ويايكهم هذا طعام اغنيائهم واما فقراؤهم فقد ذكرنا سابقا انهم ياكلون الدخن بغير تقشير وادامهم قبيح جدا لانه اما كول او ورق الهجليج الصغير الطري المسمى عندهم بالنيلمو او ثفل السمسم او ثمر الهجليج الاخضر المسمى عنقلو او ثمره الناضج وملح كل ما ذكر الرماد المسمى بالكنبو لقلة الملح وغلوه واترف الفقراء من تكون له شياه او بقرة يحلب لبنها وياخذ زبده ويادم بخيضه ولا يعرفون اللحم الا بعد اشهر ان ذبحت فى البلد بقرة او ثور واقتسموها فياخذ الفقير منهم قسما على قدر حاله بامداد من الدخن لا بشيء اخر ولذلك تجد اكثر شبانهم يعانون القنيص وقد ذكرنا سابقا ايضا انه فى كل سبت يضرب الورناك طبله وتخرج الشبان كلهم معه للصيد فكل منهم ياتى فى المساء

بما تيسر معه لان غاباتهم فيها كثير من الحيوانات الوحشية
فاكثر ما يصيدونه الارنب ثم الغزال ثم ابو الحصين ثم بقر
الوحش وان وجدوا تيتلا مريضا او اخذوه على غرة قتلوه
واقتسموا لحمه والتيتل حيوان وحشى على صورة البقر الاهلى
الا انه اصغر جرما فاعظمه كالعجل وله قرنان صاعدان مائلات
قليلا اما للخلف او للامام طولهما بنحو شبرين واقل ومع وحشيته
فيه نوع بلادة فلا يفر الا من ناس كثيرين واما من رجلين او
ثلاثة رجال فلا يفر بل يثبت مكانه وينظر اليهم نظر المتامل ومن
عادة الفور انهم اذا راوه ينادونه بصوت عال يا تيتل يا كافر
فيصير شاخصا اليهم كانه غير مكترث بهم فلا يبرح من مكانه
الا اذا يدنون اليه دنوا كليا ثم يمشى رويدا رويدا فان
راهم جدوا فى طلبه هرول والفرق بين التيتل وبقر الوحش
المعتاد ان التيتل وان كان نوعا من بقر الوحش الا انه اصغر
جما وقرونه تنبت معتدلة كقرن الغزال وبين القرنين من
اعلا انفراج كثير ولون التيتل اصفر كله واما البقر الوحشى فمنهم
الاسود والاصفر والابلق الذى لونه مختلط ببياض كثير وقرونه
كقرون البقر الاهلى فى الغلظ والاعوجاج وجمه كجم البقر ايضا

وبهذا

وبهذا تعلم ان التيتل نوع من البقر وبينه وبين البقر الفروق
المذكورة وهناك اناس مشغولون بصيد الحيوانات لا حرفة
لهم سواها وكل منهم قد اعد لذلك عدة فاما الشبان
فيستعينون على الصيد بالكلاب والسفاريك لاغير واما
الحدادون فيحتالون ومنهم طائفة الصيادين المذكورين لا حرفة
لهم سواها وهم على قسمين منهم من يتمحض لصيد ذوات الاربع
كالغزال وبقر الوحش والفيل والجاموس والضباع والسباع
والخرتيت ونحوها وهولاء يجتمعون فرقا فرقا كل فرقة منهم
خمسة انفار او ستة فياتون للطريق التي يمر عليها الفيل وغيره
حين وروده على الماء ويحفرون فيها حفرة عميقة اطول من
قامة ويدقون في مركزها وتدا مدبب الراس حاد السن كالرمح
ويصلبون على الحفرة اعوادا ضعيفة ويغطونها بالحشيش
ثم يغطون الحشيش بالتراب فياتي الفيلة او السباع او بقر
الوحش او الجاموس او الخرتيت واردة للماء فتمر على تلك الحفرة
فمتى ما ثقل على الاعواد الوطء تكسرت تحت ارجلهم وسقط
في الحفرة منها حيوان او اثنان فمتى نزل الحيوان بثقله على الوتد
الذي في المركز دخل ذلك الوتد في لحمه فلا يقدر ان يتحرك حتى

ياتي صاحب الحفرة فيتمم قتله وياخذ لحمه بعد سلخ جلده
فيعملون اللحم قديدا وهو المسمى عندهم بالشرامبط لانهم
يشرمطونه اي يقطعونه سيورا وياكلون منه طريا فان
كان فيلا اخذوا سنه وجلده وقددوا لحمه وان كان خرتيتا
اخذوا قرنه وجلده وقددوا لحمه وهذا القديد ياكلون منه
ويبيعون منه وكل فرقة لها جماعة في البلد يفتقدونهم في
كل اسبوع وياتونهم بما يحتاجونه من الزاد وغيره ويكون
معهم جمل يحملون ما يجدونه عندهم من القديد والجلود والقرون
وسن الفيل فياتون بالجلود فيعملون منها الدرق والسياط
ويبيعون العاج وقرن الخرتيت والسياط للتجار ويبيعون
الدرق للعسكر وهم قوم لا عهد لهم ويسمون الدرامدة
فلا يناكحونهم ابدا ولا يتزوج الدرمودي الا من جنسه ومنهم
من يحتال على الصيد بان ياتي لمحل الوحوش ويازن حبل من
قدمتين ويجعله خرتة واسعة فاذا مر عليه شيء من
الوحش ودخلت رجله في الخرتة وهي دائرة اشبه بالعروة
فرفع الوحش رجله انخرطت عليه وهي ماكنة الاوتاد فلا يقدر
الوحش على قطعها ولا قلعها فيمكث حتى ياتون اليه

فيقتلونه

فيقتلونه ومنهم من يعلو على شجرة يقيل تحتها الوحش ويكون

معه حربة او حربتان من الحراب

الواسعة الحادة التي هي هكـــذا

فيمكث في اعلا الشجرة حتى ياتي

الوحش ويقيل ويهدأ فينظر

لمن هو قريب منه ويطعنه وهو نائم في بطنه فتنفر باقي الوحوش

التي معه ويمكث المطعون فينزل اليه الصياد ويتمم قتله ومنهم

من يتمحض لصيد الطير واحسن طير يصاد عندهم الحباري وهو

طائر عظيم اكبر من الدجاج الرومي لونه ابيض يميل الى الاصفرار والخضرة

يسمن في ايام الدرت سمنا مفرطا ويكون لحمه طريا لطيفا وهذا

يالفه دودا معروفا عندهم وحشرات صغيرة فياتي الصياد

بذاك الدود او الحشرات ويكون معه خيط قد فتله من

العصب فتلا جيدا وهو رفيع لا يكاد ان يرى للطائر ويقصد

المحال التي تصيد فيها فمتى راى الصياد الحباري في محل ربط حشرة

او دودة في خيط وربط الخيط في اسفل شجرة ويذهب الى الحباري

فيسوقها وفي الحباري بلادة لا تكاد تطير حتى يقرب الانسان

ان يمسكها فيسوقها لجهة الحشرة او الدودة حتى تراها فمتى

ما رأتها هرعت اليها وابتلعتها ولما صارت الحشرة في حوصلتها
وارادت تذهب يمنعها الخيط من الذهاب فياتي الصياد
فيذبحها ويضعها معه ويربط في الخيط حشرة اخرى ان كان
هناك حبارى ويوجد ايضا طير اخر يسمى ابا طَنْطَرَة وهو ابيض
وهو طائر اكبر من الحبارى بقليل وله في عنقه كيس طويل مخروطي
الشكل اسفله واسع واعلاه ضيق يبتلع الحشرات ايضا كالحبارى
ومنهم من يصيد الطيور الصغيرة بالشباك وهذا اقل الدرامدة
كسبا لكونه يغرم حبًّا اذ العصافير وابو موسى وامثالها لا تقع
الا على الحبوب فياتي في المحل الذي يريد الصيد فيه بحيث يكون
قرب نهر او بركة وينصب شبكته وهي شبكة مربعة وصورتها
هكذا

ولها اربعة اوتاد وتدان منها

مربوطان

مربوطان لِصَق ركنيها ووتدان مربوطان في حبلين طويلين في
ركنيها الاخريين فيدق الاوتاد في الارض وفي قرب احد اركانها
الوحشي حبل متين طويل جدا فينصب الشبكة ويبذر الحبَّ
امامها وياخذ طرف الحبل الطويل ويمكث بعيدا عنه فمتى نزلت
الطيور وكثرت على الحب كفأ الشبكة عليها بالحبل الذي في يده
وعيون الشبكة ضيقة جدا فلا يخرج منها عصفور ولا يفلت
منها شي فياتي صاحب الشبكة وياخذ الطيور منها فان كان
فيها ما هو غالي الثمن كالدُرّة او البَبّغا ونحوه اخذ ريش جناحيه
وتركه في مِكْتَلِهِ وان لم يكن فيها ذلك ذبحها كلها وبذر حبا اخر
وحين كنت هناك كانت لي شبكة وكنت اصطاد بها في بيتي
فطالما شبعت من العصافير بصيدي بها وهناك من هو مغرم
بصيد القرود والنسانس في الجبال ولا اعرف كيفية اصطيادهم
بها واحسن من ذلك كله الصيد بالبارود لان الانسان هناك
متى ما كان معه بندقة جيدة يشبع من لحوم الحيوانات بغير
مشقة ومن الاغنياء من يشتري من الدرامدة عبدا ولا يكلفه
الا بالصيد فلما نصح ذلك العبد اشبع سيده من اللحم ولقد
رايت عند شيخنا الفقيه مدني عبدا يسمى سعيدا مسنا فاخبرني

انه صياد واطعمني لحم غزال وذكر انه من صيده وانه لا بد له في كل
جمعة ان ياتي له باللحم مرتين او ثلاثا فصرت اتمنى ان يكون لي عبد مثله
فما عثرت عليه وقسم متمحض لصيد الزراف والنعام وهم اعراب
البادية كالمحاميد والزبدة والعريقات بدار الوادای والمجانين
والزيادية وبني جرار والعريقات بدار الفور وكل من هولاء يصطاد
على الخيل فاكثرهم صيدا اسبقهم جوادا ثم ان الانسان منهم اذا راى
صيدا وتبعه لا يقفو اثره بل يباريه حتى يحاذيه ومتى تمكن من فريسته
عقرها فاما النعام وان كان شديد العدو فيوجد من يلحقه واما
الزراف فلا يكاد يلحقه في العدو فرس ولذلك لا يلحقه الا الفرس
الذي يمر كالريح واعراب البادية في دار فور ودار وادای منعمون
فيما يشتهون لا يحتاجون الا الى الدخن والذرة والملبوسات
لكن يشترون ما يحتاجونه من ذلك بما زاد عن كفايتهم من
السمن والعسل والمواشي وجلود الصيد والبقر والابل حتى انهم
يجلبون لدار الوادای ولدار الفور الاجربة والقرب وبطط وحبال
مصنوعة من سيور الجلد ويسمون هذه الحبال الجلدية بالوجج
والسياط وغير ذلك واما السمن فمن انعامهم والعسل فمن
الاشجار لان النحل يعشش فيها وهم يجتنونه والصيد كثير فلذا ترى

ريش

ريش النعام عندهم لاقيمة له وكذا قرن الخرتيت وحين كنت
في دار الوداي جاء بعض التجار من فزان يطلب ريش النعام وطلب
من الشريف احمد الفاسي الذي توزر بعد ابي ان يكتب له كتابا الى
الشيخ شوشو شيخ المحاميد بالوصية عليه وان يامر الاعراب
بالصيد له برفق في الثمن وكان معه خمسون ريالا من الفرانسا
فكتب له الشريف بذلك فاخذ الكتاب وتوجه الى المحاميد بدنيل
من العرب ومكث هناك ما شاء الله ان يمكث ولما جاء اخبرنا
بانه حين وصل الى حيهم وسال عن بيت الشيخ دل عليه فنزل
في اكرم ضيافة وارحب نزل ولما اراهم كتاب الشريف زاد الشيخ
في اكرامه وبالغ في التلطف واكبر به وافرد له بيتا من الشعر بفرشه
وجميع ما يحتاجه ووكل وصيفا ووصيفة لقضاء مهماته وكان
ذلك التاجر اخذ معه هدية للشيخ المذكور فقدمها له فقبلها
منه واثابه عليها ثم ان التاجر سلم للشيخ الخمسين ريالا فطلب
الشيخ العرب وقال لهم هذا رجل غريب اضافني والتجا الي ويريد
ريش النعام فمن كان له ارب في الريالات فليغد للصيد من
الصباح وكل من اتى بجلد ظليم فله نصف ريال ومن اتى بربداء فله
ربع ريال فاهتز العرب لطلبه واصبحوا قانصين ففي يوم واحد

جاؤا بنحو عشرين ظليما فمكث عندهم نحو من عشرين يوما
فجمع فيها نحو مائة جلد ظليم وحملها له الشيخ على ابله وزوده
بزاد كثير وكان من جملة ما جآء به دهن النعام فانه جآء منه
بكثير واتى ومعه من العسل والكُنْيا كُنْيا والسرنة والكرنوشى
كثير وباع في وارة الظليم بثلاثة ريالات ولم يبق معه الا نحو عشرة
من الجلود وربح ربحا كثيرا واما الزراف لا نفع في المتجر الا بجلود ه
يبيعونها واما لحمه فياكلونه طريا وقديدا ويوجد عند العرب من
الارز والدِفرة والكُورِيب والهَجْليج والتمرهندي والعسل والكرنو
والسرنة ما لا يوجد عند غيرهم واما اللبن فلا قيمة له عندهم
لكثرته ياخذون منه السمن ويرمون رائبه حتى ان من اتى الى
احيائهم وخصوصا احيآء الرزيقات ومسيرية الحمر والحبّانية يجد
الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبنا **فصلٌ في
معاملة اهل دار فور** قد تقرر في علم التوحيد
ان الحق تعالت اسماؤه غني عن المحل والمخصص فهو صاحب
الغنا المطلق لا يحتاج الى احد من خلقه وجميع الخلائق لفضله
محتاجون ولنواله سائلون وعلى ابواب رحمته مزدحمون فنظر
اليهم بعين رحمته ووهب لكل منهم ما يقوم به وبعائلته وفضل

بعضهم

بعضهم على بعض في الرزق فجعل منهم الملوك ومنهم الغني ومنهم
الصعلوك وجعل لهم اسبابا يتبعونها في طلب الارزاق وامر
بالسعي والاجتهاد خوف الاملاق ومن عظيم منّته ان جعل
البيع والشرآء حلالا بين الناس لينالوا ما في نفوسهم ويذهب
عنهم الباس فجعل في البلاد المتمدنة النقدين قُرة للعين يتنالون
بهما ما يحتاجونه من امور معاشهم ويضطرّون اليه في ارتياشهم
وخص سبحانه وتعالى كل مملكة بسكة معروفة ودراهم ودنانير
بينهم مالوفة لكن لمّا كانت اهل السودان في بُون عن التمدن
العظيم وفي ظلمة وحشية كالليل البهيم كان اغلبهم لا يميز
الذهب من النحاس ولا القصدير من الرصاص حتى من كان
في بلادهم معدن الذهب يبيعونه تبرا ويرون ان بيعه كذلك
احرى وسيما مملكة دارفور ليس بها شي من المعادن الا ما
جلب اليها من الاقطار حتى ان اعظم حلى نسآئهم كما تقدم من
انواع الاحجار فهم جديرون ان يكونوا بمعزل عن المعاملة بالفضة
والنضار لكن لما وطئت بلادهم التجار وتمصرت بالمتاجر فيها
الامصار احتالوا الى سكة بها يتعاملون ويشترون بها ما يشتهون
فانقسموا في ذلك اقساما واذهب كل قسم منهم بما اصطلح

عليه من المعاملة اولا اما فاولها الفاشر وهو مقر السلطنة وتخت
المملكة جعلوا من القصدير خواتيم يشترون بها ما يحتاجونه
من لحم ودجاج وطيب وحطب وخضراوات وغير ذلك وتسمى
بالفوراوية تارنيه وهي على قسمين غليظة وتسمى تارنيه تونقانية
ورفيعة وتسمى تارنيه بيّيا يتعاملون بها في سفاسف امورهم كما
ذكرنا والامور المهمة يتعاملون فيها بالتكاكي جمع تُكّيه وهي شقة
من غزل قطن طولها عشرة اذرع وعرضها ذراع وهي على نوعين
شيكّه وهو منسوج خفيف غير مندمج وكُنْكات ومنسوجها
ثقيل مندمج فمن الاول كل اربع تكاكي بريال فرانسا ومن الثاني كل
اثنين ونصف بريال فرانسه وما عدا ذلك فبيعهم كله استبدال
الشي بشي والامور العظام عندهم تباع بالرقيق فيقال هذا الفرس
بسداسيين او بثلاثة سداسيا والسداسي عندهم العبد الذي
اذا قيس بالشبر من كعبه الى شحمة اذنه كان طوله ستة اشبار
والسداسية كذلك وقيمة السداسي من التكاكي ثلاثون تُكّيه ومن
الشمواتر الزرق ستة والبيض ثمانية ومن البقر ستة ومن الريالات
فرانسا عشرة ريالات وكل انسان يشتري بما عنده ولا يعرفون
المحبوب ولا القرش ولا الفرانك ولا الخيرية ولا شي من معاملات

اهل

اهل المدن سوى الريال الفرانسا المسمى عندهم ابامدفع واما
اهل كوبية وكبكابية وصرف الدجاج فانهم يتعاملون بالخرش
وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع منه اخضر ومنه ازرق يعمل
سبحا كل سبحة مائة حبة وقد قدمنا الشرح عليه في حلى النساء
وزينتهن فيتعاملون به في سفاسف الامور عوضا عن التارنية
في الفاشر ومن العجايب ان التارنية في هذه الاسواق الثلاثة
لا تسقى شربة ماء بل المعاملة بالخرش من خمسة حبات الى
مائة ومن سبحة الى عشرة الى ما لا نهاية له وقيمة التكية عندهم
ثمان سبح وبقية الاحوال كالفاشر واما قرلي وما ولاها فيتعاملون
بالفلقو وهو ملح صناعي مستخرج ترابا من الارض ويصبون
عليه الماء على غالب ظني لرسوب الاوساخ والاتربة ويصفى
ويقطرون ماء لتقصير هذا الماء ويتلقون المقطر منه في قوالب
كالاصابع فيجمد بعد برودته ويصير كالاصابع وقد شاهدت
محال استخراج هذا الملح ورايت اواني التقطير ويشابهون
البرام الافرنجية ولا نعلم من اوصل هذه الصناعة اليهم واهل
البلد لا يعلمون ايضا بل قصارى امرهم اذا سئلوا وقال لهم قائل
من علمكم هذه الصناعة ان يقولوا شيء وجدنا اباءنا يفعلونه

ففعلناه ولا نعرف اول من صنعه ولقد عاملت بهذا الملح
واشتريته وله لذة عجيبة في طعمه تخالف لذة الملح الطبيعي
الا انه غير شفاف وفيه سمرة وانواع الملح في دارفور ثلاثة
زغاوي وهو ملح طبيعي يخرج من بئر الزغاوي وقد قدمنا ذكره
وميدوبي وهو ملح طبيعي ايضا الا انه لونه احمر كالدم وقد
يستخرج قطعا كبارا كالحجار الطاحون في العظم والاستدارة
وثقله لا يحمل الجمل منه الا حجرين وله طعم لذيذ اكثر من النوعين
الاخرين واغلا ثمنا منهما ولا نعلم ما سبب احمراره وبالجملة
فاغلا الاملاح الميدوبي واوسطها الفلقو وادناها الزغاوي
فاهل سوق قرلي وما والاها يتعاملون بالملح الفلقو في سفاسف
امورهم كالحرش في كوبية والتارنية في الفاشر ولا يباع عندهم الملح
بكيل ولا وزن بل بالاصابع فيباع هذا الشي بفلقوية بفلقوتين
بثلاثة فلقويات وهكذا وباقي امورهم كغيرهم واما سوق
كُسا فيتعاملون فيه بالدخان ويسمى بلغتهم تابا كما يسمونه
الافرنج وهذا الاتفاق من العجائب ولا خصوصية لاهل دارفور
بل جميع السودان يسمون الدخان تابا واما اهل فزان واهل
طرابلس المغرب فيسمونه تبغا وفي سنة ١٢٣٢ رايت قصيدة

لبعض

لبعض البكريين في حل شرب الدخان واظن تاريخ كتابتها في
وسط القرن التاسع من الهجرة يقول فيها

من الطويل

وقد اظهر الله القدير بمصرنا نباتا يسمى التبغ من غير مرية
بتاء مثناة وباء موحد وغين وضبط الغين فيها بفتحة

ومنها

شرحه

ومن يدعي التحريم جهلا فقل له باي دليل ام باية آية
وليس بها سكر ولا الله زمها فقولك بالتحريم من اي وجهة

ومنها

شرحه

فان تنتشق دخانها فتري الشفا فلا تنس باسم الله اول مصة
وقل بعد ذاك الحمد لله وحده لحمدك للمولى زيادة نعمة

انتهى وهذا التابا هو اقماع اهرامية الشكل مصنوعة من ورق
الدخان بعد دقه وهو اخضر في مهراس من خشب حتى يصير
كالعجين ويجعلونه اقماعا ويجففونها في الشمس وبعد جفافها
يبرزونها الى سوقهم ويتعاملون بها في نفايس امورهم وهذا
الدخان قوي الرايحة يكاد اذا شمه انسان ان ياخذه الدوار من
هذه الاقماع منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير فكبيرها كاكبر
الكمثرى وصغيرها كصغيرها واما كرنبو والريال والشعيرية

ففعلناه ولا نعرف اول من صنعه ولقد عاملت بهذا الملح
واشتريته وله لذة عجيبة في طعمه تخالف لذة الملح الطبيعي
الا انه غير شفاف وفيه سمرة وانواع الملح في دارفور ثلاثة
زغاوى وهو ملح طبيعي يخرج من بئر الزغاوى وقد قدمنا ذكره
وميدوبى وهو ملح طبيعي ايضا الا انه لونه احمر كالدم وقد
يستخرج قطعا كبارا كالحجار الطاحون في العظم والاستدارة
وثقله لا يحمل الجمل منه الا حجرين وله طعم لذيذ اكثر من النوعين
الاخرين واغلا ثمنا منهما ولا نعلم ما سبب احمراره وبالجملة
فاغلا الاملاح الميدوبى واوسطها الفلقو وادناها الزغاوى
فاهل سوق قرلى وما والاها يتعاملون بالملح الفلقو في سفاسف
امورهم كالحرش وكُوبَيْه والتارينه في الفاشر ولا يباع عندهم الملح
بكيل ولا وزن بل بالاصابع فيباع هذا الشي بفلقو به بفلقوتين
بثلاثة فلقويات وهكذا وباقي الامور كغيرهم واما سوق
كُسّا فيتعاملون فيه بالدخان ويسمى بلغتهم تابا كما يسمونه
الافرنج وهذا الاتفاق من العجائب ولا خصوصية لاهل دارفور
بل جميع السودان يسمون الدخان تابا واما اهل فزان واهل
طرابلس المغرب فيسمونه تبغا وفي سنة ١٢٣٢ رايت قصيدة

لبعض

لبعض البكريين في حل شرب الدخان واظن تاريخ كتابتها في
وسط القرن التاسع من الهجرة يقول فيها

من الطويل

وقد اظهر الله القدير بمصرنا نباتا يسمى التتن من غير مرية
بتاء مثناة وباء موحد وغين وضبط الغين فيها بفتحة

ومنها

شرحه

ومن يدعي التحريم جهلا فقل له باي دليل ام باية آية
وليس بها سكر ولا الله زمها فقولك بالتحريم من اي وجهة

ومنها

شرحه

فان تستنشق دخانها فتري الشفا فلا تنس باسم الله اول مصة
وقل بعد ذاك الحمد لله وحده لحمدك للمولى زيادة نعمة

انتهى وهذا التابا هو اقماع اهرامية الشكل مصنوعة من ورق
الدخان بعد دقه وهو اخضر في مهراس من خشب حتى يصير
كالعجين ويجعلونه اقماعا ويجففونها في الشمس وبعد جفافها
يبرزونها الى سوقهم ويتعاملون بها في نسفاسق امورهم وهذا
الدخان قوي الرايحة يكاد اذا شمه انسان ان ياخذه الدوار من
هذه الاقماع منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير فكبيرها كاكبر
الكمثري وصغيرها كصغيرها واما كريو والريال والشعيرية

فانهم يتعاملون فيها بالربط وهي ربط غزل من قطن طولها
عشرة اذرع وفيها عشرون فتلة لاغير فيتعاملون بالربط
في سفاسف امورهم ويتعاملون في الامور التافهة جدا بالقطن
كما يجتني من شجرته اي بغلافته التي خرج منها فيتعاملون بقطع
منه كاوقية واوقيتين وثلاث اواق على سبيل الحدس والتخمين
لا بالوزن والامور المهمة كما في الاسواق واما سوق تملية وما
والاها فمعاملتهم بالبصل يشترون به جميع امورهم التافهة
والقطن ايضا والربط وباقي امورهم بالتكاكي ولا يعرفون
الشواتر ولا الريالات واما سوق راس الفيل فبالحشاشات
وهي قطع من حديد مصنوع
صفايح ولها انبوبة وصورتها هكذا



فيدخلون في طرفها الانبوبي
قضيبا ويحرثون بها الزرع فتقطع الحشيش الذي في الزرع
ولذلك سميت الحشاشة فيتعاملون بها في سفاسف
امورهم وتافهها من حشاشة الى اثنين الى عشرين وما زاد
على ذلك فبالتكاكي والشواتر كما في الاسواق واما تمورك
فمعاملتهم بدمالج النحاس وهي في مهمات امورهم وبالخدور في

سفاسف

سفاسف امورهم وقد تقدم تعريف الدمالج والخذّور فى حلى
النسآء فلا اعادة واما اهل القوز فيتعاملون بالدخن فى
سفاسف امورهم كلها كقبضة وحفنة وحفنتين الى نصف
مدّ الى مد وباقى امورهم المهمة بالتكاكى والريالات كباقى الاسواق
واكثر ما يتعاملون به البقر فيقولون هذا الفرس بعشر بقرات
او بعشرين فانظر ايها المتامل الى اهل مملكة واحدة كيف تنوعت
معاملاتها واختلفت احوالها فترى هولآء يرون شيا حسنا
وهولآء يرونه قبيحا والملك لا يحكم عليهم باجراء معاملة واحدة
فى جميع الاسواق بل ابقى كل قوم على ما اعتادوا فسبحان الفعال
لما يريد ولنمسك عنان القلم عن الركض فى ميدان المعاملات
لان ما ذكرناه فيه كفاية فى الاعتبارات

باب فى ما ينبت فى دارفور من النبات وفى السحر والتعزيم وضرب الرمل وغير ذلك

اعلم ان الغنى عن المتى والاين والكيف والمنزه عن الجور والظلم
والحيف قسم الاشيا وعدّلها وانزل كلا منها منزلها فجعل
فى البلاد الشمالية البرد الشديد وفى الجنوبية الحر الذى ما
عليه من مزيد لكن لرحمته بعباده منّ على اهل الشمال بالدفء

بالملابس وبالاكنات التي لا يبرد فيها المجالس ونظر لاهل الجنوب
بعين الاسعاف والتلطيف فجعل المطر ينزل عليهم وقت اشتداد
الصيف ولما كانت ارض الفور من هذا القبيل وفي وقت الصيف
يشتد فيها الغليل كان مدرار الوبل مطفيا لوهج ذلك الحرور
لطفا من العزيز الغفور فيزرعون على مطر الصيف ويسمون
ذلك الفصل بالخريف فلذلك على ظني لا يزرعون برا ولا شعيرا
ولا فولا ولا عدسا ولا حمصا ولا ينبت عندهم المشمش ولا
الخوخ ولا التفاح ولا الرمان ولا الزيتون ولا البرقوق ولا
الكمثرى ولا الترنج ولا الليمون الحلو ولا البرتقان ولا اللوز
ولا البندق ولا الفستق ولا الجوز ولا الزعرور ونحو ذلك بل
يزرعون الدُخْن وهو حب صغير اصفر منه يقتاتون
هم ودوابهم ومواشيهم فهو الغذاء الرئيس عندهم ويزرعون
الذُرَة على اختلاف انواعه ويسمى عندهم المَارِيْق وهو انواع
فنوع منه يسمى العَزِير وهو الذرة الحمرا ونوع يسمى أبا
شَلُوْلُو وهو الذرة البيضا ونوع يسمى أبا أباظ وهو الذرة
المعروفة في مصر بالذرة الشامي ولا يزرع القمح عندهم الا في
جبل مُرّة لكثرة الامطار فيه او في كوبيه وكبكابية ويسقونه من

بالابار حتى يتم نضجه كما تقدم ذلك **والدُخن** عندهم نوعان نوع
يسمى دِنبي وهو ما يزرعه اعجام الفور في الجبال وغيرها وهو
حب كالدخن المعتاد الا انه يميل الى البياض وسنبلُه اغلظ منه
وينضج زرعه قبله بنحو عشرين يوما وهو قليل في سهل دار
فور ولا يالفونه كالدخن الاصفر واما انواع الذرة فلا يالفون
منها الا الابيض ومع أُلفتهم له لا يكثرون من تناوله واما ابو
اباط فيزرعون منه قليلا للشهوة فياكلونه مشويا ولا يخزنون
منه حبا واما **العَزير** فهو مبغوض عندهم لا ياكله الا الفقرا عند
الاضطرار وينبت عندهم في البرك والغدران **ارز** ينبت بدون
زارع فيجمعون منه ما قدروا عليه في ايام الربيع فيطبخونه
باللبن من قبيل الترفّه وعندهم نوع اخر يقرب من الارز وليس بارز
ويسمى **بالدِفْرة** وهو حب صغير اصغر من حب الارز وفيه بعض
فرطحة شديد البياض يالفونه اكثر من الارز ويزرعون من
السمسم شيا كثيرا ومن العجب انهم لا ينتفعون منه
بزيت بل ياكلونه حبا ويطبخون منه في اطعمتهم كما ان العسل
النحلي كثير عندهم ولا ينتفعون بشمعه بل ياخذون العسل
ويرمون الشمع وهم احوج الانام اليه والى زيت السمسم لانهم

يستصبحون في بيوتهم بالحطب ومع كثرة الحطب عندهم لا
يفحمون منه فحما ينفعهم ولا يعرفونه ويزرعون **اللوبيا**
والبطيخ مع الدخن سواء فاما اللوبيا فهي كاللوبيا بارض مصر
الا انها اكبر لانها عندهم تقرب من حب الفول المصري واما
البطيخ فاكثره صغير الحجم كالبطيخ الذي يكون في اخر فصل البطيخ
في المقثاة واذا كسر يكون غير نضيج لكن الذي في دار الفور مع
صغره نضيج ولهم في البطيخ ثلاثة منافع الاولى انهم ياكلون
منه حال نضجه كما ناكل بطيخنا ويشربون ماءه كذلك الثانية
انهم ياخذون البطيخة وينزعون قشرها بالسكين ثم يقطعونها
اربع قطع ويتركونها حتى تجف فيخزنون منه من هذا القبيل شيا
كثيرا وفي وقت الاحتياج يدقونه في مهراس من خشب
حتى يصير دقيقا فيعملون منه حسوًا يشرب وتسمى عندهم
مديدة وهي المسماة بعرف الأوروبا بالكريمة وربما اكلوا منه
بغير دق ولا طبخ الثالثة انهم يجمعون من البزر شيا كثيرا
ويخزنونه ويدقونه وقت الاحتياج وينسفون قشره
وياخذون اللب فيطبخونه في أدمهم او يعملون منه الكريمة
ايضا ويزرعون **البصل والثوم والفلفل** وهو حب

صغير

والكُسْبَرة وحب الرشاد في كوبيه وكبكابية وفي اودية
جبال الفور كما تقدم ويزرعون القرع بانواعه ويزرعون نوعا
من القثاء وفي كوبيه وكبكابية يزرعون الخيار والفقوس
الطويل والباذنجان والملوخية والبامية وغيرها لا
وهناك واد بين البلد المسماة بمَرْبُوطَة والفاشر يسمى وادي
الكُوع يفيض وقت الخريف من كثرة الامطار فلا يعبره الا من يعرف
السباحة وفيه تيار شديد فاذا فاض هذا الوادي وطفا الماء على
شاطئيه ثم نضب ينبت فيه من البامية شيء كثير فيهرعون
اليه من الجهات القريبة له ويجمعون تلك البامية ويجففونها
ويدّخرونها لأُدمهم العام كلّها وهذا الوادي يشق دارفور بالعرض
من اولها الى اخرها ونشاؤه من جبال مرة وعلى شاطئيه سياج
من شجر السنط واذا فاض يعم من كل جهة من جهتيه ما
ينوف عن فرسخين الا في بعض المحال ضايقته الرمال وسعته
في بعض المحال كخليج مصر وفي بعضها اوسع بمرتين يسافر
المسافر على شاطيه نحو خمسة عشر يوما وانما ذكرت انه
بين مربوطة والفاشر لاني مررت به كثيرا من هناك والا فهو ممتد
كما ذكرت ويزرعون فولا قرونه تكون تحت التراب ولجنس

كالفول المسمى في مصر السنارى الآن لان ذلك فيه الوان عجيبة
من احمر ناصع واصفر وابيض وبنى كما تقدم ذلك واما الاشجار
فليس عندهم من الاشجار المعروفة الا النخل وهو فى كوبيه وكبكابيه
وسرف الدجاج ونمليه كما تقدم ذلك فى التكلم على جبل مرة وفى نمليه
بعض شجر من الموز وفى قرلى شجرات من الليمون الحامض وبقية
الاشجار الموجودة هناك كلها نابتة طبيعة فى الخلآء فاعظمها منفعة
الهجليج وله نوعان الهجليج الاصفر والهجليج الاحمر وذلك بحسب
لون ثمرها وهذا التمر كالبسر الغليط والهجليج شجر يعظم كما يعظم
الجميز فى ارض مصر اوراقه بيضية قليلا وله ثمر حلو الطعم ببعض
مرارة وله رائحة خاصة به ولهذا التمر غلاف يكون عليه وهو قشرة
ليست بالغليظة ولا بالرفيعة فينزعونها ويمصون التمر مصا لانه
خشب مكسو بشئ كالطلاء يمتص ويبل بالمآء فاذا ذهب صار
الخشب اى نواه ابيض وهو غلاف لشئ كالصنوبر هيئة وبياضا
وهو بزر الا انه اكبر منه حجما لكنه مر الطعم فيعطنونه فى المآء نحو
ثلاثة ايام ويغيرون ماءه فى كل يوم فتذهب مرارته وح بعضهم
يملحه بالملح وبعضهم يقلوه وبعضهم يطبخه بالعسل واذا كان
مملوحا كان طعمه كطعم اللوز المملوح وهناك نوع ثانى من الهجليج

وهو

وهو الهليلج الاحمر فياخذون لبّه بعد نضجه ويضيفون عليه الصمغ
ويعجنونه به فيصير حلواً مراً لذيذاً وعلى الاطلاق ياكلون ثمر الهليلج
على كيفيات مختلفة ولشجر الهليلج هذا منافع لا توجد عندهم في
غيره من الاشجار لا يرمون منه شيا بل ينتفعون بجميع اجزائه فاما
ورق فانهم يطبخون الطري الغض منه في ادمهم واذا كان بانسان
جراح فيه دود يمضغون من هذه الورق حتى يصير كالعجين ويحشونه
في الجرح فينتقي من الدود وينظف من اللحم النتن وياخذ في البرء واذا
أُخذ ثمر الهليلج وهو اخضر وهرس في مهراس حتى صار كالعجين نفع
كالصابون في غسل الثياب فان له رغوة كالصابون يُنقي الاوساخ
وينظف الثياب المغسولة به الا انه يصفّرها قليلا واذا لم يكن
وقت الثمر توخذ جذور الشجرة وتدق ويغسل بها فتفعل ذلك
وخشبه يستصبح به في البيوت بالليل عوضا عن السراج لانه لا
دخان له ومن خشبه تعمل الواح القرآءة ومن رماده يعمل الكَنْبو
وهو ملح سائل يوخذ من الرماد المذكور ويطبخ به الا ان به مرارا
وذلك عند اعوازهم للملح لقلته وغلوه والنَبِق وهو نوعان
عربي وكَرْنو والثاني اكبر حجما من الاول واكثر لحما ويخالفه في اللون
فان النبق المعتاد العربي اذا نضج احمر لونه والكرنو اذا نضج اصفر

وهذا انفع من الاول ومن منافعه ان الثمر بحبينه يمسك اطلاق
البطن وقبل ما يُدَق ويعجن ينحت جلدته الظاهرة ثم يعملون
منه اقراصا ويجففونها وياكلونها واذا كسر نواه يوجد فيه
بزرتان في مسكنين والعرب ياخذون هذا البزر الصغير ويجففونه
في الشمس ثم يطبخونه بالعسل فيصير لذيذا ويبيعونه في دار
الفور ويسمى كَنْيكَنِيا فيوكل كالحلوى واذا مضغ من به دود القرح
من ورق النبق الكرنو وازدرد ريقه قتل دود القرح واخرجه ميتا
والتَبَلدي وهو شجر عظيم ضخم اجوف الجذع ينبت في الفيافي
واهل البادية اذا اشتد بهم العطش في غير وقت الامطار ياتون
الى التبلدي فيجدون في تجويفه مآء مجتمعا من المطر فيشربون منه
ويذهب أُوامهم ولهذا الشجر ثمر مستطيل كبير كالالواز وفي باطنه
بزر احمر كحب الترمس في الحجم وكبزر الخَرّوب في اللون الا انه فيه
دقيق ابيض حامض الطعم يستفّ منه فيوجد مرا والاستفاف
منه على الريق يقبض اطلاق البطن وتعمل منه الكريمة مع الدقيق
فتصير لذيذة وشجر الدُلَب وهو المسمى في عرف مصر بالجوز
الهندي الا ان هذا الشجر لا يوجد في جميع دارفور بل لا يوجد الا في
الجهة الجنوبية منها ويسمى في عرف الفور بالدَلَيْب وهو شجر

طوال

طوال كالنخل او اطول وينتج جوزا كبيرا اذا كسر غلافه وجد ما فى
باطنه فى غاية اللذة لاسيما قبل تمام نضجه فانه يكون كاللبن
مع الحلاوة واللذة ومن اشجارهم الحُنَيض وهو شجر شايك
كاضخم ما يكون وله ثمر كالتفاح الكبير الا ان له عجما وفيه حموضة
لذيذة ولونه ابيض يميل الى الصفرة ومن اشجارهم الدَوم وهو
شجر معروف فى صعيد مصر ويسمى بالمُقْل ايضا ومن اشجارهم
العَنْدُرَاب وهو شجر متوسط فى الطول والغلظ يحمل
ثمرا اشبه بعنب الذئب الا انه احمر قانى الحمرة ولا عجم فيه
وهذا الثمر حلو الطعم جدا ينضج فى اول فصل الدَرَت اى الربيع
بلغتهم وهو اول فصل الخريف عندنا ومن اشجارهم القِلَّيْم
وهو شجر اشبه شجر الرمان يحمل ثمرا صغيرا اذا فلقتين عليه جلدة
حمرا ناصعة الحمرة فى غاية الحلاوة وعجمه كبير ولا اجد له شبيها
فى فواكهنا امثله به ومن اشجارهم شجر المُخَيْط وهو شجر صغير
يحمل ثمرا كالنبق فيه مرار فيوخذ وينقع فى الماء اياما فتذهب
مرارته فيرش عليه الملح ويطبخ ويوكل ومن الناس من يجففه بعد
النقع ويسحقه حتى يصير دقيقا وتعمل منه عصيدة وهذا الفعل
خاص بايام الغلاء واشتداد الكرب ومن اشجارهم اللولو وهو

شجر يقرب من شجر الجوز المسمى بعين الجمل يحمل ثمرا كثمر ابى فروة الا ان ثمر
ابى فروة فيه تفرطح وهذا كحب البندق لكنه اكبر من البندق فى
الحجم يساوى حجم ابى فروة وابو فروة هو المسمى فى بلاد الترك بالكستنا
وفى تونس بالقصطل ولهذا الثمر لب دسم ولا يوجد الا فى الجهة
الجنوبية فى اخر دار فور اى فى جهة بلاد الفرتيت واهل تلك الناحية
يعصرون منه زيتا ولقد رايته ووجدته اكثر شبها بالشيرج
فى الهيئة وبزيت الزيتون فى الطعم فيدهنون منه ويجعلونه
أُدْما فى اطعمتهم ويوجد **الخرّوب** و**الجمّيز** لكنهما رديئين لا
ينتفعان بشى ويزرعون **القُطْن** بنوعيه البلدى ويسمى عندهم
بالعربى والهندى ويسمى عندهم بلوى وينتفعون عنه اتم
المنافع لان منه كساوىهم وبه معاملتهم كما قدمنا ذلك فى باب
المعاملات واما الاشجار التى لا يوكل لها ثمر فكثيرة جدا تكاد ان لا
تدخل تحت حصر ولكن نذكر اشهرها وانفعها فنقول من
انفعها **العُشَر** وهو شجر قصير متعدد الفروع جذعه مكسو
بشى ابيض كالشحم اذا ضغط بين الاصابع يتفتت وورقه كبير واذا
كسر يخرج منه عصارة بيضا كاللبن وله ثمر كالكرة باطنه ممتلى
بشى كالزغب او الوبر يتطاير فى الهوا لخفته ولهذا الشجر منافع منها

ان

ان عصارته اذا وضعت على جلد حيوان ازالت شعره ويلحون
لحاءه فتوجد فيه خيوط رفيعة كالحرير فتجمع ويفتل منها خيوط
تنفع لخرز القرب ويفتل من اللحاء حبال فتنفع للربط والحمل
والوبر الذي في الثمر تسد به خروق القرب ومن عادتهم اذا سرقوا
حمارا او فرسا وارادوا تغيير شعر موضع منه يدهنون المحل الذي
يريدون تغييره بهذه العصارة فيذهب الشعر ويخلفه شعر
ابيض فيشتبه على اربابه لكن منهم من يعرف ذلك للاعتياد به
وخشبه خفيف كخشب القفل ورايتهم يسودون البارود بفحمه
وفي اسبتالية ابي زعبل شجرة منه وفي الصعيد كثير منه ايضا ومنها
شجر يسمى الحشاب وهو شجر ذو شوك ومنه يوخذ الصمغ
العربي ولقد رايته واجتنيت منه الصمغ لينا يمتد كالعلك
وينبت في الاماكن المعطشة الرملية ومنها السنط
وهو شجر القرظ وهو شايك ضخم ومنها الطلح وهو من فصيلة
السنط والطلح شجر يعلو اكثر من قامة ولحاؤه احمر وله شوك
طويلة كالابر وورقه مركب من وريقات صغيرة والسيال شجر
طويل يعلو اكثر من قامة لكن اصغر من الطلح ولون قشره اخضر
يضرب الى البياض وله شوك ابيض واوراقه مركبة كل ورقة من

وريقات صغيرة ومنها الكِتِر وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة
وشوكه كالسنّارة وله صمغ يجتنى منه لكن صمغ الحشاب
اغلا واحسن منه ومنها اللؤُوت وهو شجر صغير ذو شوك
صغير وفروع كثيرة فيه اخضرار لا يفارقه وان جف اذا قشر
لحاؤه وتشم منه رايحة كريهة خاصة ومنها القَفَل وهو
شجر ليس بالكبير ولا بالصغير لكن اكثره ينبت في الجبال ومنها
الحَرَاز وهو شجر هائل الضخم والكبر ذو شوك يعظم جذعه حتى
لا يعتنقه الرجلان اذا مدا باعيهما ظله ظليل حتى ان منه
ما يجلس في ظله مائة رجل واكثر وبالجملة فالاشجار التي لا يوكل
لها ثمر تنفع في امور أُخَر فانهم يقطعون منها الاخشاب
لبيوتهم اما السنط فقَرَظُه للدباغ وشعبه الطويلة عمد لبيوتهم
واما اللؤُوت فلحاؤه يربطون به سقف البيوت وفروعه يجعلونها
في السقوف وفي الصريف والصريف عندهم عوض عن الحايط عندنا
واما الكِتِر والحَشَاب فياخذون منها الصمغ واحيانا يقطعون
شوكهما يجعلون منه الزرايب لمواشيهم ولبيوتهم لان لكل بيت
زريبة غالبا وهي كناية عن السور وصريفا وهو كناية عن الحايط
والبيوت في الوسط اشبه شي بالخيم والطوزلك المضروب حولها

والبيوت

والبيوت إما من قصب الدخن أو من قصب رفيع يسمى المرهبيب والثاني لا يعمل إلا للأغنياء وأكابر الدولة وهو قصب ناعم قليل الكعوب رفيع كالسمار أبيض يميل إلى الصفرة ذكي الرائحة خصوصا بعد نزول المطر واعلم أن النبات في بلاد السودان كثير لا يحصى أفراده العد ولا يوقف له على نهاية ولا حد ولا أعرف منه إلا ما اشتهر وذاع وملأت شهرته البقاع لأني كنت إذ ذاك في سن الشباب والجهل سابل علي جلباب لكن لكثرة مخالطتي بهم وأسفاري معهم عرفت ما عرفته بالاسم ولا أقدر أن أميزه تميزا كليا فمنه شجر النشاو وهو شجر كبير وصغير وصغيره أكثر من كبيره وهذا الصغير أطول من القامة وقشوره خضر بالنسبة للكبير لأن قشرة كبيرة مغبرة أعني أن لونها أغبر وهو اللون الذي يقرب للبياض وليس أبيض ناصعا ويحمل في إبان حمله عناقيد تأكل منها أهل السودان وهذه العناقيد فيها حب كأصغر العنب ما نضج منه يكون أسود وما قرب للنضج يكون أحمر وما لم يقرب منه يكون أخضر وطعمه حلو فيه بعض حرافة وورقه يغلب على ظني أنه بيضي أو يقرب من أن يكون بيضيا أخضر الظاهر والباطن والبطو هو شجر كبير هائل المنظر أغبر اللون غليظ

الساق صلب الخشب اوراقه صغيرة بيضية في حوافيها تسنن
وترى قشرة النبات من اسفل مشققة تشقق غير منتظم
وثمره كثمر الشاو وعناقيده ايضا الا ان هذا الحبه اذناب طويله
ولا يوكل ثمره وهو اصغر من ثمر الشاو وتعلو ساقه اكثر من
قامتين ويتفرع فروعا كثيرة واما الأبنوس فهو شجر متوسط
وقشرته خضرا داكنة والابنوس قلبه فاذا نحيت القشرة
انكشفت عن عود اسود الا انه يكون سواده خفيفا وهو
اخضر فكلما يبس ازداد سوادا واحسن الابنوس ما اخذ من
الجذور وهذا النبات لا يوجد في دار الفور وانما يجلب من دار
الفرتيت اليها والجُوخَان او الجُوغَان كذلك الا ان الجوخان
له ثمر كالبندق في الحجم حلو الطعم فيه بعض يبوسة كالغضروف
واما الججع فهو شجر متوسط ايضا ولون ساقه يميل الى
الحمرة وفروعه ليست كثيرة التفرع وفيه شوك طويل واذناب
اوراقه قصيرة فربما ظن انها ملتصقة بالفروع لقصر اذنابها
وهذه الاوراق مستديرة مسننة تسننا غائرا وثمره كثمر
الزعرور وفيه مساكن الا انه غضروفي لو فيه خشبية واغلب
ظني ان في كل ثمرة اربعة مساكن بينها حواجز واما دار فرتيت وهم

مجوس

بحوس السودان المحاذون لجنوب دار فور فينبت فيها القنا
ومنها يصنعون اعواد حرابهم واكثر اعواد حراب اهل الدولة في
دار فور من القنا وهو جميل جدا ويجلب من دار فرتيت واما النباتات
التي فيها الخواص فمنها شجرة كِيلِي وهي شجرة متوسطة لا شوك
فيها تثمر ثمرا كالزعرور الا انه خشبي يوخذ الثمر وينقع في الماء ويسقى
المتهوم ولون هذا الثمر كلون الرمان الحامض اذا جف والشَعْلوب
وهو شجر نصف خشبي كثير الفروع لينها ورفيعها تمتد فروعه
وتشتبك ببعضها متراكمة حتى تصير الشجرة وحدها كالاكمة
وله ثمر كالبلح الكبير الاخضر ولا عجم ولا نوى فيه وفيه عصارة
لبنية تبعض لزوجة لطعمه بعض حلاوة ابتداء وحرافة انتهاء
اخضر لا يفارقه لون الخضرة ولو جف اذا مضغه شارب
الخمر ازال ريحتها وقد تقدم ذلك ومنها دَقَرَة وهو نبات
حشيشي ينبت في الاراضي الصلبة اوراقه رقيقة فيها نوع
استدارة اذا دق الورق في هاون وعصر ماؤه في العين الرمدا
المتورمة بالتهاب حاد ثلاثة ايام صباحا ومساء ابراه ولقد
كنت في سوق نُمْلَيه في غير روية الجبل ومسكت بيدي الفلفل
وصرت اعبث به ثم هبت ريح فقذيت عيناي فدعكتهما

بيدى ونسيت امر الفلفل فنالتُ الما عظيما والتهبا فى الحال
وورما فركبت وسافرت فلم اقدر على الركوب من شدة الالم
فدخلت فى بلدة وبت عند امراة عجوز فيها فلم اكتحل بنوم
وانقلب الجفنان وغلظا حتى خشيت على عينى من العما وصرت
لا اعرف ما ينقذنى من ذلك فلما اصبح الصباح جائتنى عجوز ونظرت
عينى وتوجعت لى ثم قالت هذا امر سهل ثم دعت بابنة لها
صغيرة تكاد ان تكون ابنة سبع سنين او ثمانية وقالت لها
بلغة الفور اذهبى الى اسفل الجبل وائتينى باوراق من النبات المسمى
دقرة فذهبت الصبية وغابت قليلا ثم جاءت ومعها اوراق
كثيرة فاخذتها العجوز ودقت بعضها بين حجرين حتى صار
كالعجين وامرت بفتح عينى ومسك يدى ثم عصرت فى عينى من
عصارة النبات المذكور فنزل فى عينى باردا ثم ابتدا ياكل بغير الم
حتى كان فى عينى دود واريد ان ادعكها بيدى فلا استطيع للضبط
على فعانيت من ذلك مشقة حتى اضمحل الاكلان وجاءنى النوم
فنمت واستغرقت فى نومى مدة عظيمة فلم افق الا قرب
العصر فاحسست فى عينى خفة وذهب الالم ولما كان من
الليل جاءت وعصرت لى من تلك العصارة وبت بانعم ليلة وفى

الصباح

الصباح عصرت لي منها ايضا فانفتحت عيناي وكاني لم ارمد
بهما فذبحت اذ ذاك كبشا سمينا وليمة للشفاء واعطيت
العجوز جديا سمينا وغالب النبات والشجر يثمر في اخر زمن الخريف
وهو الصيف عندنا لانهم يسمون صيفنا خريفا وخريفنا دَرَتاً
وفي عرفهم يعنون به الربيع وربيعنا صيفا ولم يوافقونا الا في
الشتآء فان الشتاء عندهم هو الشتاء عندنا وفي الصيف
الحقيقي تُمطر السمآء عندهم ويزرعون لان اول سقوط المطر
عندهم في الجوزاء ويسمونه الرُشَاش وفي السرطان تنفتح
عزالي السحاب ويكثر المطر وتمتلاء الاودية وبذلك تعلم سبب
زيادة النيل المبارك ومما يوكد ان كثرة الامطار عند اهل السودان
هي السبب في كثرة نيل مصر ما وقع من الاتفاق ان سنة ١٢٥٣
هجرية وقع في مصر غلاء عظيم حتى ابيع الاردب من القمح بمائة
وخمسين غرشا بل اكثر وسببه عدم فيضان النيل كعادته
وكنت متشككا هل وقع ذلك بارض السودان ام لا وبقيت
على الشك الى سنة ١٢٥٧ فجاء القاضي الدليل قاضي القضاة
بمملكة الوادآي فاخبرني انه في تلك السنة قل القطر حتى اجدبت
الارض وغلت الاقوات واكلت الناس الجيف والكلاب وهو

اتفاق عجيب ادل دليل على ان زيادة بحر النيل من امطار تلك البلاد
ولله فى ذلك حكمة لا يعلمها الا هو وفى وقت الرشاش يكثر
هبوب الرياح والموتفكات واكثر مجيئها فى اوقات العصر واذا هبت
ترى من بعد كالسحاب فتارة تكون حمرا وقد سدت الافق من
الجهة التى تاتى منها وغالب الموتفكات تاتى من قبل المشرق ونادرا
ان تاتى من الجنوب وفى مجيئها من الشرق تحمل رملا كثيرا من القوز
الذى تمر عليه وكل موتفكة تلتوى بمعية مطر لان قبل ذهابها يرعد
الرعد وبعد الرشاش ينزل المطر برعد قوى حتى انه ربما نزلت منه
صواعق فضرت ولقد رايت صاعقة نزلت على شجرة هجليج
فكسرت منها فرعا عظيما وساخت فى الارض واخرى نزلت
على بيت فدخلت نار من خلال البيت واصابت رجلا فاحرقت
ذراعه وساخت فى الارض وسمعت منهم ان من كان معه
حديد لا تقربه الصاعقة وهذا خلاف راى الافرنج وفى فصل صيفهم
الذى نسميه ربيعا تكثر الزوابع والسراب فى الارض ولا اعلم ارضا
يكثر فيها الزوابع والسراب كارض السودان واحسن المطر عندهم
واهناه ما يقع بالليل والناس نيام وهو وان كان يحصل فيه رعد
الا انه لا يضر كما يضر الرعد الذى ياتى بالنهار ويكثر قوس قزح

عندهم

عندهم في وقت نزول المطر حتى انه يكون في الساعة الواحدة
في اربعة محال او خمسة منها ما يكون كالقوس ومنها ما يكون
على خط مستقيم وهو قليل واكثره يكون على خط منحني والرشاش
عندهم نحو خمسة عشر يوما وفيه يزرعون الدخن والذرة بانواعه
واطول الخريف عندهم ستون يوما غير ايام الرشاش او سطه
ستون يوما بايام الرشاش واقله لا حد له واغلبه ان يكون
خمسة واربعين او خمسين يوما واقل من ذلك قحط وجدب فهو
كالعدم الا ان جاءت في تلك المدة امطار غزيرة روت الارض ريا
عظيما خصوصا عند آخر الفصل وختام الزرع واذا طالت مدة
الخريف وكثرت امطاره سموه خريف التيمان واسماء الشهور
في بلاد الفور والواداي بالعربية فلا يعرفون الاشهر الرومية
ولا القبطية ولا الاعجمية فاهل العلم منهم يسمونها كما سمتها
العرب قديما بالاسماء المشهورة الآن كمحرم وصفر وربيع الخ واما
عوام الناس فيسمون الشهور باسماء اخر وهذه الاسماء وان
كان معناها عربيا لكنها مستهجنة ويبدؤن في حساب
السنة بشوال لكن باسم اخر فيسمون شوال ابا الفطر وذي
القعدة فطرين وذي الحجة بالضحية ومحرما بالضحيتين

وصفر بالوحيذ وربيعا الاول بالكرامة وربيعا الثانى بالتوم وجمادى الاول بالتومتين وجمادى الثانى بسابق التيمات ولم يسلم من التغيير الارجب ورمضان فيقولون رجبا ويسمون بشعبان القصير ورمضان رمضان انتهى وبالجملة فخواص النبات فى دارفور عجيبة حتى انى لخشى ان ذكرتها يكذبونى ولا اجد لى شاهدا على ذلك واكثر الخواص فى الجذور وهناك معلمون نباتيون لهم تلامذة عديدة اكثر اوقاتهم مسافرون يصعدون اعالى الجبال ويتخللون بطون الاودية يحفرون على النبات ويعلمون تلامذتهم وهولآء القوم يسمون بالمغراقيين ولهم فى دارفور شنآن ولهم معاندة مع بعضهم كل منهم يريد ان يرتفع صيته وجميع الجذور التى ياخذونها يضعونها فى قرون الغنم بل وفى قرون البقر وهى على انواع منها ماهو للمحبة والقبول والجذور التى لذلك تسمى نارة وكان فى ايامنا اشهر الناس بها رجل يسمى بكرلوكو وكان مقره بجديد السيل وكان من عشق صبية وامتنعت عليه بغضا فيه ذهب الى بكرلوكو فاخذ منه نارة ودلك بها وجهه ويديه وذهب الى محبوبته ومسح بيده على كتفها او شئ من جسمها فوقع حبه فى قلبها بحيث لا تقدر تفارقه فيفعل بها ما يريد وان خطبها

وابا ابواها فرت معه حيث يريد وتزوجته قهراعنهما ومن كان
له حاجة بباب الملك وخشي ان لا تقضى وذهب الى بكرلوكو واخذ
منه قطعة من النارة وذلك بشي منها بين كفيه ومسح على وجهه
احبه الملك وقضى حاجته وان كان ضامرا له سوء واشتهر
بكرلوكو بهذا الامر حتى ان النسآء ليغنين به ويقلن

بكرلوكو أبا

بنتين بسدا

ومعناه ان بكرلوكو ان اراد ان يرخص مهور البنات يجعل الرجل
يتزوج بنتين بسداء واحد والسدا هو عشرة اذرع غزلا وقياما
ومما اتفق لي في ذلك انه في يوم من الايام جائني رجل معه نارة
يدعي انها عظيمة جدا وانه اخذها من بكرلوكو وعرضها علي للشرآء
فقلت له يا هذا انما يحتاج الى النارة من تبغضه النسآء وانا في
شبابي هذا وتيسير حالي لو اردت ابنة الملك لما تعذرت علي
فكيف بغيرها ويحتاج اليها من يخشى سطوة الملك وانا في
امن من ذلك لاني غريب وشريف ولي عند الملك حرمة فاعرضها
على غيري فهو اولى بها مني لاني انا في نفسي نارة فما اصنع بالنارة م
ومنها ما يستعمل للمضرة وهو على انواع نوع يستعمل لقتل العدو

وكيفية ذلك ان يوخذ الجذر الذي فيه خاصية القتل ويغرز في
ظل راس المراد فتتله ففي الحال يتاثر ويلتهب المخ ويبقى الشخص
لا يعي شيئا فان لم يتدارك سريعا بضد ما فعل له مات واذا
اريد ابطال عضو منه يغرز الجذر في ظل العضو المراد ابطاله كاليد
او الرجل ففي الحال يتالم العضو ويلتهب وينتفخ وربما حدثت فيه
غدة كغدة الطاعون وان لم يتدارك سريعا ينفتح وينتهي
بفقد احساس العصب وبطلان الوظايف كلها واذا اريد ان
يصاب بالدوار وبالقيء هناك جذور توضع على الجمر ويتلقى
دخانها ولو في كم الثوب ويطبق عليه طبقا جيدا ويتوجه
للشخص المقصود فيفتح كم الثوب ونحوه بقرب انفه فتسطع
رايحة دخان الجذر في انفه فيقع في الحال حتى تبقى رجلاه اعلا من
راسه فان لم يتدارك في الحال بقي كذلك اياما ومنها جذور
خاصيتها جلب النوم وهذه الجذور تستعملها السارقون
ويجعلها في قرون فيدخل السارق بالليل على المحل واهله
مستيقظون فيشير اليهم بالقرن الذي فيه الجذر ثلاث
مرات فيضرب الله على اذانهم فلا يعون شيأ فيدخل السارق
وياخذ ما يريد اخذه وربما ذبح الشاة وسلخها وشوا من

لحمها

لحمها واكل ووضع فى يد كل من ارباب المحل قطعة من الكبد ثم اخذ
ما اراد وخرج وبعد خروجه من الدار يفيقون ويسال بعضهم
بعضا عن الرجل الذى كانوا رأوه فكل منهم يقول رايته ولا ادرى ما
فعل فاذا بحثوا فى محلهم يرون انه ما ترك لهم شيا وقد فاز بما
اخذ فيعضّون اناملهم تلهّفًا وقد امتنع عليهم وبالجملة فهذا
الامر فى دار فور مشهور لا ينكر وكنت سالت عن تلك الخواص
استاذى الفقيه مذنى الفوتاوى اخا الفقيه مالك الذى تقدم ذكره
فاخبرنى ان الكتبَ المنزلة على ادم وشيث وابراهيم وغيره من
الانبياء دُفنت فى الارض وابنتَ اللهُ هذه النباتات فى المحل
الذى دُفنت فيه وانتشر بزرُها بهبوب الرياح فى الارض فعم
نباتُها وانتشر واستفيدت منها هذه الخواص بالتجربة
اقول وهذا نوع من انواع السحر وضرب من ضروبه ومنها نوع
يعمل بالكتابة والتعزيم على الاملاك العلوية والسفلية ومن
هذا النوع تظهر امور كثيرة خارقة للعادة لقد اخبرنى الثقة بدار
فور ان فى محاربة الخليفة للسلطان عبد الرحمن كان للخليفة عدة
رجال يقوّسون بالبندق فسحرهم جماعة السلطان حتى ان البارود
كان يخرج من البندق كالمبلول لا يسمع له صوت ورصاصه كان لا

يضرو بندق جماعة السلطان بعكسه فى الصوت والضرر
ومما وقع من هذا القبيل ان لما توفى السلطان عبد الرحمن
وولى ابنه السلطان محمد فضل مكانه ابى عليه اولاد السلاطين
كاولاد السلطان تيراب واولاد السلطان ابى القاسم واولاد
الخليفة واولاد السلطان عمر وخرجوا عن الطاعة وركبوا خيولهم
وخرجوا الى القرى وجيشوا جيشا عظيما فخشى الشيخ محمد
كرا من خلل يقع فى البلاد فدعى بالفقيه مالك الفوتاوى واعلمه
بما يخشاه من غائلة هذا الامر فضمن له ان ياتى بهم الى بين
يديه اذلاء فاخرج الشيخ محمد كرا جيشا لنظر الملك محمد دلدن
ابن عمة السلطان محمد فضل وذهب الفقيه مالك فعمل من
سحره ما عمل وكانت اولاد السلاطين فى محل بينه وبين الفاشر
مسيرة يومين فلما عمل فيهم السحر ركبوا خيولهم عند المسا خوفا
من الملك محمد دلدن ان يهجم عليهم بجيشه وارادوا البعد
فعموا عن الطريق وباتوا ليلتهم تلك سارين الى جهة الفاشر
والملك دلدن فى اثرهم فما اصبحوا الا وهم تحت الفاشر ولما اصبح
الصباح وراوا انفسهم بقرب الفاشر ندموا على سريانهم
وسمع بهم الشيخ محمد كرا فارسل لهم جيشا وحينما وصل الجيش

اليهم

اليهم اطبق عليهم جيش الملك محمد دلدن لانه فى اثرهم ولما صاروا
بين العسكرين انهزمت الناس الذين كانوا التفوا عليهم وبقيت
اولاد السلاطين فى نفر قليل فقبض عليهم الملك محمد دلدن وتوجه
بهم الى الشيخ محمد كرا فامر بهم الى السجن واكتفى شرهم وكان ذلك
من السحر ولولاه لجاسوا خلال دارفور وعاثوا فيها واتسع الخرق
على الراقع و المخصوص بالاعمال السحرية فى دارفور هم قبيلة الفُلَّان
ولقد رايت منهم رجلا يسمى الفقيه تمرّو بفتح المثناة الفوقية
وضم الميم واخره راء مشددة مضمومة يذكرون عنه امور
عجيبة ويفيضون ذكرها مع التصديق لها حتى بلغت هناك
مبلغ التواتر الذى يمتنع تكذيبه فمنها ما اخبرنى به الثقة من
فقهآء دارفور انه سافر مع الفقيه تمرّو المذكور من جديد كريو
الى الفاشر ورجع معه الى جديد كريو فقال لما كنا فى اثنآء الطريق
اشتد علينا حر الشمس وكان الفقيه تمرّو راكبا على جمل فاخذ
ملحفته وفردها ثم رجع وضمها بين يديه وقرا عليها بعض اسمآء
ثم قذفها الى اعلا فانفرد على راسه كانها ظلة وظللته هو وصاحبه
من حر الشمس كانها ممسوكة من اطرافها بين رجلين تتبعهما
اينما توجها كالمظلة وهذا الامر من اغرب ما يسمع واعجبه

ومنها بينما هما سائران في سفرهما ذاك اذ نزل عليهما المطر
فقال الفقيه تمرو لخادم كان معهما ائتني بقبضة من التراب
فناوله اياها فاخذها بيده وقرا عليها بعض كلمات ثم نثر التراب
حول راسه فانقشع السحاب وصار المطر ينزل عن يمينهما
ويسارهما وهما يمشيان في اليبس لا تنزل عليهما قطرة وممّا
بلغني ان المساليط اقتتلوا مع الفُلّان في بعض الاحيان وهزموهم
واقتفوا اثرهم ليستاصلوهم فعمل الفلان شيا من سحرهم
فسحروا اعين المساليط حتى انهم كانوا يرون اثر الذهاب معكوسًا
كانه اثر المجيء ولقد بلغني من شيخنا الفقيه مدني الفوتاوي
عليه سحائب الرحمة ان ملك البرنو كان له كاتب جليل القدر على
غاية من التقوى والصلاح فجاء اليه الوزير الاعظم وقال له ان الملك
يامرك ان تكتب كتابا لفلان مضمونه كذا وكذا فابى الكاتب عليه
وقال لا اكتب الا ان يقول لي السلطان بنفسه او يرسل لي
علامة تدل على صدق رسوله فذهب الوزير الى السلطان واخبره
بما قاله الكاتب فدعاه السلطان وقال له قد اذنتك ان كلما
قال لك وزيري هذا اكتب لكذا وكذا على لساني ان تكتب له
وكان الخاتم الذي يختم به الاوامر السلطانية مع الكاتب المذكور

فامتثل

فامتثل امره وصار يكتب له كلما اراد حتى انه جآء اليه يوم من الايام
وقال له ان الملك يامرك ان تكتب الى فلان الملك ان يتوجه الى
العامل فلان ويقتله ويستصفي امواله ويرسلها صحبة راسه
فكتب له ذلك والسلطان لا يعلم بشيء من ذلك فما راعه الا
وقد امتلأت البطحاء بالاموال والرقيق والبقر والابل والغنم
وراس شخص موضوعة على سن رمح فسال السلطان عن الخبر
فاخبر ان هذا راس فلان وهذا ماله وقد قُتِل حسبما امرتَ
فانكر السلطان ودعا بالكاتب وقال من امر بقتل فلان واستصفا
امواله فقال له انت فقال له في اي وقت امرتك بذلك قال في
الوقت الفلاني جآءني وزيرك فلان وقال لي اكتب الى فلان العامل
بالجهة الفلانية ان يتوجه الى فلان العامل بالجهة الفلانية
ويقطع راسه ويرسلها على رمح ويرسل امواله كلها فقال لي
لم آمُرهُ بذلك وكيف مع عقلك وحسن تدبيرك انك كتبت
له بغير استئذان مني فقال ايدك الله مولانا انك قد دعوتني
في اليوم الفلاني وقلت لي كلما قال لك وزيري هذا اكتب لكذا
اوكذا على لساني فاكتب له فامتثلت امرك من ذلك الوقت
وصرت اكتب له كلما امرني به فغضب السلطان وقال اني

لم آمرك ان تكتب له في مثل هذا الامر المهم بل امرتك ان تكتب
له في الامور التي لا ضرر فيها على الدولة أو مثل هذا الامر يكون بغير
استئذان فقال الكاتب ان مولانا لم يستثن امرا من الامور حين
امرني بطاعته فزاد غضب السلطان وامر بالقبض على الكاتب
فلم يقدر احد على القبض عليه وما ذاك الا انه كل من مد اليه يدا
ليقبض عليه تيبس فلا يقدر ان يثنيها وتصير كانها قطعة خشب
فلما راى السلطان ذلك قال له اعف عن هولاء فقال لا اعفو عنهم
الا ان اعفاني السلطان من الخدمة فاعفاه من الخدمة وعفا عنهم
هو ايضا فلانت ايديهم ورجعت كما كانت وهذا مصداق قوله
صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خاف منه كل شيء
ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء ه ومما ينخرط في سلك
هذه الاعاجيب ما شاع على السنة اهل دارفور من ان هناك
قبيلتين من رعايا الفور احداهما تسمى مسلاط والثانية تيموركه
يتشكلان باشكال الحيوانات لكن المشهور ان مسلاطا تتشكل
بشكل الضبع والهر والكلب واما تيموركه فتتشكل بشكل السبع
لا غير واعجب من ذا ان هذه القبيلة يقولون عنها ان الميت
منها يقوم بعد ثلاثة ايام من قبره ويتوجه الى بلد اخر ويتزوج بها

ويعيش

ويعيش زمنا ولقد اشيع على السنة اهل دار فوربان للسلطان
طائفة من هذه القبيلة يرسلها فى مهمات اموره وان لها ملكا
حاكما عليها ويبالغون فى هذه الطائفة حتى انهم يقولون انها
تتشكل بجميع انواع التشكلات حتى الرجل منهم اذا ضاق عليه
المجال وخاف من الضبط عليه يبقى ريحا ولقد ادركت حاكم هذه
الطائفة وكان يسمى على كَرْتَبْ وكان رجلا مسنا ضعيف الحركة
من فقرآء الجند لا يظهر عليه اثر الثروة ثم انه مات وولى ابنه مكانه
وكان شابا جسيما وخشن الخلقة لكن يظهر عليه اثر الثروة
وكان يركب العتاق من الخيل وله خدم وأُبَّهة فانعقدت بينى
وبينه صحبة وذهبت الى داره عدة مرار وكان يسمى عبد الله كرتب
فاتفق انى خلوت به فى بعض المرار وسالته عما تقول فيه الناس
من التشكل وانه يسافر مسيرة عشرة ايام فى برهة فشاغلنى
بكلام اخر ولم يفدنى بشىء فتركته فى ذلك الوقت وسالته ثانيا
فى وقت اخر فتبسم وقال سبحان الله ما كنت اظن انك تصدق
هذا القول ثم شاغلنى بغير ذلك حتى خرجت من عنده ثم انكر
معرفتى بعد ذلك وصار يمر علىّ ولا يلتفت لجهتى وتركته انا ايضا
لما رايت من تنكره ولا اعلم لذلك سببا سوى تكرار سواله فى

هذا الشان ولقد سافرت للغزو مع ملك من الملوك اسمه
عبد الكريم بن خميس عزمان وكان ابوه من اعظم وزرآء السلطان
ونقم عليه وابّد سجنه حتى مات وصار ولده خادما للدولة حتى
أُرسل للغزو في الفرتيت وكان لي عليه دين فذهبت معه
لاستوفاه منه فتوغلنا في بلاد الفرتيت مدة ثلاثة اشهر وكنا
في محل لا يوجد فيه شيء من البقول ولا الخضروات فدعاني ذات
يوم من الايام فلما دخلت عنده وجدت بصلا اخضر وفقّوسا
وكل منهما كانما اخذ من مَقْثأته الآن فسالته عنهما ومن اين وصلا
له فقال من دارفور فسالته عمن اتى له بهما وكيف بقيا طريّين مع
بعد المسافة سيما الفقوس فانه كان غضًّا بالكلية فقال قد
جيئ بهما في اقل زمن وانظر الى تاريخ هذا المكتوب فاخذت
المكتوب منه ونظرت اليه فاذا هو من بعض احبابه بدارفور وتاريخه
صبيحة ذلك اليوم فبهتُّ وصرت متعجبا من ذلك فلما راى
عجلتي قال لي لا تعجب فان معنا جماعةً من التيموركه وفيهم قوة
التشكل يذهبون الى ابعد محل في اقرب زمن فقلت اريد ان تريني
اناسا منهم فقال لك ذلك ثم لما قفلنا نريد دارفور ووصلنا اليها
بتنا بظاهر بلد من بلاد التيموركه نسيت اسمها ولما كان عند

الصبح

الصباح جآءنا اناس كثيرون يسلمون على الملك وانا جالس معه فرحب بهم واكرمهم وكسا رؤسائهم ثيابا حسنة ففرحوا بذلك ولما اردنا الرحيل قال رئيسهم إنا نوصيكم ان رايتم في طريقكم سباعا فلا تمسوها بسوء لان جميع ما ترونه من السباع في هذه الجهة منا فقال الملك اذ ذاك نحن نريد ان نسمع من بعض اصحابك الآن فقال سمعا وطاعة ثم ندب ثلاثة انفار منهم سماهم فقاموا وتوجهوا الى الخلآء فغابوا قليلا ثم سمعنا زئير اسد عظيم ازعج القلوب وافزع الدواب فقالوا هذا صوت فلان سموه ثم سكت وزءر اسد اخر يقرب منه ثلاث زءرات فقالوا هذا فلان ثم سكت وسمع بعد ذلك زئير اعظم من الزئيرين السابقين حتى كادت ان تنخلع القلوب لسماعه فقالوا هذا صوت فلان سموه واعظموا امره ثم بعد قليل جاءوا على هيئتهم الادمية وقبلوا يد الملك ففرح بهم واكرمهم وح كساهم ثيابا فاخرة وودعناهم وارتحلنا وح قال لي الملك هولآء الطائفة هم الذين اتونا بالبصل والفقوس ونحن في اخر دار فرتيت م ومما يلحق بهذه العجايب ما يقوله الرمالون حين يضربون تخت الرمل لانهم يقولون كلاما وقع للانسان لا يعلم به احد الا الله تعالى ويقولون على امور

تقع كانه يراها بعينه فمما دعانى الى صدق اقوالهم انى حين
اردت الانتقال من دارفور والسفر الى دار وداى كان فى البلدة التى
كنت فيها رجل يقال له سالم له صهر فى بلد اخر يقال له اسحاق
ماهر فى علم الرمل وكنت ضيق الصدر لتعسر امور السفر علىّ
فقال لى سالم المذكور هل لك فى ان تتوجه معى الى صهرى اسحاق يضرب
لك الرمل ويقول لك ما يظهر له فاجبته لذلك وتوجهت معه لبلدة
صهره المذكور فدخلناها ضحى فرايناه غايبا فى زرعه فصبرنا حتى
قدم فرحب بنا واكرمنا واتى لنا بغذاء حسن ثم قال له صهره سالم
ان الشريف قد جاء يلتمس منك ان تضرب له رملا فقال السمع
والطاعة وضرب الرمل وقال لى كلاما كنت اكذّبه فيه فوالله
لقد وقع جميع ما قاله وكانه تكلم من اللوح المحفوظ لم يخطئ
فى كلمة فمن ذلك انه قال لى انك ستذهب الى دار وداى عن
قريب بجميع اهل بيتك ما عدا امراة ابيك فانها لا تذهب
معك وكنت اكذبه واقول كيف لا تذهب مع انها احوج الناس
للذهاب فصدّق الله قوله فلم تذهب معنا وعملت علينا
حيلة وهى انها بقيت معنا حتى كانت ليلة الرحيل ففرت
وتركت ابنتها بنت سبع سنين فلما اصبحنا طلبناها فلم

نجد

نجد لها اثرا وسافرنا ولم نستقر لها على خبر ومن ذلك انه قال
لى ليلة قدومك على بيت ابيك ياتونك بجارية صفتها كذا وكذا
فوقع كما قال ومنها انه قال لى لا تجتمع بابيك فى دار ودّاى فكان
كذلك ولم اجتمع معه الا فى تونس ومنها انه قال لى ان بيت ابيك
حيطانه حمر كانها طليت بمُغْرَة فرايتها كذلك والمُغْرَة نوع حجر لونه
احمر هش يسحقونه ناعما فيطلى به البيوت ويصنعون به
ايضا الحبر الاحمر يخلط مع الصمغ فى الماء ومنها انه قال لى انك تركب
هناك جوادا اخضر فكان كذلك وقال لى ان السلطان ينعم عليك
بجوار وغيرها فكان كما ذكر ومن اعجب ما وقع حين كنا عنده جاته
نسوة يتخاصمن مع بعضهن ويريدن ان يضرب لهن رملا يظهر
به مالا ضائعا لتعلم كل منهن من اخذه فضرب الرمل وقال قد
ضاع لكن خرز احمر منظوم فى خيط وهو مخبّا فى رتاج البيت الفلانى
فقامت امراة واتت به من الرتاج المذكور كما قال لكن لم يقل من
الاخذة له منهن وله فى خط الرمل باع طويل ومن هذا القبيل
ما حدّثنى به عمى السيد احمد زرّوق ان والدى عليه سحائب
الرحمة والرضوان لما كان صحبة المرحوم السلطان محمد صابون
فى محاربة جبل تامه ضاع له جمل بازل وارسل العبيد والخدم ليفتشوا

عليه فذهبوا وغابوا طويلا ثم رجعوا بالخيبة فيئس المرحوم والذى
منه وكان من صحبه رجل يعرف خط الرمل فقال له بعض الحاضرين
انك رجل رمال فان كنت عارفا بيّن لنا الجمل باقى ام لا فضرب الخط
وقال ان الجمل هاهنا غير بعيد فقوموا وانظروه فى ابل جيرانـنا
فذهبت العبيد الى ابل الجيران فوجدوا الجمل باركا فى وسطها فعرفوه
وجاوا به الى محله وهذه غاية الاتقان فى علم الرمل ومن هذا
القبيل ايضا ما حكى لى بعض الاشراف فى دار وداى ان جماعة من
العلماء كانوا مجتمعين فى محل وفيهم من يعرف علم الرمل معرفة
خبير وفيهم من يدعيه فتذاكروا فى علم الرمل والذى يدعيه
يقول انا ضربت الرمل لفلان الملك ولفلان القايد واخبرتهما
بكذا وكذا فطلب منه احد الحاضرين ان يضرب له فضرب
وقال كلاما لا يغنى شيا فالتفت العارف الى الخط المضروب
وتامله ثم قال انى مبشرك انك فى غد تقبض من السلطان
ستين راس رقيق وكان الامر كما قال واذا انجر الكلام الى علم
الرمل فلنذكر منه نبذة يقف بها المتامل على ماهيته واشكاله
واسمائه والاشكال السعيدة والنحسة والمتوسطة
فنقول اما اشكاله فهى ستة عشر شكلا اولها الطريق

وصورته

وصورته هكذا

وهي جيدة لمن اراد السفر واجود منها لمن
يسال عن قدوم الغائب وردية لمن كان مريضا فانها تدل على
طريقه للقبر وثانيها الجماعة وصورتها هكذا

وهو شكل سعيد الا في المريض فانه
يدل على اجتماع الناس لجنازته وثالثها اللحيان

وصورته هكذا

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال ورابعها
النكيس وصورته هكذا

وهو شكل نحس في جميع الاحوال الا في
الحامل فانها تلد ذكرا وخامسها الإجتماع

وصورته هكذا

وهو شكل سعيد في جميع الاعمال الا في قبض
الدراهم وسادسها العُقلة وصورته هكذا

وهو شكل نحس الا في السوال عن الحامل
وسابعها العتبة الداخلة وصورتها هكذا

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال فمن

كان اول خطه هذا الشكل وثانيه ان كان مغموما زال غمه
وان كان مترقبا لمجي غائب قدم عليه سريعا وان كان معسرا
زال عسره وثامنها العتبة الخارجة وصورته
هكذا .... ⁘

وهو شكل نحس يدل على موت المريض
وتعطيل الحاجة واضطراب الامور وطلاق الزوجة وتاسعها
القبض الداخل وصورته هكذا .... ⁘

وهو شكل ممتزج يدل على قبض
الدراهم والظفر بالعدو ولكنه يدل على موت المريض
وحبس المطلوب للحاكم وعاشرها القبض الخارج
وصورته هكذا .... ⁘

وهو شكل يدل على عدم رجوع ما
خرج من اليد وذهاب الابق واباق الرقيق لكنه يدل على
الخلاص من الحبس وعلى السفر والانتقال من مكان
لاخر وحادي عشرها البياض وصورته
هكذا .... ⁘

وهو شكل جيد في كل الاحوال الا في

المريض

المريض فانه يدل على الكفن وثاني عشرها الحُمرة وصورته
هكذا ....

وهو شكل يدل على اهراق الدما وعلى
القبر للمريض لكنه سعيد للحامل فانها تلد ذكرا ويدل على
الثياب الحمر كما ان البياض يدل على الثياب البيض وثالث عشرها
الجَوْدَلة وصورته هكذا ....

وهو شكل سعيد يدل على الفرح والسرور
وان الحامل تلد انثى وان الامر ياتي على احسن حال ورابع
عشرها نَقِي الخَدّ وصورته هكذا ....

وهو شكل نحس ويدل على الشباب
والعدو المجهول وطول المكث في الحبس وقبض روح المريض وخامس
عشرها النُصرة الداخلة وصورته هكذا ....

وهو شكل سعيد يدل على النصر والظفر
وقضا الحاجة ونجاة المريض والمسجون والحامل وسادس عشرها
النُصْرَة الخارجة وصورته هكذا ....

وهو شكل يدل على امور حميدة الا في
محاربة العدو فانه يدل على انهزام الجيش وعدم الظفر به فاذا اراد

الانسان ان يضرب الرمل المذكور ياتي برمل نظيف نقي ويبسطه
على الارض ثم ينقط فيه بالاصبع الوسطى اربعة اسطر من غير عدد
بالاسطر من اليسار الى اليمين هكذا ::::::::::::::::::::::::::
ثم يتتبعه زوجا فزوجا حتى ينتهي الى الآخر فان كان الاخر زوجا اثبته
وان بقي فردا اثبته فيثبت ما تحصل من السطر الاول اولاً وما تحصل من
الثاني تحته وهكذا حتى تتم الاربعة اسطر فيتحصل منها شكل من الاشكال
الستة عشر المتقدمة ومن لم يجد ولا ضرب الخط بفول او حمص وهو انه
ياخذ قبضة من غير عدد ويسقطها زوجا زوجا ويثبت الاخير ان كان
زوجا او فردا واما تولدات اشكاله واتصالاتها وما يتعلق بها من
الاسما والحروف والكواكب والعاقبة وعاقبة العاقبة فذلك كله منوط
بمؤلفات علم الرمل فلا نطيل الكلام عليها وانما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة
ليكون للناظر في رحلتنا هذه الالمام بماهية الرمل في الجملة ولئلا تخلو
هذه الرحلة عن مثل هذه الفائدة والله عالم

وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجليلة المنمقة الجميلة بدار طباعة
السيد كنيبلين العامرة الكائنة بمدينة باريز الباهرة وذلك برسم وخط
السيد بيرون بنعمة الله وعون وكان طبعه على ذمته ونظره وهمته في سلخ
شهر نوفمبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الالف المسيحية والحمد لله في البدء
والنهاية ونسأله من الخير بلوغ الغاية امين

بيان الغلط الذى وجد فى هذا الكتاب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢	١٠	سروا	سيروا
٣	٤	الادبية	الادبية حتى
٣	٥	عشيرته	عشيرته التى تؤويه
٣	١٢	وصفرت	ولما صفرت
٤	١٢	ونقد	وفقد
٥	٢	واحانه	واحسانه
٥	٩	من حيوت	من عيوث
٦	١٧	كما	كما يعلم
٨	١٧	حدث	يحدث
١٠	٩	لماه	لماله
١٠	١٤	نيابها	انيابها
١٠	١٧	الضن	الظن
١٣	١٣	سقط البيت الرابع وهو	

كَأَنَّمَا مِنَ ٱلْقُلُوبِ نُقْرَتُهُ ٭ بِهِ يَعُولُ مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهُ

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٣	١٥	نُضْرَتُهُ	نُصْرَتُهُ
١٣	١٥	استبتّت	استتبّت
٢٢	٦	الجلولى و	الجلولى وكيف
٢٣	٨	والحيلة	والحيلة ان
٢٦	٣	حعل	جعل
٢٧	٧	واين	واين هذا
٢٩	٥	الانام من	الانام عن

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٤	٩	وضعها	وضعها على
٤٠	١٦	تعرّب	تغرّب
٤٣	٣	جاز	حاز
٤٥	٣	رلت	زلت
٤٦	٢	خرجنا	ضربنا
٥١	١٧	فرس	فارس
٥٣	٩	كتيرون	كثيرون
٥٢	٩	الجارحين	الخارجين
٥٤	١٥	تجانوا	تحابوا
٥٩	١	علية	على
٦٥	١٤	بعيد	بعيدا
٦٩	١٠	معنا	معنى
٦٩	١٤	مجونا	مجون
٧٣	١٧	صنعتما	صنعتما
٧٦	٩	ترتينب	ترتيب
٧٧	٩	قلوا	قولوا
٧٧	١٣	في	وفى
٧٧	١٤	التنياس	السيناس
٧٨	٩	من	من
٧٩	٩	محمد	احمد
٨٠	١٣	فلملسمع	فلما سمع
٩٦	١	فلامرة	فلاموة

صفحة	سطر	خطا	صواب
٩٦	١٥	اميما	امينًا
١٠٦	١٣	حله	تحله
١٠٩	١٧	يذب عنهم	يذب عنهم عند السلطان كلما وقع منهم امر مع اعدائهم من القبايل الاخر
١٢٠	٢	اقوى	اقوى
١٣٠	١٣	ودار اباديما	ودار اباديما انما كانت مساحتها نحو عشرة ايام لان اباديما يحكم على اثنى عشر ملكا كل ملك له ايالة مستقلة وباديما
١٣٧	١	يتعرص	يتعرض
١٤٣	١٦	التفتش	التفتن
١٤٤ و ١٤٥	١٤	اعجب	اعجب
١٤٥	٥	كال	كال
١٤٥	٩	نجتي	كتي
١٥٣	١٠	لغطوا	لفظوا
١٥٧	١٠	مريص	مريض
١٥٨	١	الناس	اناس
١٦١	١٢	خوخه	جوخه
١٦٣ و ١٧٢	١١ و ٣	بعص	بعض
١٧٩	٢	عاليا ما	عاليا
١٨٧	٥	يحافطون	يحافظون
١٩٢	٨	الصفر	الصغر
١٩٦	١	نوافخ	نوافج

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٩٧	٤	يهاب	يهاب
٢٠٨	٧	من النساء	من النساء متزينات والشبان من الرجال في اكمل زينة يقدرون عليها وتصطف النساء
٢١١	١٢	في الدايرة	في الدايرة على نظم نقرات الطبل ويكونون ايضا كدايرة
٢١٦	١٠	عنه	عند
٢٣١	١٥	دجاجا	دجاجا
٢٥٦	٨	فيستضئون	فيستضيؤون
٢٨١	١	والكسبرة	صغير والكسبرة
٢٨٩	١١	كبيرة	كبيرة
٢٩٢	٣	بنوم	بنوم ويبت باقبح ليلة
٢٩٤	١٤	والسراب	ويرى السراب
٣١٤	١٥	العاخرة	الفاخرة
٣١٤	١٦	وسلخ	فسلخ

م

« *Chose* dont la magnificence est admirable, est sublime, chose à laquelle nous croyons, sur la parole révélée par le Koran le livre de la toute sagesse :

« *Chose* dont le nom est tracé par quatre lettres, en poésie ; rappelle-toi le dans son emploi prosodique et métrique.

« Je m'arrête ici ; j'attends de toi une réponse précise, belle comme le sens du mot de mon énigme. Que Dieu te maintienne dans tes hautes pensées de bien. »

— Page 423, ligne 2 « … conjugable dans tous les temps. » c'est-à-dire qui a son emploi régulier dans les cas voulus au *refa* et au *nasb*.

— Page 38, ligne 25, lisez Adnân, au lieu de Adouân.

— Page 47. Dans la lettre de Mohammed Kourra deux ou trois membres de phrases sont passés : mais ici, de même que dans plusieurs autres endroits du volume, le texte arabe est facile à comprendre, et, pour cette raison, je me dispense, comme je m'en dispenserai ailleurs, de donner la traduction des passages ou membres de phrases omis, ou éliminés à dessein.

— Page 112, ligne 9, au lieu de « Dieu ne t'écouterait pas… » lisez : « Dieu ne m'écouterait pas… »

— Page 119, à la ligne 18, le renvoi à la note F, de la page 425, est omis. Cette note est la traduction du passage ومن عاميته الخ jusqu'aux mots وكان في شهر رمضان الخ.

— Page 168, ligne 5, après le mot « résistant ! » mettez : « O toi qui disperses les montagnes (et leurs habitants), sans avoir besoin, pour cela, du secours de l'or ! » (*Dyouân*, administration ; — état ou registre où sont inscrites les troupes stipendiées, &c.)

— Page 176, ligne 9, au lieu de « singulier de *doumloudj*, » lisez : dont le singulier est *doumloudj*.

— Page 231 ; les neuf premières lignes ne sont pas en accord avec le texte arabe.

Perron

Novembre 1850.

appartiennent les grandes choses comme choses qui te sont naturelles (et faciles).

« Donne, donne sans cesse les productions de ta pensée, ce sont autant de perles précieuses que nul ne peut revendiquer. »

— Le logogriphe suivant commence, dans le texte arabe, par :

« Allons! dis à qui est riche de science, à qui (sait y voir et) devine facilement le logogriphe, et en découvre le mystère :

« Voyons! je t'en prie : Quel est le mot de trois lettres... &c.

. . . .

« Par la transposition de ses lettres, tu peux, regarde bien, composer trois mots ; c'est chose vraiment remarquable !

« Savoir : un qui a deux sens &c. »

— Page 422, ligne 3 :

« Allons! dis à qui a la perfection et l'intelligence du langage, et à qui le Seigneur des cieux a fait don de la science :

« Quel est, je te prie, toi homme d'un esprit supérieur, etc.....

« Elle devient malade, mon cher ami, à mesure que &c........

« ..... Synonime de ghadâ (le matin); sois intelligent et pénétrant. (Certainement tu me comprends, tu m'as deviné.)

« Il suffit (j'en ai dit assez), je me suis assez expliqué ; donne moi la solution. Du reste, le mot est dans notre sainte révélation (le Koran). Réfléchis un moment. J'ai fini. »

— Voici encore un de mes logogriphes ; il est sur le mot _semâ_, le ciel :

« O toi qui t'es élevé _au ciel_ de la science et de la sagesse, toi dont la générosité descend sur les hommes comme la pluie des nuages,

« Devine nous quel est le nom de _la chose_ dont l'aspect est pur et clair, dont la beauté est passée en proverbe chez les arabes et chez les barbares.

« _Chose_ immensément élevée, où n'auront asile que ceux qui aiment celui dont la puissance a créé les zéphirs ;

« _Chose_ à laquelle appartiennent les flambeaux étincelants qui nous guident dans les ténèbres de la nuit ;

ter, j'étais inquiet de mon dénûment absolu. »

— Note C, se rapportant à la page 28, et placée à la pag. 420

« ... réviseur des traductions à l'école vétérinaire fondée auprès de l'école de médecine par le Souverain, prince du bonheur (Mohammed Aly). Voici le logogriphe :

« Dis-moi, mon cher Kessâb, maître (accapareur, kessâb) en science et en piété, toi qui es un océan des connaissances qui sont si douces et si agréables aux hommes,

« Voici un mot, etc. — Au quatrième vers : « Il a un synonime, etc. » — Au 7e vers : « Et bien entendu, mon cher ami, tous ces mots, etc. » — Au 8e vers : « ... j'en suis sûr, toi intelligence remarquable de notre époque ; je te demande donc quel est le mot (de mon logogriphe). »

— Page 421, ligne 6 : « Maintenant donne-moi le mot de l'énigme ; ne te laissez pas demander, mon vertueux ami, la solution (car je suis sûr que tu la tiens). »

Dans la réponse du cheykh Moustafa Kessâb, les cinq premiers vers et les deux derniers ont été retranchés presque en entier :

« Toi, homme de science et d'esprit, aimé de tous pour tes vertus, tes qualités, tes talents,

« Toi qui par ton profond savoir es connu à l'Orient et à l'Occident, tu nous surprends par l'aisance de tes vers.

« Et pourquoi n'en serait-il pas ainsi ? Mon ami, en effet, a tout l'art des poëtes ; il a à ses ordres ce qui échappe et manque à tous.

« Certes ! ni Kouts, ni Imrou-l-Kays n'auraient pu jadis mesurer un langage qui, à l'égal du tien, eût ému et enflammé les désirs des amants.

« Tes vers me sont venus comme un doux zéphir. Qui prétendrait en pouvoir composer de pareils, serait certainement un menteur. »

Les deux derniers vers sont :

« Voilà le mot de ton logogriphe, mon cher Mohammed El-Tounsy, toi le guide et le modèle des hommes, toi à qui

Observations.

J'étais encore en Égypte lorsque Mr. Jomard publia la traduction de ce voyage, que je lui avais envoyée. Il parut à propos de retrancher quelques longueurs, deux ou trois passages trop osés, des répétitions, des expressions synonimiques, qui plaisent aux arabes et que le lecteur français réprouve. Je rétablis ici le plus important, afin d'être utile aux arabisants encore peu versés dans les études arabes. Certaines inexactitudes de concordance entre le texte et la traduction qui d'ailleurs a été imprimée ainsi surtout en vue du public, seront facilement appréciées par les arabisants spéciaux.

Dans ma traduction, j'ai relégué à la fin du volume, sous le titre de notes, les digressions qui interrompent trop longuement le récit. Dans le texte arabe, je les ai laissées à leur place, afin de présenter la relation originale telle qu'elle est.

— Aux notes et éclaircissements, page 405, ligne 19, avant les mots « En Égypte &c. », doit être restitué le passage suivant: « Abou-l-Câcem El-Haryry a raison de condamner les pièces d'or, comme chose inutile si celui qui les possède ne les fait pas circuler:

« C'est un mal attaché à la nature même des pièces d'or,

« Qu'elles ne servent, dans les moments de nécessité et de péril,

« Que quand elles fuient de la main comme un esclave qui s'échappe.

« Honneur à toi qui sais (les dépenser et) les jetter par-dessus les monts!

« Honneur à toi si, tes dinâr te chuchotant leurs cajoleries à l'oreille,

« Tu leur dis résolument et sans détour:

« Je ne veux pas de votre intimité; filez. »

A Tunis est en usage ce dicton populaire: « Mets de l'or à la gueule du malheur, tu le fais taire. » En Égypte &c.

— Page 23 du texte français, ligne 18, au lieu de: « J'étais réduit &c. » il faut: « Je ne savais où trouver de quoi subsis-

Voyage au Dârfour

ou

l'aiguisement de l'esprit, par le voyage au Soudan et parmi les arabes du centre de l'Afrique,

par

le cheykh Mohammed ibn-Omar el-Tounsy,

Autographié et publié par

M. Perron.

Paris
chez Benjamin Duprat
libraire de l'institut de France, de la bibliothèque nationale, de la société asiatique de Paris, &c.
Rue du cloître Saint-Benoît, N.° 7.
1850.
Imprimerie lithographique de Kaeppelin,
17, quai Voltaire.

50



